طوفانُ الشام

مختصر تاريخ الثورة السورية

٢٠١١-٢٠٢٤

جمع وتنسيق

عبد الرحمن كيلاني

طوفان الشام

مختصر تاريخ الثورة السورية

٢٠١١-٢٠٢٤

جمع وتنسيق

عبد الرحمن كيلاني



إلى روح أخي محمد يحيى كيلاني الذي قضى في سجون الطغاة

إلى ابن عمتي وأخي من الرضاعة رغدان تقي الذي قنصته يد الغدر والطائفية

إلى كل من قضوا في سجون الظلم والطغيان والباطنية

إلى روح شهداء سوريا من رجال ونساء وأطفال

إلى الأبطال الذين حرروا الأرض والإنسان

إلى الآباء والأمهات الذين فقدوا فلذات أكبادهم في ثورتنا المباركة

إلى الأجيال التي ستحمي أرض الوطن والتاريخ والحاضر والمستقبل

إلى أرض الشام المباركة، عقر دار المؤمنين

أهدي هذا العمل المتواضع

المحتويات

هذا الكتاب ليس مجرد توثيق، بل محاولة للفهم، للقراءة، للتأمل في دروس أكبر ثورة في القرن الحادي والعشرين. إنه دعوة للأحرار أن يستكملوا الطريق، وللشعوب أن تعرف أن النصر، مهما تأخر، قادم لا محالة.

مقدمة الكتاب

من قلب الركام، ومن بين الأنقاض والمدن المدمّرة، خرجت سوريا في ديسمبر من عام ٢٠٢٤، تحمل على جبينها جراح ثلاثة عشر عامًا من الألم والصمود، وتحت رايتها نصرًا طال انتظاره. لم يكن هذا النصر وليد لحظة عابرة، بل تتويجًا لمسار طويل من الكفاح الذي بدأ منذ أن انطلقت أولى الصرخات في درعا في ربيع عام ٢٠١١، حين تحوّلت الثورة السورية من مجرّد حراك شعبي إلى زلزال أخلاقي وسياسي هزّ المنطقة والعالم بأسره.

لقد كانت هذه الثورة ثمرة عقود طويلة من القهر السياسي، والقمع الأمني، والتهميش الاقتصادي الذي مارسه نظام استبدادي طائفي بقيادة آل الأسد منذ استيلاء حزب البعث على السلطة في عام ١٩٦٣، ثم إحكام حافظ الأسد قبضته الحديدية على الدولة عام ١٩٧٠. تحولت سوريا خلال نصف قرن إلى سجن كبير، أُسكتت فيه الأصوات المعارضة، وأُعيد تشكيل مؤسسات الدولة لتخدم مشروعاً طائفياً ضيقاً يخدم بقاء النظام وحلفائه.

ورغم ما رفعه النظام من شعارات قومية ووحدوية ومقاوِمة، إلا أن حقيقته السلطوية العنيفة لم تخفَ على أحد. ومع انطلاق موجة "الربيع العربي"، وجد السوريون أنفسهم أمام فرصة تاريخية للتعبير عن تطلعاتهم في الحرية والكرامة والعدالة التي حُرموا منها لعقود.

لكن الطريق لم يكن سهلاً. فما إن بدأ الحراك السلمي حتى واجهته آلة القمع بالحديد والنار، ليجد السوريون أنفسهم أمام تحالف دولي–إقليمي شرس: النظام الطائفي مدعوماً بميليشيات إيران، وطائرات روسيا، وصمت الغرب المريب، ومراقبة إسرائيل التي وجدت في إضعاف سوريا ضماناً لسكوت جبهتها الشمالية لعقود قادمة. ومع ذلك، لم تمت الثورة؛ بل تجذّرت في

قلوب المقاومين، وامتدت إلى خيام الشتات، ومخيمات اللجوء، وأقلام الصحفيين المنفيين، وتكبيرات المقاتلين على تخوم إدلب.

يأتي هذا الكتاب ليقدّم توثيقًا تاريخيًا تحليليًا لمسار الثورة السورية، منذ لحظاتها الأولى وحتى سقوط نظام بشار الأسد في أواخر عام ٢٠٢٤، وما أعقب ذلك من بدء مرحلة تأسيسية جديدة في تاريخ سوريا. فهو يتناول التحولات الكبرى التي شهدتها البلاد على الصعيدين الداخلي والدولي: من الحراك السلمي إلى عسكرة الثورة، إلى تشكل الفصائل المسلحة، وتعدد التدخلات الإقليمية والدولية المتشابكة.

كما يسلط الضوء على الجرائم الواسعة التي ارتكبها النظام وحلفاؤه، وعلى الكلفة الإنسانية الباهظة التي دفعها السوريون من دمائهم وحريتهم وأرضهم، وفي مقدمتها مأساة المعتقلين والمغيبين قسرياً، والدمار الهائل للمدن، والشتات الواسع لملايين اللاجئين.

لكن هذا الكتاب لا يكتفي بسرد الأحداث، بل يسعى لفهم أعمق لجذور المأساة، وتحليل مراحلها وتعقيداتها، واستشراف آفاق سوريا الجديدة بعد الاستبداد: مشاريع إعادة الإعمار، المصالحة الوطنية، وبناء مؤسسات الدولة على أسس وطنية عادلة تضمن وحدة الشعب وكرامته. وهو في جوهره شهادة وفاء لتضحيات شعب آمن بحريته، ودفع ثمناً باهظاً لتحقيقها، ولا يزال اليوم يصنع مستقبله بإرادة لا تلين.

واليوم، وبعد سقوط النظام الذي ظن أنه خالد، يبرز السؤال الذي يشغل بال السوريين والعرب معاً: هل ستتوقف المسيرة عند حدود دمشق، أم أن راية التحرير ستواصل طريقها نحو القدس، حيث معركة لم تخمد نارها بعد، ولا تزال تنتظر من يكمل المسير؟

تمهيد: سوريا من العهد العثماني إلى صعود حافظ الأسد (١٥١٦ – ١٩٧٠)

أولاً: العهد العثماني الطويل (١٥١٦ -١٩١٨)

ضمّ بلاد الشام للدولة العثمانية

بعد معركة مرج دابق (٢٥ رجب، ٩٢٢هـ / ٢٤ أغسطس ١٥١٦)، أنهى العثمانيون الوجود المملوكي في بلاد الشام، وأصبحت سوريا جزءاً من الإمبراطورية العثمانية التي امتدت على ثلاث قارات.[١] أدخل العثمانيون نظامهم الإداري على بلاد الشام، فقُسمت إلى ولايات، وجُعلت دمشق المركز الإداري الرئيسي، إضافة إلى ولايات حلب وبيروت وغيرها.

رغم هذا الاستقرار الإداري، عانت سوريا من طغيان الضرائب، والاحتكار الإقطاعي المحلي الذي زاد من الفجوة بين الفلاحين والفئات الحاكمة. وكان الريف السوري مسرحاً لتمردات متكررة ضد تعسف الولاة وجشع الجباة.[٢]

التأثير العثماني الاجتماعي والثقافي

شهدت سوريا في العهد العثماني نشاطاً دينياً وعلمياً ملحوظاً بفضل استقرار دمشق كعاصمة دينية للمدارس الشرعية وحركات التصوف، خصوصاً النقشبندية والقادرية.

لكن نهاية القرن التاسع عشر شهدت تراجع النفوذ العثماني في المشرق مع تصاعد المد القومي العربي متأثراً بنشاط الجمعيات القومية العربية في

---

1 Bruce Masters, *The Arabs of the Ottoman Empire, 1516–1918: A Social and Cultural History* (Cambridge: Cambridge University Press, 2013), 17–25;

عبد الكريم رافق، *المشرق العربي في العهد العثماني* (دمشق: جامعة دمشق، ١٩٩٧)، ٤٥–٥٢.

2 Hanna Batatu, *Syria's Peasantry, the Descendants of Its Lesser Rural Notables, and Their Politics* (Princeton: Princeton University Press, 1999), 41–44.

دمشق وبيروت، مقابل سياسة التتريك التي انتهجها **الاتحاديون** في إسطنبول بعد ١٩٠٨، وهو ما فجر التناقض بين العرب والعثمانيين لاحقاً.[3]

ثانياً: الحرب العالمية الأولى ونهاية العثمانيين (١٩١٤-١٩١٨)

مع اندلاع الحرب الكبرى، انخرطت سوريا مع الدولة العثمانية قسراً في مواجهة الحلفاء. وبفعل المجاعة والحصار البريطاني للطرق البحرية، عانت البلاد من أزمات غذائية واقتصادية كارثية، وارتفعت معدلات الوفيات بشكل مروّع.[4]

في هذه الأثناء قاد الشريف حسين الثورة العربية الكبرى سنة ١٩١٦ بتحريض بريطاني مباشر، وتمكنت قواته بقيادة ولده فيصل وبمساندة الجاسوس البريطاني لورنس العرب من السيطرة على الحجاز أولاً، ثم التقدم نحو الشام بالتزامن مع تقدم القوات البريطانية من مصر عبر فلسطين.

انهار الحكم العثماني تماماً مع دخول فيصل دمشق في أكتوبر ١٩١٨ معلناً ميلاد الحكم العربي المستقل.

ثالثاً: الحكم العربي الفيْصلي القصير (١٩١٨-١٩٢٠)

تمثل هذا الحكم في مشروع قومي عربي واحد، حيث أُعلن استقلال سوريا في المؤتمر السوري العام في مارس ١٩٢٠، ونُصّب الأمير فيصل بن الحسين ملكاً دستورياً على المملكة السورية العربية.

إلا أن هذا المشروع اصطدم باتفاقيات الحلفاء، خاصة اتفاقية سايكس-بيكو (١٩١٦) التي قسمت بلاد الشام والعراق بين فرنسا وبريطانيا. ومع رفض فرنسا الاعتراف بحكم فيصل، وقع الصدام العسكري في معركة ميسلون في

---

3 Philip S. Khoury, *Urban Notables and Arab Nationalism: The Politics of Damascus 1860–1920* (Cambridge: Cambridge University Press, 1983), 155–168.

4 James L. Gelvin, *Divided Loyalties: Nationalism and Mass Politics in Syria at the Close of Empire* (Berkeley: University of California Press, 1998), 83–87

يوليو ١٩٢٠، حيث استشهد وزير الدفاع يوسف العظمة مع كوكبة من المتطوعين السوريين.

رابعاً: الانتداب الفرنسي (١٩٢٠-١٩٤٦)

مشروع التقسيم الفرنسي لسوريا

فرضت فرنسا نظام انتدابها القسري على سوريا تحت مظلة عصبة الأمم، وشرعت في تقسيم البلاد إلى خمس دويلات طائفية: دمشق، حلب، جبل الدروز، جبل العلويين، ولبنان الكبير. هدف هذا التقسيم إلى إضعاف أي نزعة وطنية جامعة.[٥]

ورغم قسوة السيطرة الفرنسية، فقد نشأت حركة وطنية عنيدة قادتها "الكتلة الوطنية"، وخاض السوريون مقاومة عسكرية ومدنية طويلة.

الثورات السورية ضد الفرنسيين[٦]

- **ثورة الشيخ صالح العلي (١٩١٩-١٩٢١):** في جبال اللاذقية، قادها أبناء الطائفة العلوية ضد الفرنسيين أنفسهم.
- **ثورة إبراهيم هنانو في الشمال (١٩٢٠-١٩٢١):** تعاون فيها مع القوى الوطنية في حلب.

---

[5] Elizabeth Thompson, *Colonial Citizens: Republican Rights, Paternal Privilege, and Gender in French Syria and Lebanon* (New York: Columbia University Press, 2000), 21–24.

[٦] للتوسع في معرفة حقيقة ثورة العلويين والدروز ضد الفرنسيين، ننصح بقراءة كتاب "المؤامرة الكبرى على بلاد الشام" الباب الخامس: مرحلة الانتداب، إعداد: محمد فاروق الخالدي، وكتاب أدهم آل الجندي تاريخ الثورات السورية في عهد اللانتداب الفرنسي.

- **الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥-١٩٢٧):** بقيادة سلطان باشا الأطرش في جبل العرب وامتدت إلى دمشق وحمص وحماة. قوبلت هذه الثورة بعنف شديد عبر قصف دمشق وحصار المدن.[٧]

معارك الدستور والمفاوضات

رغم القمع، استمر النضال السياسي فصدر دستور ١٩٣٠ وجرى انتخاب أول برلمان، إلا أن فرنسا بقيت المهيمن الفعلي على القرار السوري حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية.

خامساً: الحرب العالمية الثانية والاستقلال (١٩٣٩-١٩٤٦)

بعد الاحتلال الألماني لفرنسا (١٩٤٠)، أصبحت سوريا لفترة تحت سيطرة حكومة فيشي المتحالفة مع النازيين، قبل أن تسيطر عليها قوات فرنسا الحرة والحلفاء في ١٩٤١. ورغم إعلان فرنسا الحرة دعم استقلال سوريا شكلياً عام ١٩٤١، بقي الاحتلال قائماً عملياً حتى اضطر الفرنسيون للانسحاب الكامل تحت ضغط الشعب السوري والمجتمع الدولي في ١٧ أبريل ١٩٤٦، إيذاناً بميلاد الاستقلال الفعلي.[٨]

سادساً: الاضطرابات والانقلابات العسكرية (١٩٤٦-١٩٧٠)

عصر الانقلابات

بعد الجلاء دخلت سوريا في فترة من عدم الاستقرار السياسي بسبب:

- ضعف المؤسسات الديمقراطية.

---

[7] Michael Provence, *The Great Syrian Revolt and the Rise of Arab Nationalism* (Austin: University of Texas Press, 2005), 3-6.

سلامة عبيد، *الثورة السورية الكبرى (1925–1927)* (دمشق: دار الغد، ١٩٧١)، ٢٧–٣٠.

[8] Sami M. Moubayed, *Steel & Silk: Men and Women Who Shaped Syria 1900–2000* (Seattle: Cune Press, 2006), 116–120.

- الصراعات الأيديولوجية بين القوميين والبعثيين والشيوعيين والإسلاميين.
- تغلغل النفوذ الخارجي.

بدأت سلسلة الانقلابات:[٩]

- انقلاب حسني الزعيم (مارس ١٩٤٩).
- انقلاب سامي الحناوي (أغسطس ١٩٤٩).
- انقلاب أديب الشيشكلي (ديسمبر ١٩٤٩)، الذي أرسى أول نظام ديكتاتوري فردي قبل سقوطه عام ١٩٥٤.

صعود التيار القومي العربي

في الخمسينات صعد التيار القومي العربي بقيادة البعثيين والناصريين، مما أفضى إلى قيام **الوحدة مع مصر (١٩٥٨)** في تجربة الجمهورية العربية المتحدة التي انتهت **سريعاً** بانقلاب عسكري سوري عام ١٩٦١.

حكم البعث وتحول السلطة تدريجياً إلى العلويين

بعد انقلاب ٨ مارس ١٩٦٣، سيطر حزب البعث على السلطة، ودخل في صراعات بين التيارين العسكري والمدني داخله. تدريجياً بدأ تيار الضباط العلويين يسيطر على الأجهزة الأمنية والعسكرية، خاصة بعد تطهير الجيش من الضباط السنيين أو القوميين المعارضين.

ولا ننسى أن نذكر هنا أن حرب حزيران/يونيو (١٩٦٧) حدثت في ظل حكم البعثيين لسوريا، وفيها تخلّت حكومتهم عن الجولان، حيث كان وزير دفاعها حافظ الأسد.[١٠]

---

[9] Moubayed, *Steel & Silk*, 185–192.

[١٠] انظر كتاب "سقوط الجولان" لخليل مصطفى.

وفي نوفمبر ١٩٧٠، نفّذ وزير الدفاع **حافظ الأسد** "الحركة التصحيحية" وأقصى خصومه من البعث، وأمسك بالسلطة مطلِقاً مشروع حكم العائلة الطائفي الذي سيستمر لعقود.

صعود الطائفة العلوية إلى السلطة

الأسباب العميقة للصعود العلوي

١. **التهميش التاريخي والرغبة في التعويض**

- عاش العلويون لقرون طويلة في عزلة اقتصادية واجتماعية، مقصيين عن مراكز الدولة السنية التقليدية.
- مع انهيار الحكم العثماني، بدأ الفرنسيون في انتهاج سياسة جذب الأقليات إلى جانبهم لكسر الأغلبية السنية، وهو ما مكّن العديد من أبناء الطائفة من دخول المؤسسات العسكرية، لأول مرة في التاريخ الحديث.

٢. **سياسة التجنيد العسكري في عهد الانتداب**

- شكّلت فرنسا قوات "**جيش الشرق**" من الأقليات (العلويين والدروز والمسيحيين)، ما أتاح للعلويين فرص الصعود العسكري والاجتماعي.
- مع مغادرة الفرنسيين، انتقل كثير من هؤلاء إلى الجيش السوري الرسمي، ليجدوا أنفسهم مع الأيام في مواقع القيادة المتقدمة.

٣. **تحالف الأقليات داخل البعث**

- رغم أن حزب البعث كان فكرياً علمانياً عربياً، إلا أن تركيبته الفعلية كانت في كثير من الأوقات مدفوعة بتحالف الأقليات ضد الأكثرية السنية التقليدية.
- كانت الأجنحة العلوية في البعث أكثر انضباطاً وتنظيماً في المؤسسة العسكرية، واستطاعت تدريجياً إقصاء خصومها (المدنيين والقوميين والبعثيين السنة).

٤. **التطهير الممنهج للجيش بعد ١٩٦٣**

- مع كل انقلاب داخلي، تمت تصفية الضباط المنافسين، ليبقى غالبية قادة الجيش وأجهزة الأمن من الضباط العلويين.
- لعب صلاح جديد وحافظ الأسد دوراً مركزياً في هذا التغلغل.

٥. **الحركة التصحيحية: تتويـج السيطرة العلوية**

- في نوفمبر ١٩٧٠ نفذ حافظ الأسد انقلابه الداخلي على صلاح جديد، وأمسك بسلطة مطلقة على الجيش والحزب والدولة، مؤسساً بذلك النظام العلوي الأمني الذي سيحكم سوريا لأكثر من نصف قرن. [١١]

الخصوصية الطائفية لمشروع الأسد

رغم الشعارات القومية والعلمانية، فإن مشروع الأسد كان عملياً يقوم على تحالف ضيق من العلويين المتحكمين بالمؤسسة العسكرية والأمنية والاقتصاد، في حين تم تهميش القوى السنية المدنية والريفية.[١٢]

لقد أدرك حافظ الأسد أنه لا يستطيع أن يحكم الأغلبية السنية إلا عبر منظومة رعب أمني معقدة ومراكز قوى مالية وسياسية مرتبطة بالطائفة والعائلة مباشرة، وهو ما مهّد لاحقاً لمجازر طائفية كبرى ستتفجر بوجه النظام مع اندلاع الثورة السورية عام ٢٠١١.

---

[11] Nikolaos Van Dam, *The Struggle for Power in Syria: Politics and Society under Asad and the Baʿth Party*, 4th ed. (London: I.B. Tauris, 2011), 1–10.

[12] Patrick Seale, *Asad: The Struggle for the Middle East* (Berkeley: University of California Press, 1989), 73–83.

الباب الأول

الجذور والبدايات (ما قبل ٢٠١١)

(١)

سوريا تحت حكم آل الأسد – عقود من القمع والصمت

أولاً: مرحلة حافظ الأسد (١٩٧٠-٢٠٠٠)

بعد فترة من الانقلابات وعدم الاستقرار السياسي في ستينيات القرن العشرين، وصل وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد إلى السلطة عبر **انقلاب الحركة التصحيحية** في نوفمبر ١٩٧٠، معلنا بداية عهد جديد في سوريا.[١] سرعان ما شرع الأسد في ترسيخ أركان حكمه من خلال بناء هيكل سياسي شكلي يضمن شرعية نظامه. فقام بتشكيل مجلس شعب مُعيّن عام ١٩٧١ يبلغ ١٧٣ عضوًا، قام هذا المجلس بدوره بترشيحه كمرشح أوحد لرئاسة الجمهورية، لتبدأ حقبة من الاستفتاءات الشعبية التي كان الأسد يفوز فيها بنسبة تفوق ٩٩٪ من الأصوات.[٢] وفي عام ١٩٧٢ أنشأ **الجبهة الوطنية التقدمية** كمظلة تضم أحزابًا شكلية متحالفة تحت قيادة حزب البعث الحاكم بهدف إظهار واجهة من التعددية، لكنها في الواقع كرّست هيمنة البعث على الحياة السياسية .وبإصدار دستور دائم عام ١٩٧٣ نصّت مادته الثامنة على أن حزب البعث هو "القائد للدولة والمجتمع"، مما جعل **نظام الحزب الواحد** أمرًا دستوريًا.[٣] هذه الإجراءات – التي عُرفت مجتمعةً باسم "الحركة

---

[1] Patrick Seale, *Asad of Syria: The Struggle for the Middle East* (Berkeley: University of California Press, 1988), 103-108.

[2] Lisa Wedeen, *Ambiguities of Domination: Politics, Rhetoric, and Symbols in Contemporary Syria* (Chicago: University of Chicago Press, 1999), 143-150.

[3] Nikolaos Van Dam, *The Struggle for Power in Syria*, 4th ed. (London: I.B. Tauris, 2011), 58-61.

التصحيحية" – أسست الإطار المؤسسي للحكم في سوريا، ولكنها أخفت وراءها تركيزًا فعليًا للسلطة بيد الأسد ودائرة ضيقة من الموالين.

على الرغم من هذه الهياكل الدستورية والمؤسساتية، فإن **السلطة الحقيقية** في عهد حافظ الأسد تركزت ضمن **منظومة غير رسمية** قوامها الولاءات الشخصية والعلاقات الزبائنية، وخاصةً مع ضباط الجيش والأجهزة الأمنية المنتمين غالبًا للطائفة العلوية التي ينتمي إليها الأسد. فقد فُرضت **حالة الطوارئ** في البلاد منذ عام ١٩٦٣ واستمرت بلا انقطاع، مبررةً ذلك بمبررات الحرب مع إسرائيل، مما منح الأجهزة الأمنية صلاحيات مطلقة في الاعتقال التعسفي وقمع أي معارضة.[٤] خلال هذه الفترة رسّخ الأسد بناء ما سُمّي **"الدولة الأمنية"**؛ إذ مُنحت أجهزة المخابرات نفوذًا واسعًا يتجاوز دورها الأمني التقليدي لتتغلغل في مفاصل الحياة اليومية للمواطنين. وأصبحت **المخابرات (الأجهزة الأمنية)** مرهوبة الجانب تمارس الرقابة والسيطرة، بينما تم إسكات الأصوات المعارضة عبر الاعتقالات والتعذيب والاخفاء القسري. كما عمل النظام على **تأليه شخصية حافظ الأسد** عبر الدعاية المكثفة؛ فأُطلق عليه لقب "قائد المسيرة" منذ عام ١٩٧١، وغُرست فكرة أن "الولاء له هو ولاء للوطن وللقضية."[٥] وبهذا صار النظام السوري أشبه بسجن كبير، حيث تم إخضاع مؤسسات الدولة والمجتمع لسيطرة الحزب والقائد الأوحد، وتحوّلت النقابات والمنظمات الشعبية إلى أذرع للسلطة تُجنّد الجماهير وتراقبها بدل أن تمثّلها. في المحصلة، أرسى الأسد الأب نموذجًا سلطويًا شموليًا يقوم على القمع الشديد و**إقصاء أي صوت معارض**، ما أدى إلى نشر مناخ من الخوف والصمت كسمات مميزة لحياة السوريين خلال تلك الحقبة.

---

[4] Human Rights Watch, "Syria's Tadmor Prison: Dissent Still Hostage to a Legacy of Terror," April 1, 1996. https://www.hrw.org/report/1996/04/01/syrias-tadmor-prison/dissent-still-hostage-legacy-terror?utm_source=chatgpt.com

[5] Wedeen, *Ambiguities of Domination*, 1-5.

وفي أواخر السبعينيات، واجه نظام حافظ الأسد تحديًا خطيرًا تمثّل في **انتفاضة مسلحة** قادتها جماعات إسلامية أبرزها مجموعة مرتبطة للإخوان تُسمى بـ«الطليعة المقاتلة» بسلسلة من الهجمات وعمليات الاغتيال استهدفت مسؤولين وضباطًا من الطائفة العلوية. قامت **الطليعة المقاتلة** بالانتقام من النظام السوري في أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات ردًا على **قمع دموي طويل وممنهج** مارسه النظام العلوي بقيادة **حافظ الأسد** ضد الإسلاميين، خصوصًا **جماعة الإخوان المسلمين**، وضد الطيف السني المعارض بشكل عام. وكان هذا الانتقام تتويجًا لعقود من التهميش والتمييز، وتصاعدًا لصراع عقائدي وسياسي وعسكري مع نظام طائفي شمولي استخدم الجيش والأجهزة الأمنية لإخضاع المجتمع بالقوة.

الأسباب الرئيسية لانتقام الطليعة المقاتلة:

١. القمع الدموي للإسلاميين

- منذ وصول حزب البعث إلى الحكم عام ١٩٦٣، ثم انقلاب حافظ الأسد عام ١٩٧٠، شن النظام حملة قمع شديدة على الإسلاميين، لا سيما الإخوان المسلمين، باعتبارهم التهديد السياسي الأبرز.
- تم **اعتقال آلاف المعارضين** دون محاكمات، وتعرضوا لأبشع وسائل التعذيب في سجون مثل **المزة** و**تدمر**.
- عام ١٩٧٩، وقعت **مجزرة مدرسة المدفعية في حلب**،[6] حيث قُتل أكثر من ٨٠ ضابطًا علويًا -حسب الرواية الرسمية-، ونُسبت العملية للطليعة كَرَدّ على المجازر السابقة.[7]

[6] Van Dam, *Struggle for Power*, 95-97.

[7] حسب الرواية التي ذكرها أبو مصعب عمر عبد الحكيم في كتابه "الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا" فإن ٢٥٠ طالباً قتلوا في هذه العملية.

٢. التمييز الطائفي الممنهج

- رأى كثير من السوريين السنّة أن النظام العلوي يحكمهم بعقلية الأقلية المتسلطة، ويقصيهم من مراكز القرار العسكري والسياسي.
- بدأت الطليعة ترى في النظام "كيانًا علويًا طائفيًا" يحتل الدولة، وليس مجرد خصم سياسي، مما عزّز **النزعة الجهادية الثأرية** في خطابها.

٣. المجازر الطائفية مثل مجزرة سجن تدمر (١٩٨٠)

- نفذها **رفعت الأسد** انتقامًا من محاولة اغتيال فاشلة لأخيه حافظ الأسد، حيث قُتل في ساعات قليلة أكثر من **ألف معتقل من الإسلاميين العزل.**[٨]
- شكّلت هذه المجزرة نقطة تحول في العمل المسلح، حيث بدأ **الانتقام يتحول إلى مشروع مقاومة مسلحة شاملة** ضد رموز النظام.

٤. فشل الوسائل السياسية

- في ظل انسداد الأفق السياسي، وغياب الإعلام الحر، والقبضة الحديدية للنظام، لجأت الطليعة (ومعها جناح من الإخوان) إلى **الخيار المسلح** باعتباره السبيل الوحيد لردع القمع وإسقاط النظام.
- أصدرت بيانات وبيانات مضادة، وتبنت خطابًا أكثر **راديكالية** مع الوقت، خاصة مع ازدياد المجازر ورفض النظام لأي إصلاح أو حوار.

---

[8] Human Rights Watch, "Syria's Tadmor Prison," sec. III.

٥. رد الفعل الشعبي على الجرائم

- العمليات التي نفذتها الطليعة (اغتيال ضباط مخابرات، تفجيرات، كمائن) كانت – في نظرها – **ردًا مشروعًا على القتل الجماعي** والتعذيب والاغتصاب في السجون.
- اعتبرت نفسها "رأس الحربة" في الدفاع عن المسلمين السنّة في وجه "تحالف علوي–بعثي–أمني."

٦. انهيار الثقة بالدولة ومؤسساتها

- سيطرة العلويين على الجيش والمخابرات، وتحوّل القضاء إلى أداة للنظام، دفع كثيرًا من الشباب للانضمام للطليعة وهم مقتنعون بأن "سوريا باتت دولة طائفية معادية لشعبها."

أبرز العمليات الانتقامية للطليعة:

- **مجزرة مدرسة المدفعية (١٩٧٩)**.
- اغتيال **العميد محمد غرة** مسؤول الأمن السياسي في دمشق.
- محاولات اغتيال شخصيات بارزة في أجهزة النظام.
- استهداف المراكز الأمنية والعسكرية في **حلب، دمشق، وحماة**.

ردّ النظام على هذه التحديات بحملة قمعية شرسة بلغت ذروتها في حدث مفصلي هو **مجزرة حماة في فبراير ١٩٨٢** .فقد حاصرت قوات سرايا الدفاع بقيادة رفعت الأسد (شقيق الرئيس) مدينة حماة التي كانت مركزًا للتمرد، وقامت بقصفها واجتياحها بلا هوادة على مدى أسابيع. أسفرت العملية عن **مقتل عشرات الآلاف من المدنيين** في حماة وتدمير أجزاء كبيرة من المدينة، وتم سحق تنظيم الإخوان المسلمين بشكل دموي[٩] بحيث قُضي

[9] Syrian Network for Human Rights (SNHR), "The 40th Anniversary of the 1982 Hama Massacre," Feb 28 2022.

تمامًا على وجودهم العلني في سوريا. توصف مجزرة حماة بأنها إحدى أشد الفظائع التي ارتكبها نظام عربي بحق شعبه في التاريخ الحديث، وقد مثّلت **منعطفًا حاسمًا** في تاريخ سوريا الحديث. فبعد هذا العقاب الجماعي الرهيب، تمكن الأسد من **إخماد كل معارضة مسلحة** وإرهاب المجتمع بأكمله، مما أسس لما سُمّي لاحقًا "جدار الصمت" الذي خيّم على البلاد لسنوات طويلة. لقد زرعت حماة في نفوس السوريين خوفًا عميقًا ورسالةً مفادها أن أي محاولة لمعارضة النظام ستُقابل بأقصى درجات العنف. وبذلك انتهت مرحلة السبعينيات وبداية الثمانينيات بتكريس حكم آل الأسد على أنقاض المعارضة، ودخول سوريا في **عقود من القمع والصمت** حيث غابت أي معارضة علنية فعّالة تحت وطأة الخوف والقمع المنهجي.

ثانياً: مرحلة بشار الأسد (٢٠٠٠-٢٠١١)

مثّلت **عملية توريث الحكم** عام ٢٠٠٠ انتقال السلطة إلى الجيل الثاني من عائلة الأسد، بشكل غير مسبوق في جمهوريات العالم العربي. فبعد وفاة حافظ الأسد في يونيو ٢٠٠٠، تم تغيير الدستور بشكل فوري لخفض السن الدنيا للرئيس من ٤٠ إلى ٣٤ عامًا ليتناسب مع عمر بشار الأسد. ثم عُقدت جلسات لمجلس الشعب ومؤتمر لحزب البعث تم خلالها ترشيح بشار كمرشح وحيد للرئاسة وانتخابه بنسبة تفوق ٩٩٪ في استفتاء عام في تموز/يوليو ٢٠٠٠.[١٠] وهكذا تم إخراج عملية **توريث الحكم** ضمن أطر "قانونية" شكلية، مما أكد الطبيعة **العائلية** للنظام وترسيخ حكم آل الأسد كحكم وراثي رغم غطاء الجمهورية. وقد تولّى بشار السلطة وسط آمال داخلية وخارجية بأن يحدث **انفتاح وإصلاح** في نهج الحكم، نظرًا لكونه شابًا ومتعلّمًا في الغرب وبعيدًا نسبيًا عن إرث الحرس القديم.

في خطابه عند التنصيب في يوليو ٢٠٠٠، تحدث بشار الأسد بلغة إصلاحية غير معهودة، إذ أشار إلى الحاجة لـ«تفكير خلّاق» وإلى أهمية «النقد

[10] Human Rights Watch, “A Wasted Decade: Human Rights in Syria during Bashar al-Asad’s First Ten Years in Power,” July 16 2010.

البنّاء» و«الشفافية» وحتى «الديمقراطية» في تطوير البلاد. هذه النبرة الجديدة بعثت **آمالًا كبيرة** لدى قطاعات من السوريين بأن حقبة القمع الشمولي ربما تنتهي، ووصف ناشط حقوقي سوري آنذاك شعوره قائلًا إن خطاب بشار: "فتح لنا مساحة للأمل بعد سنوات الحكم التسلطي في عهد حافظ؛ وكأن كابوسًا قد انزاح". وبالفعل شهدت الأشهر الأولى من حكم بشار ما عرف لاحقًا باسم **"ربيع دمشق"** (٢٠٠٠-٢٠٠١)، حيث ازدهرت المنتديات السياسية في منازل المثقفين، وجرى نقاش علني نسبيًا حول الإصلاح والتعددية، وأفرج النظام عن مئات المعتقلين السياسيين في بادرة إيجابية. كما أغلق سجن المزّة السيئ السمعة في نهاية عام ٢٠٠٠، ما اعتُبر مؤشرًا على تغيير قادم.

إلا أن هذا الانفراج القصير لم يدم طويلًا؛ فقد **تراجعت السلطة سريعًا عنها** تحت ضغط أركان النظام الأمني وعقلية المحافظة على القبضة الحديدية، وبحلول أغسطس ٢٠٠١، كان النظام قد أنهى ربيع دمشق **باعتقالات** طالت أبرز المشاركين في المنتديات السياسية والنشطاء الذين طالبوا بالتغيير. امتلأت السجون مجددًا بأصحاب الرأي والمعارضين،[١١] وبينهم برلمانيون ومثقفون مثل رياض سيف وعارف دليلة وغيرهم. وثقت منظمات حقوقية اعتقال ما لا يقل عن ٩٢ ناشطًا سياسياً ومدافعًا عن حقوق الإنسان خلال السنوات الأولى من حكم بشار (حتى ٢٠١٠) لمجرد تعبيرهم السلمي عن آرائهم. وهكذا **أُجهض ربيع دمشق** وعادت قبضة الأمن لتتحكم في المجال العام كما كانت في عهد الأب، إن لم يكن بشكل أشد في بعض النواحي. ورأى محللون أن **ماهر الأسد** (شقيق بشار الأصغر) لعب دورًا في هذا التوجه المتشدد، إذ برز كأحد **صقور النظام** الذين أقنعوا بشار في شهوره الأولى بإنهاء الانفتاح السياسي المحدود حفاظًا على حكم العائلة.

خلال العقد الأول من حكم بشار، استمر **النهج الأمني السلطوي** بصورة كبيرة مع بعض التغييرات الشكلية. بقيت سوريا فعليًا دولة الحزب الواحد

[11] Human Rights Watch, "A Wasted Decade," chap. II; arrests of Riad Seif et al.

(حزب البعث) مع وجود الجبهة الوطنية التقدمية كواجهة، وظلّت **حالة الطوارئ** مفروضة حتى عام ٢٠١١ مما أبقى صلاحيات الأجهزة الأمنية مطلقة. استمرت المخابرات في **الاعتقال التعسفي والإخفاء القسري** لأي صوت ينتقد النظام، حيث يعتقل الأشخاص دون مذكرات قضائية ويبقون قيد الاحتجاز بمعزل عن العالم لأشهر أحيانًا. تعرض **النشطاء السياسيون والمدافعون عن حقوق الإنسان** للملاحقة المستمرة؛ فإلى جانب معتقلي ربيع دمشق، قام النظام باعتقال مجموعة كبيرة عام ٢٠٠٥–٢٠٠٦ عقب توقيعهم **إعلان دمشق** الذي دعا إلى إصلاح ديمقراطي، كما حُكم على ١٢ معارضًا بارزًا بالسجن عام ٢٠٠٨ بعد اجتماعهم في إطار إعلان دمشق. كذلك استهدفت السلطات الصحفيين والمحامين وجميع من تجرأ على انتقاد النظام علنًا، من ذلك اعتقال المحامي أنور البني والكاتب ميشيل كيلو في ٢٠٠٦ لمجرد مطالبتهم بالحريات. وتفيد التقارير أن **التعذيب** وسوء المعاملة استمرا بشكل منهجي في مراكز الاحتجاز السورية خلال هذه الفترة، شأنها شأن حقبة حافظ الأسد.

على الصعيد البنيوي، ورغم بعض التغييرات في وجوه المسؤولين، لم يحصل **تفكيك حقيقي لمنظومة الحكم الأمنية** التي أرساها الأسد الأب، بل أعاد بشار إنتاجها بقيادة **الحرس الجديد** المرتبط بالعائلة. فقد أحال بشار عددًا من رموز "الحرس القديم" إلى التقاعد وأحلّ محلهم شخصيات جديدة أكثر ولاءً له شخصيًا. كان **ماهر الأسد** أبرز هؤلاء، إذ تولّى قيادة **الحرس الجمهوري** (وهو قوة نخبة مكلفة بحماية العاصمة والنظام) وقيادة **الفرقة الرابعة المدرعة** في الجيش، والتي تعود جذورها إلى سرايا الدفاع التي قادها عمّه رفعت الأسد سابقًا. أصبحت وحدات ماهر هذه بمثابة **عماد القوة العسكرية للنظام** في الداخل، تضطلع بحماية النظام من أي تهديد داخلي محتمل. واشتهر ماهر بطبيعته المتشددة ونفوذه الكبير خلف الكواليس، حتى لقبه البعض بـ"رجل النظام القوي" أو "الظل الأمني" للرئيس. وقد أشارت تقارير إلى أن ماهر لعب دورًا محوريًا في **إحباط أي إصلاح سياسي جوهري** خلال العقد ٢٠٠٠–٢٠١٠ حفاظًا على قبضة العائلة على السلطة.

إضافة إلى ذلك، برز **دور العائلة الموسعة** في الاقتصاد ومفاصل الدولة بوضوح أكبر خلال عهد بشار. فأتاح توجه بشار نحو اقتصاد السوق المحدود نشوء طبقة جديدة من **أثرياء السلطة (الأوليغارشية)** المرتبطين بالنظام، كان في طليعتهم ابن خاله **رامي** مخلوف، حيث سيطر مخلوف خلال العقد الأول من الألفية على قطاعات حيوية في الاقتصاد السوري، منها الاتصالات (احتكار شركة سيرياتل للهواتف المحمولة)، والخدمات المصرفية والعقارية والتجارة، حتى قُدّرت ممتلكاته بأنها تمثل بين ٥٠ إلى ٦٠ بالمئة من الاقتصاد السوري قبل ٢٠١١.[١٢] استخدم مخلوف علاقته كابن لأخت حافظ الأسد وكابن خال الرئيس لتعزيز نفوذه التجاري، وبالمقابل اعتمد عليه النظام كمصدر لتمويل مشاريع السلطة وشبكات المحسوبية، ويصفه مراقبون بأنه "**ركيزة أساسية من ركائز النظام الاقتصادي** ."ولعلّ الأهمية المتعاظمة لمخلوف وعينة رجال الأعمال المرتبطين بالنظام أخلّت **بالعقد الاجتماعي** القديم؛ فبينما تمتعوا هم بامتيازات هائلة وثروات ضخمة، عانى المواطن العادي من البطالة ورفع الدعم وانسداد الأفق السياسي، مما زاد الاحتقان الشعبي. ومع بداية احتجاجات ٢٠١١، أصبح رامي مخلوف رمزًا رئيسيًا للفساد والاستغلال المرتبط بالأسرة الحاكمة.

على مستوى **السياسات الإعلامية والمجتمع المدني**، استمر النظام في عهد بشار بممارسة رقابة صارمة مع سماح محدود لمظاهر انفتاح شكلية. أصدر النظام قانونًا للمطبوعات عام ٢٠٠١ ووعد بقانون إعلام جديد، وسمح بظهور صحف خاصة لأول مرة منذ عقود، لكن **حرية التعبير** بقيت مقيدة للغاية. فسرعان ما أغلقت السلطات صحيفة "الدومري" الناقدة في ٢٠٠٣ عندما تجاوزت الخطوط الحمراء. أما الصحف الخاصة التي سُمح لها بالاستمرار فكانت مملوكة **لأشخاص من الدائرة الضيقة للنظام**؛ مثال ذلك صحيفة **"الوطن"** اليومية التي يملكها رامي مخلوف ابن خال الرئيس،

---

12 Lina Khatib, "Syria's Transactional State: How the Conflict Changed the Syrian State's Exercise of Power," Chatham House, 2011; *cf.* "Rami Makhlouf," Wikipedia (accessed 2025).

وصحيفة «بلدنا» الاجتماعية التي يديرها مجد بهجت سليمان نجل رئيس أحد الأجهزة الأمنية سابقًا. هذا النموذج يُظهر كيف أن أي هامش إعلامي جديد ظل **تحت سيطرة النظام** عبر أدواته وأقربائه. كما فرضت الرقابة المسبقة على كل المطبوعات عبر المؤسسة الحكومية للتوزيع، واستمرت عادة منع المقالات والتقارير التي تنتقد السلطة. ومع انتشار الإنترنت في منتصف العقد الأول من الألفية، سمح بشار الأسد للسوريين بالاتصال بالشبكة العالمية ولكن ضمن ضوابط مشددة؛ حيث قامت الأجهزة الأمنية **بحجب مئات المواقع** الإلكترونية (بما فيها مواقع التواصل والتدوين مثل فيسبوك ويوتيوب)، وتم اعتقال عدد من **المدوّنين والنشطاء الإلكترونيين** الذين نشروا آراء معارضة على الشبكة. على سبيل المثال، اعتُقل المدوّن كريم عربجي عام ٢٠٠٧ بسبب كتاباته، والطالبة طلّ المُلّوحي في ٢٠٠٩/١٢/٢٧ بتهمة الإساءة لصورة الدولة على الإنترنت. وهكذا وسّع النظام أدوات قمعه لتشمل الفضاء الإلكتروني الناشئ، لضمان عدم ظهور بديل إعلامي حر.

أما بالنسبة **للمجتمع المدني،** فقد سُمِح بتأسيس بعض الجمعيات الأهلية ومنظمات "غير حكومية" خلال هذه الفترة، لكن معظمها وُضع تحت رقابة شديدة، واشترط أن تنضوي تحت إشراف مباشر من شخصيات مقربة من النظام أو بعثية. أي نشاط مدني مستقل فعليًا كان يواجه بالمنع أو التضييق. حتى الجمعيات الخيرية أو التنموية التي برزت (مثل الأمانة السورية للتنمية برئاسة أسماء الأسد زوجة الرئيس) كانت جزءًا من منظومة السلطة الناعمة وليست مستقلة. بعبارة أخرى، ظلّ **المجتمع المدني المستقل مكبوتًا،** واقتصر الحراك الاجتماعي المسموح به على المبادرات التي لا تُهدد هيمنة النظام أو تلك التي يستطيع احتواءها وتوجيهها. وحتى الشخصيات الثقافية والدينية أُخضعت لشبكة الولاء؛ فتم احتواء بعض المشايخ وقادة الرأي ضمن مؤسسات الدولة، بينما أُزيح أو اعتُقل من رفض الاصطفاف مع نهج السلطة.

مع حلول عام ٢٠١٠ كانت صورة المشهد السوري واضحة :**انفتاح اقتصادي نسبي لصالح المقربين من السلطة، مقابل انغلاق سياسي كامل**

وتكميم للأفواه .لقد انقضى عقد على حكم بشار دون أي إصلاح سياسي حقيقي؛ فوعود **الديمقراطية والشفافية** التي أطلقها بقيت حبرًا على ورق، واستمر سجل حقوق الإنسان في التدهور. ويخلُص تقرير أصدرته منظمة مراقبة حقوق الإنسان (Human Rights Watch) عام ٢٠١٠ إلى أن بشار الأسد أخفق تمامًا في تحسين حالة حقوق الإنسان خلال عقده الأول في الحكم، إذ انصبّ اهتمامه على **فتح الاقتصاد جزئيًا** مع الإبقاء على القبضة الحديدية أمنيًا وسياسيًا. فبينما شهدت دمشق مظاهر حداثة اقتصادية وبنى تحتية جديدة استفاد منها الميسورون، ظلّ **المواطن السوري العادي يعيش تحت خطر السجن لمجرد انتقاد الرئيس أو التظاهر ضد سياسات الحكومة** .لم يتردد النظام في **سحق أي بادرة معارضة** مهما كانت محدودة: صحافي ينتقد مسؤولًا قد يُفصل من عمله أو يعتقل، تجمع طلابي يُحل ويعتقل منظموه، اعتصام سلمي يُفرق بالعصي واعتقالات بالجملة. وتواصل **قمع الأقليات القومية** أيضًا، حيث بقي الأكراد مثلًا محرومين من حقوق ثقافية أساسية وتعرضت احتجاجاتهم (كما حدث في القامشلي ٢٠٠٤) للقمع العنيف. كل ذلك تراكم ليشكّل **احتقانًا شعبيًا مكتومًا** تحت سطح ما يبدو استقرارًا مفروضًا بالقوة.

بحلول مطلع عام ٢٠١١، كانت سوريا دولة يسيطر عليها **نظام عائلي أمني** أحكم قبضته عبر عقود من الخوف، مع غياب أي متنفس سياسي أو مدني حقيقي. إلا أن هذا الواقع بدأ يتصدع مع اندلاع شرارة **الربيع العربي** في الجوار. ففي مارس ٢٠١١ خرجت في سوريا أولى المظاهرات الشعبية في درعا ثم باقي المدن، كاسرةً حاجز الصمت الطويل. لقد كان **انفجار الانتفاضة السورية عام ٢٠١١ نتيجة عقود من التطورات والقمع تحت حكم البعث وآل الأسد** .عند هذه اللحظة المفصلية **انكسر جدار الصمت والخوف** الذي ظلّ يحيط بالسوريين، وخرجت شرائح واسعة من الشعب تطالب بالحرية والكرامة متحديةً آلة القمع. ويمكن القول إن حقبة ١٩٧٠–٢٠١١ بأكملها – منذ تولي حافظ الأسد وانتهاءً بعشر سنوات من حكم بشار – كانت **تمهيدًا طويلًا** لانفجار الغضب المكبوت. فقد ورث بشار عن أبيه دولةً بنيت على

القمع والصوت الواحد، واستمر على النهج نفسه مع بعض التعديلات التجميلية، فكانت النتيجة تراكم احتقان هائل تحت السطح. وهكذا انتهت تلك المرحلة الثانية (٢٠٠٠–٢٠١١) بدخول سوريا في منعطف جديد مع انطلاق الثورة الشعبية، التي كسرت جدار الصمت، الذي بني طوال أربعة عقود من حكم آل الأسد، لتفتح فصلًا مأساويًا جديدًا في تاريخ سوريا اللاحق.[١٣]



[13] International Crisis Group, "Popular Protest in North Africa and the Middle East (VI): The Syrian People's Slow-Motion Revolution," Middle East Report No. 108, July 2011.

(٢)

البنية الأمنية والاقتصادية للنظام – كيف حَكم الأسدُ سوريا؟

لم يكن نظام الأسد نظامًا سياسيًا تقليديًا يمكن وصفه بالمؤسساتي، أو بمفهوم الدولة الحديثة التي تقوم على الشرعية والتداول السلمي للسلطة. بل كان نظامًا مركّبًا يقوم على **شبكة سلطوية مغلقة**، تمزج بين الأمن والاقتصاد والطائفة والولاء الشخصي، تُدار بمنطق القوة، ويهيمن عليها رأس السلطة بوصفه المرجعية الوحيدة. في هذا الفصل نستعرض المكونات الأساسية التي شكلت بنية النظام السوري في عهد آل الأسد، وخصوصًا حافظ الأسد ومن بعده بشار، مع التركيز على تداخل أدوات السيطرة التي استخدمت لخنق الدولة والمجتمع.

أولاً: دولة الأجهزة الأمنية – الحكم بمنطق الخوف

منذ اللحظة الأولى لتسلّمه السلطة عام ١٩٧٠، أدرك حافظ الأسد أن حكمه لا يستند إلى شرعية انتخابية، وأن حزب البعث لا يشكل حاضنة شعبية كافية. لذلك شرع في بناء دولة أمنية هي في الحقيقة "الدولة الحقيقية"، بينما تحوّلت بقية المؤسسات – الحكومة، البرلمان، القضاء – إلى واجهات شكلية.

تم توزيع المهام الأمنية بين أجهزة متعددة، أبرزها:

١. إدارة المخابرات العامة (أمن الدولة)

٢. شعبة المخابرات العسكرية

٣. شعبة الأمن السياسي

٤. شعبة مخابرات القوى الجوية

٥. الأمن الجنائي وأفرع التحقيق

كان لكل جهاز سجونه، ومكاتبه، ومخترقوه المزروعون في كل مؤسسة من مؤسسات الدولة والمجتمع. هذا التعدد المقصود كان يهدف إلى **تفتيت السلطة الأمنية ومنع تركزها،** بحيث تخضع جميع الأجهزة في النهاية لرقابة متبادلة تنتهي بولاء فردي للرئيس.[١]

الولاء الشخصي كان هو المعيار الأهم في التعيين والترقية داخل هذه الأجهزة. وقد أدى ذلك إلى نشوء **طبقة أمنية عليا** لا تخضع لأي مساءلة، وتتصرف بسلطة مطلقة. هذا النظام الأمني نشر ثقافة الخوف في المجتمع السوري، حيث بات الناس يخشون الحديث حتى في بيوتهم، وانتشرت عبارة "الحيطان لها آذان" حتى غدت جزءاً من التحياة اليومية[٢] لتعبّر عن حال شعب يعيش في دولة بوليسية بامتياز.

ثانيًا: الاقتصاد الخاضع – من الاشتراكية إلى رأسمالية "المحاسيب"

في بدايات حكم حافظ الأسد، كانت سوريا تتبنى اقتصادًا اشتراكيًا موجّهًا، يعتمد على التخطيط المركزي، وتأميم القطاعات الحيوية. لكن مع توريث الحكم لبشار الأسد عام ٢٠٠٠، بدأ ما أُطلق عليه "الانفتاح الاقتصادي" أو ما عرف لاحقًا بـ"اقتصاد السوق الاجتماعي."

غير أن هذا التحول لم يكن ليبرالية اقتصادية حقيقية، بل كان انتقالًا إلى **نموذج أوليغارشي مافيوي،** تُدار فيه الثروات العامة من قِبل نخبة صغيرة مرتبطة بالرئاسة، في مقدمتهم **رامي مخلوف،** ابن خال الرئيس. حصل

[1] Nikolaos Van Dam, *The Struggle for Power in Syria: Politics and Society under Asad and the Baʿth Party*, 4th ed. (London: I.B. Tauris, 2011), 58–65.

[2] Lisa Wedeen, *Ambiguities of Domination: Politics, Rhetoric, and Symbols in Contemporary Syria* (Chicago: University of Chicago Press, 1999), 24–30.

مخلوف على امتيازات واسعة في الاتصالات، والمصارف، والتجارة، والعقارات، حتى بات يُسيطر على ما يقارب نصف الاقتصاد السوري،[٣] حسب بعض التقديرات.

تحوّلت عمليات الخصخصة إلى **آليات لنقل الثروة العامة إلى أيدي قلة مرتبطة بالحكم**. كما جرى التضييق على القطاع الخاص المستقل، وفرضت عليه ضرائب وإتاوات، جعلت كثيرًا من رجال الأعمال يخضعون للابتزاز أو الشراكة القسرية مع شخصيات أمنية.

مع الوقت، تآكلت الطبقة الوسطى، وارتفعت معدلات الفقر والبطالة، وأصبحت **الرشوة هي الآلية الأساسية لإنجاز أي معاملة**. بهذا تحوّل الاقتصاد من أداة تنمية إلى وسيلة استتباع وقهر، ضمن هيكل سلطوي يجعل الولاء السياسي بوابة الوصول إلى السوق.[٤]

ثالثاً: السلاح الطائفي – بناء منظومة حكم ضامنة من الأقليات

رغم تمسّك النظام بشعارات الوحدة الوطنية، فإن بنية الدولة كانت تقوم على **تحالف طائفي غير معلن**. فقد سيطر أبناء الطائفة العلوية – التي ينتمي إليها آل الأسد – على المناصب الحساسة في الجيش والأجهزة الأمنية، مع استثناءات محسوبة لباقي الطوائف لإعطاء صورة من «التوازن الوطني».[٥]

هذا التمركز الطائفي في مفاصل السلطة لم يكن انعكاسًا لتمثيل ديموغرافي، بل استراتيجية **تحصين للنظام** عبر الاعتماد على شريحة محددة يُربط مصيرها بمصير الحاكم. ومع الزمن، أصبح كبار ضباط الجيش والمخابرات من بيئة اجتماعية محددة، تشكلت بينهم شبكات مصالح ونفوذ.

---

[3] Lina Khatib, "Networks of Power in Assad's Syria" (Chatham House Report, 2011), 9–13.
[4] Syrian Network for Human Rights, "The Security Economy in Syria" (2017), sec. II.
[5] Van Dam, *Struggle for Power*, 96–102.

لم يفرض النظام الطائفية على المجتمع، بل فرضها على **السلطة ومفاصلها**، فخلق حالة من **العزلة المتبادلة** بين مؤسسات الحكم والقاعدة الشعبية الأوسع، خصوصًا في المدن السنية الكبرى.[٦] وهذا ما أدّى إلى اهتزاز مفهوم "الدولة الوطنية"، وتآكل الثقة بين فئات المجتمع، وهو ما ظهرت آثاره بقوة مع انطلاق الثورة.

رابعاً: التعليم والإعلام – تشكيل الإنسان الخاضع

لم يكن النظام غافلًا عن خطورة الكلمة والفكر، لذلك سيطر على قطاع التعليم منذ المراحل الأولى. أصبحت المدارس والجامعات مؤسسات لإنتاج **المواطن الصامت** :يُلقَّن لا يُفكّر، يُردّد لا يُناقش. اختُزلت المناهج في تمجيد حزب البعث، وتمحورت دروس "القومية" و"التربية الوطنية" حول إنجازات القائد ومشروعه التوحيدي.

أُخضعت الجامعات للرقابة الأمنية، وزُرع الطلاب المخبرون في كل قاعة، وتحول العمل الأكاديمي إلى ميدان للولاء السياسي، فغابت الجودة، وانكمشت الحريات، وهاجرت العقول.

أما الإعلام، فكان نسخة مكرّرة من أجهزة الأمن. لا مجال فيه للنقد أو الاستقلال، بل مجرد أداة دعائية تُعيد إنتاج خطاب السلطة. الصحف الرسمية كـ«الثورة» و«تشرين» لم تكن إلا نشرات تمجيد يومية،[٧] والمذيعون لم يكونوا صحفيين، بل أدوات بثّ لتوجيه الرأي العام.

حتى الإنترنت الذي دخل سوريا متأخرًا، حُجب جزء كبير منه، ومورست رقابة مشددة على المدونين، وأُعتقل كل من استخدمه للتعبير الحر. كانت كل نافذة ممكنة للحوار تُغلق، وكل منصة محتملة للنقد تُكسر.[٨]

---

6 International Crisis Group, "Syria Under Bashar (I): From Dominance to Collapse?" *Middle East Report* No. 24 (2004), 5–7.
7 Wedeen, *Ambiguities of Domination*, 151–156.
8 Human Rights Watch, "A Wasted Decade: Human Rights in Syria during Bashar al-Asad's First Ten Years in Power," (July 2010), chap. III.

بهذه البنية المتشابكة – أمنية، اقتصادية، طائفية، إعلامية – حكم الأسد سوريا. دولة تَحكم لا بالقانون، بل بالخوف، وتبني شرعيتها على الولاء لا الإنجاز. وقد نجحت هذه المنظومة في قمع أي معارضة لعقود، لكنها حين واجهت أول زلزال شعبي عام ٢٠١١، تبيّن أن ما كان يبدو استقرارًا لم يكن سوى **غطاء هشٍّ للاستبداد** .ومع انكشاف عورات النظام أمام الداخل والخارج، بدأت منظومة الأسد تتآكل من الداخل، تمهيدًا لانهيارها في وجه ثورة الشعب.



(٣)

ربيع العرب وبوادر التململ في الشارع السوري

شرارة تونس التي حرّكت العرب

في أواخر عام ٢٠١٠، شهد العالم العربي حدثًا فارقًا غيّر وجه المنطقة لعقود. فقد أضرم الشاب التونسي محمد البوعزيزي النار في جسده أمام مبنى محافظة سيدي بوزيد احتجاجًا على الفقر والبطالة والذلّ، فانفجرت إثر ذلك احتجاجات شعبية أطاحت خلال أسابيع بنظام الرئيس زين العابدين بن علي. لم يكن ما جرى في تونس حدثًا محليًا، بل سرعان ما انتقل كعدوى إلى دول عربية أخرى، ليشكل ما أصبح يُعرف لاحقًا باسم "الربيع العربي."[١]

في مصر، امتلأت شوارع القاهرة والميادين الكبرى بجماهير تهتف للحرية والكرامة، وأسقطت نظام حسني مبارك الذي حكم البلاد ثلاثين عامًا. في ليبيا واليمن والبحرين، تكررت المشاهد ذاتها مع اختلاف السياقات المحلية، لكن القاسم المشترك كان واحدًا: الشعوب قررت أن الخوف لم يعد يُجدي، وأن الأنظمة لم تعد أقدارًا مقدّسة،[٢] بل كوابيس قابلة للكسر.

---

[1] Carnegie Middle East Center, "Syria's Muted Spring," 2011.

[2] Human Rights Watch, "We've Never Seen Such Horror: Crimes Against Humanity by Syrian Security Forces," June 2011, 7–9.

رياح التغيير تهبّ على سوريا

في دمشق، كان رد الفعل الرسمي مزيجًا من الثقة الزائفة والإنكار. روّج الإعلام السوري لرواية "الخصوصية السورية"، مؤكدًا أن سوريا مختلفة،[٣] فهي "قلعة الممانعة" ضد إسرائيل، و"المحرّك القومي" في قضايا الأمة، و"القلعة الصامدة" ضد المشروع الأمريكي في المنطقة. صوّر النظام نفسه كمن يقود محورًا مقاومًا لا يمكن أن يُمسّ، واستند إلى حاضنة سياسية تراهن على الخوف من البديل، خاصة في ظلّ مشاهد الدمار التي خلفها الغزو الأمريكي للعراق.

ورغم أن هذا الخطاب وجد صداه عند بعض الشرائح، خصوصًا ضمن الطبقة الوسطى المستفيدة أو الفئات الحذرة من التغيير، إلا أن **ما لم يدركه النظام أن الغضب الشعبي كان أعمق من الشعارات** .فالفساد استشرى، والبطالة ارتفعت، والتعليم انحدر، واحتكار الثروة تركز في يد قلة متنفذة. بينما ظلّت جراح الماضي، مثل **مجزرة حماة ١٩٨٢**، والاعتقالات التعسفية، وفقدان عشرات الآلاف في السجون، حاضرة في وجدان المجتمع السوري[٤] كندوب لم تندمل.

وهكذا، عندما رأى السوريون سقوط مبارك وبن علي، بدأ سؤال جديد يتردد في الشارع :**لماذا لا يحدث ذلك عندنا؟** وهل الأسد فعلاً "قدَر" لا مفرّ منه؟ لقد بدأت فكرة الثورة تخرج من هامش المستحيل إلى حيز الممكن.

قبل درعا: ملامح التململ

رغم أن شرارة الثورة السورية بدأت فعليًا من درعا في مارس ٢٠١١، إلا أن الشهور التي سبقتها كانت حبلى بالمؤشرات التي تدل على **تململ داخلي يتصاعد بهدوء**.

---

[3] Lisa Wedeen, *Ambiguities of Domination: Politics, Rhetoric, and Symbols in Contemporary Syria* (Chicago: University of Chicago Press, 1999), 155–158.

[٤] ميساء الزعبي، *سوريا: من الثورة إلى الدولة الفاشلة* (بيروت: دار رياض الريّس، ٢٠١٥)، ٤١–٤٦.

أول هذه المؤشرات كان في **الفضاء الإلكتروني**، حيث ظهرت منتديات ومدونات ومنشورات فيسبوك تنتقد أداء الدولة، وتطالب بالإصلاح ورفع القبضة الأمنية.[٥] ورغم الرقابة، استطاع الكثيرون التعبير عن غضبهم بلغة جديدة، مختلفة عن الخطاب التقليدي، وأكثر جرأة.

في فبراير ٢٠١١، نظّم عدد من أهالي المعتقلين وقفة أمام وزارة الداخلية بدمشق، للمطالبة بالإفراج عن ذويهم، في مشهد غير مألوف في سوريا[٦] التي اعتادت على "الجماهير المؤيدة" فقط. كما بدأت تُنشر بيانات لمثقفين وشخصيات عامة تدعو إلى "إصلاح تدريجي" و"تحرير الحياة السياسية"، وهي لغة لم تكن تُسمع من قبل بهذا الوضوح.

في المقابل، **كان ردّ الأجهزة الأمنية استعلائيًا وساخرًا**، وظنّت أنها تستطيع إنهاء هذه التحركات المحدودة بسرعة. لكن ما لم تفهمه تلك الأجهزة هو أن **الشعب نفسه قد تغيّر**، وأنه لم يعد ذلك المواطن المكسور الخائف الذي يخشى ظلال الدولة.

الخوف يتآكل: الشرط النفسي للثورة

الخوف، الذي كان الأداة الأهم لبقاء النظام، بدأ يتآكل ببطء. هذا التآكل لم يكن نتيجة تحرّك سياسي منظم، بل نتيجة **تغير في الوعي الجماعي** .لم يعد الناس يرون في السكوت حكمة، بل خنوعًا. ولم تعد الشجاعة عملًا متهورًا، بل ضرورة.

لم ينقل الربيع العربي إلى السوريين مجرد الأخبار، بل **نقل إليهم معنى جديدًا للخوف والشجاعة**: صار التظاهر فعلَ كرامة لا تهوّراً، وتحوّلت

٥ الشبكة السورية لحقوق الإنسان، تقرير "الحراك المدني قبل آذار ٢٠١١"، ٢٠١٧، ص٣-٤
٦ نفسه، ص٥-٦

الشجاعة من استثناء إلى ضرورة[٧]، والتغيير هدفًا ممكنًا بعد أن كان خيالًا بعيدًا.

وهكذا بدأ الشرخ يظهر في جدار الصمت الطويل. وكانت لحظة درعا – حين اعتُقل أطفال كتبوا شعارات من وحي الربيع العربي – هي الشرارة، لكنها لم تكن المفاجأة. كانت النتيجة الطبيعية لسنوات من التراكم والاحتقان.[٨]

ثورة منتظرة... لا مستوردة

خلافًا لادعاءات النظام بأن ما جرى في سوريا كان "استنساخًا لمؤامرة خارجية"، فإن الحقيقة أن **الثورة السورية كانت استجابة داخلية خالصة لتاريخ طويل من الإقصاء والقمع والتهميش**. ربيع العرب لم يزرع الثورة في سوريا، بل أيقظها. لم يأتِ غريبًا، بل حرّك ذاكرةً وجرحًا، وحلمًا مؤجلاً.

لقد كان السوريون بحاجة فقط إلى كسر الحاجز النفسي، والحافز الخارجي كان كافيًا ليعيد إليهم شجاعتهم وحقهم في الحلم.[٩]



[٧] زاهر خليل، *سوريا والثورة: قراءة تحليلية في المقدمات والتداعيات* (إسطنبول: مركز حرمون، ٢٠١٧)، ٢٢-٢٥.

[8] Human Rights Watch, "We've Never Seen Such Horror," 11–13.

[9] International Crisis Group, "Syria's Popular Protest: From Spontaneity to Struggle," *Middle East Report* No. 108, July 2011, 2–4.

(٤)

المعارضة قبل الثورة – أصوات مقموعة ومحاولات خافتة

لطالما خضعت سوريا لنظام أمني سلطوي أحكم قبضته على الدولة والمجتمع لعقود. ورغم مظهر السكون الذي فرضه هذا النظام، كانت تحت السطح تتململ معارضة متفرقة، وأصوات خافتة تطالب بالإصلاح السياسي والحريات العامة، لكنها قوبلت دائمًا بالقمع والتهميش. يسلّط هذا الفصل الضوء على ملامح المعارضة السورية قبل عام ٢٠١١، ويحلل أسباب ضعفها وتشتتها رغم تراكم عوامل الانفجار في المجتمع السوري.

الأحزاب المعارضة التاريخية: القمع والتآكل

شهدت الساحة السياسية السورية منذ أوائل الثمانينيات تفريغًا قسريًا للمعارضة. كانت جماعة الإخوان المسلمين هي الفصيل الأكثر تنظيمًا وفعالية قبل أحداث حماة ١٩٨٢، لكنها بعد المجزرة الكبرى التي ارتكبها النظام، دخلت في حالة شلل تام[١] نتيجة القمع والتهجير، وصدر القانون ٤٩ لعام ١٩٨٠ الذي يُجرّم مجرد الانتماء إليها بعقوبة الإعدام.

تعرّضت بقية الأحزاب اليسارية والقومية أيضًا، مثل **الحزب الشيوعي-جناح المكتب السياسي** (بقيادة رياض الترك)، و**حزب العمل الشيوعي**، لحملات اعتقال واسعة، وتفكيك خلاياها التنظيمية. وجد معظم رموزها

---

١ دام فان نيقولاوس، *الصراع على السلطة في سوريا: الطائفية والإقليمية والعشائرية في السياسة* (بيروت: مركز دراسات الواحدة العربية، ١٩٩٦)، ١٢٢-١٢٦.

أنفسهم في السجون أو المنافي،[٢] بينما ظلّت القواعد الشعبية بعيدة نسبيًا، إما خوفًا أو بسبب غياب الرؤية.

تحت ضغط القبضة الأمنية، اختفت الأحزاب السياسية من المشهد العام، ولم يُسمح سوى بوجود أحزاب موالية منضوية تحت "الجبهة الوطنية التقدمية" التي شكلها النظام لإضفاء واجهة تعددية شكلية على حكم الحزب الواحد.

ربيع دمشق (٢٠٠٠–٢٠٠١): انفراجة قصيرة وانكفاء سريع

مع تولي بشار الأسد الحكم بعد وفاة والده عام ٢٠٠٠، ساد مناخ من التفاؤل الحذر بين النخب الثقافية والسياسية. ظهر ما عُرف لاحقًا بـ"ربيع دمشق" حيث شهدت البلاد ازدهارًا للمنتديات السياسية والثقافية، التي أقيمت في بيوت مثقفين وناشطين للمطالبة بالإصلاح السلمي، وفُتحت نقاشات حول الدستور، والحريات العامة، وإلغاء قانون الطوارئ.

لكن هذه الحيوية السياسية لم تدم سوى أشهر قليلة، إذ سرعان ما أعادت الأجهزة الأمنية فرض سيطرتها. شُنّت حملة اعتقالات طالت شخصيات بارزة من النشطاء والمثقفين، مثل **ميشيل كيلو**، **عارف دليلة**، و**رياض سيف**، مُرسِلةً رسالةً واضحة أنّ سقف الإصلاح لا يتجاوز الولاء للرئاسة.[٣] وهكذا تم إنهاء المنتدى المدني والسياسي، كما أُغلقت المنافذ الإعلامية المستقلة أو نصف المستقلة.

انطفأ ربيع دمشق بسرعة، ووجّه النظام رسالة واضحة مفادها أن الإصلاح السياسي خارج نطاق المسموح، وأن أي تحرّك خارج سقف الولاء للرئاسة مآله السجن أو المنفى.

---

[٢] مراقبة حقوق الإنسان (HRW) "سوريا – قمع المعارضة السياسية" (تقرير، شباط/فبراير ٢٠٠٩)، ٥-٨.

[٣] برهان غليون، *بيان من أجل الديمقراطية* (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١)، ٤٣-٤٨. ميشيل كيلو، *كتابات سياسية من السجن والمنفى* (بيروت: دار الريس، ٢٠١٣)، ٥٥-٥٩.

إعلان دمشق (٢٠٠٥): تحالف هشّ في مواجهة سلطة راسخة

في عام ٢٠٠٥، اجتمعت قوى سياسية ومدنية متعددة من تيارات قومية، ويسارية، وإسلامية معتدلة، وشخصيات مستقلة، لتشكيل **"إعلان دمشق للتغيير الديمقراطي."** دعا الإعلان إلى إصلاحات دستورية، والتداول السلمي للسلطة، واحترام حقوق الإنسان، وكان أول محاولة جدية لبناء جبهة وطنية معارضة تشمل أطيافًا مختلفة من المعارضة.

رغم ما حمله الإعلان من تطلعات، إلا أنه لم ينجح في كسر الحصار السياسي. تعرّض الموقعون عليه لحملات تشهير، ثم اعتقال وملاحقة، وكان أبرزها اعتقال ١٢ شخصية في عام ٢٠٠٨ بعد اجتماع للمجلس الوطني المنبثق عنه. وافتقر الإعلان كذلك إلى قاعدة جماهيرية، إذ لم يُواكب بخطاب شعبي يتواصل مع الشارع السوري، الذي ظل بمعظمه خارج حلبة السياسة المنظمة.[٤]

المعارضة في الشتات: محاولات الخارج وعزل الداخل

وجدت غالبية أطياف المعارضة السورية نفسها مضطرة للعمل من الخارج، خاصة في أوروبا ولبنان وتركيا. سعت هذه المعارضة في المنفى إلى بناء مؤسسات بديلة، وتنظيم مؤتمرات، والضغط الدولي على النظام.

لكن المعارضة الخارجية واجهت تحديات متعددة:

- **الانقسامات الأيديولوجية** بين تيارات إسلامية، وعلمانية، وقومية.
- **الافتقار إلى قاعدة دعم شعبي داخل سوريا،** نتيجة الانفصال الجغرافي والنفسي عن معاناة الناس اليومية.

---

٤ انظر: بيان «إعلان دمشق للتغيير الوطني الديموقراطي» (٢٠٠٥)، النص الكامل محفوظ في أرشيف المركز السوري للإعلام وحرية التعبير؛ رزان زيتونة وآخرون، "مراجعة نقدية لتجربة إعلان دمشق" (مركز حرمون، ٢٠١٨)، ١١-١٤.

- **غياب الدعم الدولي الحقيقي** بسبب حسابات القوى الكبرى، واستمرار التعامل مع النظام بوصفه "شرعيًا" حتى اندلاع الثورة.
- **الاختراق الأمني** :إذ تمكن النظام من زرع الشكوك والانقسامات داخل الأوساط المعارضة، مما أدى إلى ضعف التنسيق وشلل المبادرة.[٥]

أخطاء المعارضة قبل الثورة

١. **انقسام القوى**: عجزت المعارضة عن توحيد صفوفها في تحالف قوي له رؤية موحدة.

٢. **ضعف الاستراتيجية**: لم تُطرح خطة جدية لكسر القبضة الأمنية، أو لخلق حراك سياسي متدرج وفعّال.

٣. **غياب الحضور الشعبي** نتيجة الخطاب النخبوي وعزوف الشارع المُرهَق اقتصادياً وأمنياً.[٦]

٤. **الخطاب النخبوي** :ركّزت المعارضة على شعارات سياسية عامة دون مخاطبة الواقع الاقتصادي والاجتماعي للناس.

كل ذلك أدّى إلى **فجوة عميقة** بين النخب المعارضة والشارع السوري، مما جعل انطلاقة الثورة في مارس ٢٠١١ مفاجئة ليس فقط للنظام، بل حتى للمعارضة نفسها. فالمجتمع الذي ظن الجميع أنه مُخدر وغير معني بالشأن العام، خرج يهتف من أعماق القهر: "الشعب يريد إسقاط النظام". ومنذ تلك اللحظة، دخلت سوريا مرحلة جديدة، أُجبرت فيها المعارضة التقليدية على اللحاق بحدث تجاوزها، وأعيد تشكيل معادلة الفاعلين السياسيين بالكامل.

---

[5] Lina Khatib, “Networks of Power in Assad’s Syria” (Chatham House Report, 2011), 18-20.

[٦] عبد الرحمن الحاج، *الإسلاميون السوريون: تاريخ المعارضة والحراك المدني* (بيروت: الشبكة العربية، ٢٠١٦)، ٩٧-١٠٣.

(٥)

وجوه المعارضة – أبرز الشخصيات وصراعها مع النظام

الصوت الفردي في وجه النظام

لم تكن المعارضة السورية قبل الثورة مؤسسة موحدة أو جبهة سياسية متماسكة، بل تمثّلت غالبًا في أصوات فردية، مثقفين وناشطين وقادة سياسيين حاولوا – ضمن حدود الممكن – كسر جدار الصمت، وكشف استبداد النظام، والدعوة إلى الديمقراطية. لقد واجهت هذه الشخصيات الثمن الباهظ لمحاولتها التعبير: سجن، منفى، تضييق أمني، تشهير، أو اختفاء قسري.

نستعرض هنا أبرز تلك الأسماء التي صمدت في وجه النظام قبل الثورة، ومواقفها، والمصير الذي واجهته.

ميشيل كيلو: المثقف المناضل

يُعد ميشيل كيلو من أبرز رموز المعارضة الديمقراطية السورية. وُلد في اللاذقية عام ١٩٤٠، وكان صحفيًا ومترجمًا ومثقفًا ملتزمًا بقضايا الحريات. شارك في صياغة "إعلان دمشق" عام ٢٠٠٥، ودعا إلى إصلاح سلمي تدريجي، مؤكدًا على قيم التعددية والدولة المدنية. اعتُقل مرات عديدة، أبرزها عام

٢٠٠٦ بعد توقيعه "إعلان بيروت–دمشق"،[٧] وقضى ثلاث سنوات في سجن عدرا.

رغم الضغوط والاعتقال، لم يترك كيلو العمل العام، واستمر في الكتابة والدعوة للحوار. بعد الثورة، ساهم في تشكيل "المنبر الديمقراطي السوري"، ثم انخرط في الائتلاف الوطني المعارض، قبل أن يتوفى عام ٢٠٢١ في باريس متأثرًا بفيروس كورونا.

رياض سيف: رجل الأعمال المنشق

كان رياض سيف من الوجوه النادرة التي جمعت بين العمل الاقتصادي والسياسي. نائب سابق في مجلس الشعب، دعا إلى كشف الفساد وتحديدًا ملف احتكار الهواتف المحمولة، مما أغضب الدائرة الضيقة المرتبطة برامي مخلوف. أسس "منتدى الحوار الوطني" خلال ربيع دمشق، واعتُقل بعد فترة قصيرة.

قضى سنوات في الاعتقال، ثم وُضع تحت الإقامة الجبرية. بعد انطلاق الثورة، انضم إلى المعارضة في الخارج، وكان أحد مؤسسي الائتلاف الوطني السوري، وتولى رئاسته لاحقًا لفترة قصيرة.[٨]

عارف دليلة

أستاذ الاقتصاد الذي حوكم عام ٢٠٠٢ بعد محاضرة عن الفساد واحتُجز تسعة أعوام في الحبس الانفرادي، رمزاً لكلفة الكلمة الحرّة.[٩]

رزان زيتونة: المرأة التي واجهت النظام بالكلمة

---

[٧] ميشيل كيلو، *كتابات سياسية من الاعتقال والمنفى* (بيروت: دار رياض الريّس، ٢٠١٠)، ٥٥-٥٩؛ مراقبة حقوق الإنسان، "سوريا: سنوات من الاعتقال والتعذيب" قسم ٣، (٢٠٠٩).

[٨] مراقبة حقوق الإنسان (هيومن رايتس ووتش)، "سوريا – قمع المعارضة السياسية" (تقرير شباط/فبراير ٢٠٠٩)، ١٢-١٥.

[٩] برهان غليون، *بيان من أجل الديمقراطية* (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١)، ٤٣-٤٦.

محامية وناشطة حقوقية، وُلدت عام ١٩٧٧، وعُرفت بعملها الدؤوب في الدفاع عن المعتقلين وضحايا التعذيب، ومشاركتها في تأسيس "لجان التنسيق المحلية" بعد انطلاق الثورة. قبل ٢٠١١، كانت تنشر تقارير موثقة عن انتهاكات حقوق الإنسان، وتعرضت للمراقبة والمضايقة والتهديد.

بعد الثورة، انتقلت للعمل السري داخل الغوطة الشرقية، حيث اختطفت مع زوجها ورفاقها في دوما عام ٢٠١٣، في ظروف غامضة، ولم يُعرف مصيرها حتى اليوم.[١٠] تمثل رزان وجهًا مضيئًا لمدنية الثورة، وشجاعة الفرد أمام الاستبداد والظلامية معًا.

عبد الحكيم خلف: صوت شيوعي في زمن العسكرة

أحد رموز الحزب الشيوعي السوري–جناح المكتب السياسي، ومن المعارضين الأوائل الذين دعوا إلى إسقاط النظام الأمني. تعرض للاعتقال عدة مرات في الثمانينيات، وشارك في جهود إعلان دمشق لاحقًا. عُرف بموقفه النقدي من استبداد البعث ومن عسكرة الحياة السياسية، لكنه بقي على الهامش بسبب الهجمة المزدوجة: قمع النظام، وتراجع تأثير اليسار.[١١]

مصطفى حمزة: العمل المعارض من الخارج

ناشط سياسي وحقوقي، عمل في الدفاع عن قضايا الحريات منذ الثمانينيات. شارك في تنظيم فعاليات تضامنية مع المعتقلين، وكان على تواصل مع أطراف في الداخل. ركّز عمله على توثيق الانتهاكات الأمنية والدفاع عن ضحايا القمع. ورغم أن نشاطه ظل خارج الأضواء، إلا أنه مثّل نموذجًا للمعارضة المستمرة رغم الشتات والتضييق.



[١٠] الشبكة السورية لحقوق الإنسان، "معتقلو الرأي في سوريا (٢٠٠٧ – ٢٠١١)" (٢٠١٢)، ٨-١٠.

[١١] رزان زيتونة وآخرون، "مراجعة نقدية لتجربة إعلان دمشق" (مركز حرمون، ٢٠١٨)، ١١-١٤.

المعتقلون الإسلاميون – صمود في وجه القمع

خلفية الصراع: من الثورة المسلحة إلى الملاحقة المستمرة

بعد المواجهة المسلحة بين جماعة الإخوان المسلمين والنظام السوري أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات، والتي انتهت بمجزرة حماة، دخلت الحركة الإسلامية السورية في مرحلة سرية أو خارجية. صدر القانون ٤٩ لعام ١٩٨٠ ليُجرم الانتماء للإخوان بعقوبة الإعدام. تسبّب ذلك في ملاحقة عشرات آلاف الإسلاميين، وإيداعهم في السجون أو نفيهم.

امتدت دائرة القمع لتشمل أيضًا **التيارات السلفية والإسلاميين المستقلين**، إذ ربط النظام بين أي نشاط إسلامي – حتى الدعوي – والإرهاب أو التهديد لأمن الدولة.

سنوات الاعتقال: صيدنايا والمزة وتدمر

اعتُقل آلاف الإسلاميين دون محاكمات عادلة، وكانوا يُزجّون في السجون سيئة السمعة مثل **صيدنايا** و**تدمر** و**المزة** .تراوحت التهم بين الانتماء إلى تنظيم محظور، ونشر أفكار دينية "متشددة"، وصولًا إلى الشبهة فقط دون أدلة.

شهدت هذه السجون **انتهاكات واسعة** :تعذيب جسدي ونفسي، عزل انفرادي طويل، حرمان من الزيارات، وممارسات مهينة بحق المعتقلين، وثقت كثير منها منظمات حقوق الإنسان،[12] ومنها شهادات ناجين نشرت بعد الثورة.

بين الدعوة والرصانة: السلفيون في مرمى القمع

شملت الاعتقالات كثيرًا من شباب المساجد والدعاة المستقلين ممن لا علاقة لهم بالإخوان المسلمين. اتُّهم هؤلاء بـ"نشر السلفية" أو "تهديد

---

[12] Human Rights Watch, “Syria: Torture Centers Revealed” (July 2012), 2-4.

السلم الأهلي". وقد قضى بعضهم سنوات دون تهمة، وكانوا يتعرضون للضغط لتقديم ولاء أمني مقابل الإفراج.

وتميز هؤلاء بأنهم **لم يحملوا السلاح، بل دعوا إلى إصلاح سلمي**، وهو ما يُظهر أن النظام لم يفرّق بين من يعارضه علنًا أو سلميًا أو فكريًا – كل معارضة، أياً كان نوعها، كانت جرمًا يعاقب عليه.

السجون كمحاضن فكرية ومعنوية

رغم محاولات النظام سحقهم، شكّلت السجون السورية بيئة لتبادل الأفكار بين الإسلاميين، وتشكيل وعي سياسي جمعي. خرج كثير من المعتقلين بخبرة تنظيمية ونفسية عالية، أهلتهم لاحقًا للعب أدوار في الثورة، سواء عبر التظاهر، أو القيادة السياسية، أو العمل العسكري. توجّه البعض إلى تشكيل **فصائل مسلحة** بعد انطلاق الثورة، وانخرط آخرون في **الائتلاف السياسي أو العمل الحقوقي** السلمي.[١٣] كانت تجربتهم في الاعتقال شهادة على قسوة النظام، لكنها أيضًا برهنت على مدى إيمانهم بقضيتهم.

المصير: من السجون إلى الميادين

مع بداية الثورة السورية، لجأ النظام إلى الإفراج عن بعض المعتقلين الإسلاميين، غالبًا في سياقات محسوبة. البعض هرب خارج البلاد بعد الإفراج عنه، والبعض الآخر أعيد اعتقاله لاحقًا، بينما ظل كثيرون مجهولي المصير. لكن من المؤكد أن **السجون لم تقتل إرادة هؤلاء**، بل غذّتها، وجعلت منهم نواة مقاومة جديدة، أكثر وعيًا وإصرارًا. إن تجربة المعتقلين الإسلاميين، رغم كل ما فيها من مآسي، شكّلت عنصرًا مفصليًا في **تشكل المعارضة الشعبية الجديدة** التي ظهرت بقوة في ٢٠١١.

---

[١٣] عبد الرحمن الحاج، *الإسلاميون السوريون: من المواجهة إلى الثورة* (بيروت: الشبكة العربية، ٢٠١٦)، ٩٧-١٠٣.

الباب الثاني

الثورة تشتعل (٢٠١١ – ٢٠١٢)

في مطلع عام ٢٠١١، شهدت سوريا لحظة تاريخية فارقة قلبت مجرى تاريخها الحديث. بعد عقود من القمع والاحتقان، انفجر الشارع السوري في موجة غضب شعبي عارمة لم تفرق بين أديان أو طوائف، متحديةً بذلك نظاماً استبدادياً فرض سيطرته بقوة الأمن والخوف.

كانت شرارة الثورة مستوحاة من موجة الثورات التي اجتاحت العالم العربي، التي عُرفت بـ"الربيع العربي"، لكنها اتسمت بخصوصيات سورية مميزة. بدأت الاحتجاجات في مدينة درعا في مارس ٢٠١١، بعد أن تعرض مجموعة من الأطفال للضرب بسبب كتاباتهم على جدران مدارسهم، الأمر الذي أشعل غضباً شعبياً امتد سريعاً ليشمل مدناً وقرى عدة في مختلف أنحاء البلاد.

لم تكن الثورة مجرد دعوة للإصلاح، بل كانت مطلباً جذرياً لإنهاء حكم آل الأسد الذي استمر لأكثر من أربعة عقود. تزايدت الاحتجاجات سلميةً في البداية، إلا أن رد النظام الدموي، الذي استخدم القوة العسكرية، والاعتقالات الواسعة، والتعذيب، دفع البلاد نحو مرحلة أكثر تعقيداً وعنفاً.

تميزت المرحلة الأولى من الثورة بتعدد الفاعلين: شباب متحمسون للحريات، ناشطون حقوقيون، وجماعات معارضة مختلفة تنتمي إلى طيف واسع من الأيديولوجيات. كما ظهرت مؤسسات مدنية تطالب بالتغيير، في حين حاول النظام إقناع العالم بأن ما يجري "مؤامرة خارجية" لإسقاط الدولة.

تُبرز هذه المرحلة كيف تحولت المظاهرات السلمية إلى مواجهة مفتوحة، وكيف بدأ الصراع يتخذ أبعاداً أكثر دموية وتداخلت فيه العوامل الداخلية والإقليمية والدولية.

في هذا الباب، سنستعرض الأحداث الرئيسية التي شهدتها سوريا بين عامي ٢٠١١ و٢٠١٢، ونحلل عوامل اندلاع الثورة، رد فعل النظام، ومواقف القوى المحلية والدولية التي لعبت أدواراً مؤثرة في تلك المرحلة الحاسمة.

(٦)

شرارة الثورة – درعا وامتدادها في المدن السورية

درعا – شرارة الثورة السورية ومهد الكرامة

لم يكن أحد يتوقع أن تنطلق شرارة الثورة السورية من درعا، المدينة الجنوبية الصغيرة، الهادئة بظواهرها، والمهمشة بخدماتها. عُرفت درعا بولائها الظاهري للنظام، وبتركيبتها العشائرية التقليدية، لكنها كانت تعاني في العمق من تراكم مظالم اقتصادية واجتماعية عميقة: بطالة مزمنة، خدمات ضعيفة، فساد إداري، وهيمنة أمنية خانقة على كل مفاصل الحياة.[١] وكان الوضع أكثر حدة في الريف الدرعاوي، الذي عانى من الجفاف الممتد بين عامي ٢٠٠٦ و٢٠١٠، دون أي استجابة حكومية تذكر.

أدى ذلك إلى **غليان صامت**، تفاقم مع مشاهد الثورات العربية المجاورة. ولئن كان المجتمع الدرعاوي محافظًا بطبعه، فإن الإهانة تمسّ الكرامة أكثر مما يمسّها الفقر.[٢]

أطفال كتبوا على الجدران... فانهارت جدران الخوف

في أواخر فبراير أو أوائل مارس ٢٠١١، تأثر مجموعة من أطفال الإعدادية بمشاهد الثورة التونسية والمصرية، فكتبوا شعارات على جدران مدرستهم:

---

[١] خليل زاهر، *سوريا والثورة: دراسات في المقدمات والمسارات* (مركز حرمون، ٢٠١٧)، ١٨-٢١.

[2] International Crisis Group, "Popular Protest in North Africa and the Middle East (VI): The Syrian People's Slow-Motion Revolution," Report No. 108 (July 2011), 5-6.

- "الشعب يريد إسقاط النظام"
- "إجاك الدور يا دكتور"

لم تكن الشعارات ثقيلة على جدران مدرسة فقط، بل وقعت كالصاعقة على فرع الأمن السياسي في المدينة بقيادة **العميد عاطف نجيب**، ابن خالة بشار الأسد، وأحد أكثر الشخصيات الأمنية تسلطًا. لم يتم استدعاء الأطفال فحسب، بل **اختُطفوا، وعُذبوا بوحشية**، وفقًا لشهادات أهاليهم، ولم يُفرج عنهم رغم تدخل وجهاء العشائر.

لكن الإهانة الكبرى التي فجّرت برميل الغضب كانت جواب نجيب للوجهاء الذين جاؤوا يطلبون الأطفال:

"انسوا أولادكم، وإذا ما عندكم غيرهم، بعتوا نسوانكم يجيبوا غيرهم"!

كانت العبارة قذرة، لا تُنسى. صفعة على وجه كرامة مجتمع بأكمله.[٣]

١٨ آذار: المظاهرة التي غيّرت التاريخ

في ١٨ مارس ٢٠١١، بعد صلاة الجمعة، خرج مئات من أهالي درعا في مظاهرات سلمية، طالبوا بالإفراج عن الأطفال، ومحاكمة عاطف نجيب، ورفع حالة الطوارئ. رد النظام بالرصاص الحي. سقط أول الشهداء :**محمود الجوابرة، حسين المسالمة، رأفت المصري**، وغيرهم.[٤]

ثم تحولت تشييع الشهداء إلى احتجاجات أوسع، واتخذت المظاهرات طابعًا يوميًا. وسرعان ما ردّت الأجهزة الأمنية بمحاصرة المدينة، وقطعت عنها الكهرباء والاتصالات، ومنعت الغذاء والدواء. ومع تصاعد القمع، أُرسل

---

3 See: United Nations Independent International Commission of Inquiry on Syria, "Report on Events in Daraa," Sept 2011, §18-20.

٤ الشبكة السورية لحقوق الإنسان، تقرير توثيق مجازر درعا والاعتقالات (آذار-نيسان ٢٠١١)، ص ٤-٥.

الجيش إلى درعا، ودخلها بقوة السلاح، وارتكبت فيها "انتهاهات منهجية ترقى إلى جرائم ضد الإنسانية" وثقتها منظمات حقوقية لاحقًا.[٥]

لكن شيئًا كان قد تغير :الخوف انهار، وصوت الشعب خرج من القمقم.

حمزة الخطيب: طفلٌ أشعل الضمير

من بين شهداء درعا، برز اسم **حمزة علي الخطيب**، الطفل ذو الثلاثة عشر ربيعاً. خرج في تظاهرة سلمية لكسر الحصار عن مدينة درعا، فاعتقلته قوات الأمن في نهاية أبريل ٢٠١١. بعد نحو شهر، ثم سلّمت جثته لأهله في حالة صادمة، فقد ظهرت عليها آثار تعذيب شديد، وكسور في العظام، وحروق في الجسد، وقد شوّه الجلادون المجرمون أعضاءه التناسلية في رسالة ترهيب علنية.

انتشرت صور حمزة على وسائل التواصل الاجتماعي، فهزّت الوجدان السوري والعربي والدولي. لم يكن المشهد مجرد حالة قتل تحت التعذيب، بل **انتهاك رمزي لطفولة سوريا نفسها**.

تحوّل حمزة إلى **أيقونة الثورة**، ورفعت صورته في كل مظاهرة، ورددت الحناجر اسمه في الهتافات.[٦]

وسرعان ما انتقلت شرارة درعا إلى حمص، ثم بانياس، ثم دوما وحماة ودير الزور، فدمشق وحلب. لم تعد المطالب مقتصرة على الأطفال المعتقلين أو إسقاط عاطف نجيب، بل **إسقاط النظام بأكمله**.

تحولت درعا من مدينة مهمشة إلى **رمز وطني جامع**، ألهمت الحراك في كل المدن والقرى. لقد سقط الخوف، وسقطت معه جدران الصمت.

---

[5] Human Rights Watch, "We've Never Seen Such Horror: Crimes Against Humanity by Syrian Security Forces," June 2011, 11-14.

[٦] المرصد السوري لحقوق الإنسان، »ضحايا الثورة السورية في عامها الأوّل «(آذار ٢٠١٢)، ٩-١٠؛ BBC Arabic archive, May 2011.

من درعا إلى كل سوريا

لم تعد المطالب محصورة في الإفراج عن الأطفال أو محاسبة عاطف نجيب، بل تحولت إلى مطالب عامة:

- إنهاء حكم بشار الأسد
- رفع حالة الطوارئ المعلنة من عام ١٩٦٣
- إسقاط النظام الأمني[٧]

انتقلت شرارة الثورة من درعا إلى **حمص، وبانياس، ودوما، ودير الزور، وحماة، وريف دمشق، ثم حلب**. أصبحت درعا **رمزًا وطنيًا جامعًا**، ولقّبت بـ"مهد الثورة السورية."

الذاكرة الوطنية: درعا ليست مجرد بداية

درعا لم تكن مدينة ثائرة فقط، بل محرّكًا أخلاقيًا للثورة. جمعت في لحظة واحدة كل عناصر الانفجار الوطني:

- فساد سلطوي (عاطف نجيب)
- غياب العدالة (اعتقال وتعذيب الأطفال)
- الإهانة الاجتماعية (الإساءة للعشائر)
- الدم المسفوك (شهداء أول جمعة)
- والرمزية الإنسانية (حمزة الخطيب)

ولذلك ستظل **درعا محفورة في الذاكرة السورية** كعنوان للكرامة والتمرد. إنها تقول لكل الأجيال القادمة: الثورة لم تكن مؤامرة، بل ولدت من رحم الإهانة والوجع والطفولة المعذبة.

بداية لصراع طويل

---

[٧] عبد الرحمن الحاج، *سوريا – الثورة والتاريخ الآخر* (الشبكة العربية، ٢٠١٤)، ٦٧-٧٠.

رد النظام على احتجاجات درعا كان داميًا منذ اللحظة الأولى، معتمدًا على القمع والقتل والاعتقال، ومراهنًا على الحسم الأمني. لكن الثورة امتدت، وتحوّلت من احتجاج محلي إلى حراك وطني شامل.

المرحلة الأولى من الثورة (مارس–يونيو ٢٠١١) كانت لحظة الوعي الجماعي بكسر حاجز الخوف، وإثبات أن الناس لم يعودوا يقبلون العيش تحت حكم الأمن إلى الأبد.[٨] لكنها أيضًا كشفت أن النظام قرر أن يواجه كل احتجاج بالرصاص، ممهدًا لصراع دموي مفتوح لن يتوقف سريعًا.



[8] International Crisis Group, "Slow-Motion Revolution," 15-18.

(٧)

رد النظام وتصعيد العنف

مع انطلاق الاحتجاجات الشعبية في سوريا في مارس ٢٠١١، رُفعت شعارات واضحة: "حرية"، "كرامة"، "إسقاط قانون الطوارئ"، و"وقف القمع الأمني." لم تكن البداية دعوةً للحرب، بل لحياة مدنية حرة تُنهي عقود القمع والاستبداد. لكن رد النظام السوري لم يكن بحجم المطالب، بل **أكبر من أن يُفسَّر إلا باعتباره إعلان حرب شاملة على المجتمع**.[١]

منذ الأيام الأولى، اختار النظام طريق العنف بدل الحوار، والقوة بدل الإصغاء، والتكذيب بدل الاعتراف بالمشكلة. اتهم المتظاهرين بأنهم عملاء، وإرهابيون، وسلفيون، ومدفوعون من الخارج. وبدأ سردية "المؤامرة" التي اتخذت لاحقًا طابعًا رسميًا دائمًا في خطاب الدولة.[٢]

الإنكار والتضليل: خطاب "المؤامرة الخارجية"

تصرّف النظام منذ اللحظة الأولى كما لو أن لا شيء حقيقي يحدث على الأرض. في بيانات وزارة الإعلام وعلى القنوات الرسمية، تم تسخيف المظاهرات بأنها "تجمعات محدودة"، وأرجِع التحرك الشعبي إلى تأثير صفحات الفيسبوك و"تحريض الجزيرة."

---

١ الشبكة السورية لحقوق الإنسان، التقرير السنوي لانتهاكات حقوق الإنسان في سورية ٢٠١١-٢٠١٣، ص ٩-١٤.

٢ عبد الرحمن الحاج، *سورية – الثورة والتاريخ الآخر* (بيروت: الشبكة العربية، ٢٠١٤)، ٨٥-٩٣.

وسرعان ما تحوّل الخطاب إلى اتهام مباشر للمتظاهرين بأنهم "عملاء للخارج"، و"جماعات مسلحة متطرفة" تسعى لتقسيم البلاد. أُعيد تفعيل آلة الإعلام الموجه لخلق رواية تقوم على **شيطنة الحراك الشعبي** وخلق الفوضى الذهنية.[٣]

هذا الخطاب أعدّ الأرض نفسيًا لتبرير كل ما سيأتي لاحقًا من جرائم.

عسكرة القمع: من إطلاق الرصاص إلى حصار المدن

مع اتساع رقعة المظاهرات لتشمل حمص ودوما وبانياس ودرعا وريف حلب، بدأ النظام تصعيدًا خطيرًا عبر إدخال **القوة العسكرية** كأداة للقمع. أبرز ما ميز هذه المرحلة:

- **إطلاق النار المباشر** على المظاهرات السلمية دون تحذير.
- **نشر القناصة** فوق أسطح البنايات العامة (المستشفيات، المساجد، المدارس).
- **حملات دهم واعتقال** جماعية في الأحياء الثائرة، خاصة في الليل.
- **قطع الاتصالات والكهرباء والمياه** عن المدن المحاصرة.[٤]
- **حصارات عسكرية خانقة** لمدن بأكملها، كما حدث في درعا وحمص وداريا.

أصبح الحراك السلمي محفوفًا بخطر الموت في كل لحظة، وتحولت التظاهرات إلى جنازات، والجنازات إلى تظاهرات أكبر.[٥]

الدور المحوري للفرقة الرابعة وماهر الأسد

---

[٣] نفسه.

[4] Human Rights Watch ،"We've Never Seen Such Horror": Crimes Against Humanity by Syrian Security Forces. (June, 2011), 14-18.

[5]United Nations Independent International Commission of Inquiry on Syria ، Report A/HRC/24/46 (August, 2013), 42-48.

كان للفرقة الرابعة، بقيادة العميد **ماهر الأسد** –شقيق بشار – دور محوري في قيادة العمليات العسكرية ضد المدنيين. يُعتبر ماهر الرأس العسكري الصلب في النظام، وقد زُجّت فرقته في حمص ودرعا وداريا والزبداني وغيرها من المدن منذ الأشهر الأولى.

- **الفرقة الرابعة** هي تشكيل عسكري مدرّب جيدًا، يتمتع بتسليح ثقيل، ومكون بدرجة كبيرة من عناصر موالية طائفيًا، مما أضفى على تدخلها بعدًا دمويًا وانتقاميًا.
- شاركت في **قصف الأحياء السكنية بالمدفعية والدبابات،** كما رافقت فرق الاستخبارات في حملات الاعتقال والتعذيب.
- ارتبطت لاحقًا بعدد من **المجازر الميدانية** والقتل الجماعي للمدنيين، منها في حي بابا عمرو بحمص، وداريا، ومعضمية الشام.[٦]

مراكز الاعتقال: منظومة تعذيب ممنهجة

لم تكن السجون السورية جديدة على التعذيب، لكن مع الثورة، وصلت الممارسات الأمنية إلى مستويات **غير مسبوقة**:

- وثّقت منظمات حقوق الإنسان **أكثر من ١٠٠ ألف حالة اعتقال خلال السنوات الثلاث الأولى** فقط.
- ارتكبت عمليات **تعذيب ممنهج ومميت** داخل فروع الأمن السياسي والعسكري، مثل فرع فلسطين وفرع الخطيب وصيدنايا.
- انتشرت ظاهرة **الاختفاء القسري،** إذ يُعتقل الشخص دون مذكرة، ويُمنع أهله من معرفة مكانه، ويختفي لسنوات، أو يُقتل في السجن دون إعلان رسمي.

[6] See: Amnesty International ،'It Breaks the Human': Torture, Disease and Death in Syria's Prisons (2015), 10-13.

في عام ٢٠١٤، صُدم العالم بتقرير "قيصر"، الذي سرّب أكثر من ٥٥ ألف صورة لـ١١ ألف معتقل ماتوا تحت التعذيب، أُخذت الصور من داخل المخابرات العسكرية نفسها.[٧]

من السلمية إلى المقاومة: كسر المعادلة الأمنية

نتيجة لهذا التصعيد الدموي، **بدأت بعض المجموعات الشعبية بحمل السلاح**، في البداية دفاعًا عن الأحياء السكنية والمظاهرات، ثم تحول بعضها إلى تنظيمات عسكرية محلية. لم يكن القرار ناتجًا عن عقيدة مسلحة، بل عن واقع ميداني:

- فقدان الأمل بأي حل سياسي أو تفاوضي.[٨]
- تصاعد القتل الجماعي في المدن الثائرة.
- تفكك سلطة الدولة في بعض المناطق، مما خلق فراغًا أمنيًا.

هكذا دخلت الثورة مرحلة **المقاومة المسلحة**، خاصة مع منتصف عام ٢٠١٢، بعد أن أصبح خيار السلمية يبدو كطريق مستحيل أمام عنف دولة اختارت الحسم الأمني كخيار وجودي.

عنف النظام... الجذر الأول لانفجار الصراع

إن رد النظام على الثورة لم يكن انفعالًا مؤقتًا، بل **استراتيجية متكاملة** تهدف إلى سحق الحراك و"تأديب" المجتمع. لكنه فشل في فهم طبيعة التحول الشعبي، وعمق الغضب المتراكم.

لقد أدّت سياسات القتل والاعتقال والتعذيب والحصار إلى **تفكك الحاجز النفسي**، وخروج شرائح واسعة من الشعب من خانة "المطالب" إلى

---

[7] Caesar Files Group ،Caesar Photographic Evidence of Systematic Torture and Killing (2014), 3-5.

[٨] المركز السوري للدراسات الاستراتيجية، *سورية من السلمية إلى المقاومة المسلحة* (بيروت، ٢٠١٦)، ٢٧-٣٤.

خانة "الصراع من أجل البقاء". وبهذا، ساهم النظام نفسه في **دفع الثورة نحو التسلح**، مفضلاً الحرب على الإصلاح، والقمع على التنازل، والمواجهة الدموية على الاستماع.[9]



[9] International Crisis Group ‹Now or Never: A Negotiated Transition for Syria, Report No. 29 (March, 2012), 6-9.

(٨)

دور الشباب والناشطين المدنيين

أولًا: صعود جيل جديد من الفاعلين

كانت الثورة السورية منذ انطلاقتها في مارس ٢٠١١ حدثًا شبابيًا بامتياز. فخلافًا للانتفاضات التقليدية التي تقودها الأحزاب أو القوى العسكرية، كان الشباب السوري هم أول من خرج إلى الشوارع في مظاهرات سلمية رافعين شعارات مثل "حرية، كرامة، عدالة اجتماعية."[١] وقد أدرك هؤلاء الشباب أن اللحظة التاريخية قد حانت، مستلهمين موجة الربيع العربي التي سبقتهم في تونس ومصر.

شكل الشباب مجموعات غير مركزية، عرفت لاحقًا باسم **لجان التنسيق المحلية**، حيث تم الإعلان عن تأسيس تجمّع يتوسّع إلى أكثر من ٧٠ تنسيقية من مختلف المحافظات، وكان أبرزها لجنة تنسيق دمشق، وحمص، ودرعا. وقد عكست هذه اللجان قدرة عالية على التنظيم السري والعمل الميداني، رغم غياب التدريب السياسي أو الحزبي.[٢] كانت هذه اللجان تنسق المظاهرات، تؤمن الحماية الأولية للمتظاهرين، وتصدر بيانات توثيقية للمجازر والانتهاكات.

---

[١] ياسين الحاج صالح، *الثورة المستحيلة: الثورة، الحرب، والواقع السوري* (بيروت: دار رياض الريّس، ٢٠١٦)، ٣١–٣٥.

[٢] خليل الحريري، *المجتمع المدني السوري في زمن الحرب* (اسطنبول: مركز عمران للدراسات، ٢٠١٩)، ١٤–١٩.

ثانيًا: دور الإعلام الجديد في كسر الحصار

في ظل تعتيم الإعلام الرسمي وملاحقة الصحفيين المستقلين، استخدم الشباب السوريون وسائل التواصل الاجتماعي كأدوات ثورية: فيسبوك للتنظيم، يوتيوب لنشر مشاهد القمع، وتويتر لنقل الخبر إلى العالم الخارجي لحظة بلحظة. أنشأوا صفحات مثل "الثورة السورية ضد بشار الأسد" و"شبكة شام"، التي أصبحت مصادر معتمدة لدى الصحافة العالمية. هذه المبادرات الإعلامية المدنية شكّلت اختراقًا فعليًا لحاجز الصمت الذي فرضه النظام لعقود.[٣]

ثالثًا: دور النساء في الفعل الثوري المدني

لم تكن المرأة السورية غائبة عن الحراك، بل لعبت أدوارًا ريادية وميدانية. فقد شاركت في تنظيم الاحتجاجات، وواجهت الاعتقال والتعذيب، وعملت في الإغاثة والإعلام والتعليم البديل. شخصيات مثل رزان زيتونة، فدوى سليمان، وسميرة الخليل، تحولن إلى رموز نسوية للثورة المدنية السورية.[٤]

رابعًا: المؤسسات المدنية البديلة

مع انسحاب النظام من بعض المناطق خلال سنوات الثورة، ملأ الناشطون الفراغ الإداري عبر إنشاء مجالس محلية لإدارة شؤون الحياة اليومية: توزيع الخبز، إدارة المياه والكهرباء، وإعادة فتح المدارس بشكل مؤقت. ورغم افتقارهم للتمويل والدعم اللوجستي، أثبتت هذه التجارب قدرة السوريين على بناء نماذج حكم بديلة على أساس التشاركية والتمثيل المحلي.

---

[٣] انظر: مراقبة حقوق الإنسان، "بأي طريقة يمكننا أن نُقتَل؟: قمع المظاهرات السلمية في سوريا" (٢٠١١)، القسم ٣.

[٤] انظر: ريم تركماني، *النساء والثورة السورية: أدوار النساء في المساحات المدنيّة* (المركز السوري للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠١٤)، ٦–١٠؛
Amnesty International ،"Syria: Where Are the Douma Four?" (2015).

إلى جانب ذلك، تأسست منظمات شبابية مثل "شباب من أجل التغيير"، "المرأة الآن"، و"مركز توثيق الانتهاكات"، والتي لعبت أدوارًا في التدريب، والتوثيق، والمناصرة. وقد وثّق تقريرُ «وحدة المجالس المحليّة» لعام ٢٠١٥ نشاط ٤٢٧ مجلساً منتخباً على مستوى الأحياء والقرى.[٥]

خامسًا: التحديات والانتهاكات

رغم الطابع المدني السلمي لانطلاقة الثورة، واجه الناشطون قمعًا شديدًا من الأجهزة الأمنية. كثير من مؤسسي لجان التنسيق خُطفوا أو قُتلوا أو أجبروا على مغادرة البلاد. مثال بارز هو اختفاء *رزان زيتونة* مع فريقها في دوما عام ٢٠١٣، وهو ما مثّل ضربة للثورة المدنية.

بالإضافة إلى ذلك، واجهت المبادرات المدنية تحديات أخرى تمثلت في صعود الجماعات المسلحة المتطرفة مثل داعش والنصرة، والتي قمعت بدورها الناشطين المدنيين وصادرت الحريات التي ضحّى الشباب من أجلها.[٦]



[5] Local Administration Councils Unit (LACU) ،Annual Report (2015), 10-13.

[٦] انظر: الحريري، المجتمع المدني في زمن الحرب، ١٨.

Human Rights Watch, Report (2011), Section VII.

(٩)

الانشقاقات الأولى في الجيش والدولة – لحظة كسر الحاجز

عندما انطلقت أولى شرارات الثورة السورية في درعا، مارس ٢٠١١، كان النظام لا يزال يعتقد أن بإمكانه احتواء الغضب الشعبي بذات الأدوات التي نجح بها لعقود: القمع السريع، والاعتقالات، وترويج خطاب المؤامرة. غير أن ما لم يتوقعه النظام في تلك اللحظة المبكرة، هو أن أول التصدعات ستظهر من داخله، من الجيش، من حيث ظنّ أن الولاء مطلق، والقبضة محكمة.[١]

في أواخر أبريل ٢٠١١، بعد نحو شهر من بداية التظاهرات، بدأت تظهر بوادر انشقاقات فردية في صفوف الجنود، خاصة في المناطق الجنوبية من سوريا، وتحديدًا في محافظة درعا، التي كانت تشهد أوامر بإطلاق الرصاص الحي على المتظاهرين العزل. هنا بدأت أول الأسئلة الوجودية تدور في ذهن الجندي السوري :هل أقتل شعبي؟ هل أنفّذ أوامر السلطة أم أنضم إلى صوته.

الضابط الذي رفض إطلاق الرصاص

الاسم الأبرز في هذه المرحلة كان الملازم أول حسين هرموش، الذي أعلن في يونيو ٢٠١١ انشقاقه من مدينة جسر الشغور، وأسّس ما عُرف لاحقًا

[١] موقع زمان الوصل، "المنشقون الأوائل... شهادات لم تكتمل" (٢٠١٦).

بحركة الضباط الأحرار، لتكون أول نواة عسكرية منشقة عن الجيش النظامي.[٢]

كان انشقاق هرموش لحظة فارقة، ليس فقط لأنه الأول من نوعه، بل لأنه كشف أن الجيش لم يعد كتلة صلبة، وأن في داخله ضباطًا يرفضون استخدامه كأداة قتل جماعي. وقد شكّل ظهور هرموش العلني – ببيانه المصوّر – كابوسًا للنظام، فسعى لاغتياله أو اختطافه، وهو ما تحقق لاحقًا في عملية أمنية مثيرة للجدل في تركيا، حيث اختُطف وأُعيد إلى دمشق، ليظهر لاحقًا على شاشة التلفزيون الرسمي قبل أن يختفي مصيره تمامًا.[٣]

موجات الانشقاق... وتحوّل المعادلة

توالت الانشقاقات بعد هرموش بوتيرة متسارعة، خاصة في صفوف الضباط والجنود من أبناء المناطق الثائرة. ومع نهاية عام ٢٠١١، كان العشرات قد أعلنوا انشقاقهم، وبدأت تتشكّل أولى الفصائل المسلحة التي ستحمل لاحقًا اسم الجيش السوري الحر.

لم تقتصر الانشقاقات على الجيش فحسب، بل شملت أيضًا بعض موظفي السلك القضائي، والدبلوماسي، والإعلامي، مثل انشقاق نواف الفارس سفير سوريا لدى العراق في يوليو ٢٠١٢، الذي وصف النظام بأنه "شيطاني"،[٤] وانشقاق المقدم الطيار رياض الأسعد[٥] الذي أصبح لاحقًا من أبرز رموز الجيش الحر، وكان أحد المؤسسين الفعليين له.

---

[٢] التلفزيون السوري الحر، أرشيف لقاءات مع حسين هرموش (٢٠١١)

[٣] الجزيرة الوثائقية، "الجزيرة الوثائقية، «الجيش الحر: من انشقاق إلى تشرذم"، (٢٠١٤).

[٤] "نواف الفارس: لم أعد أستطيع الدفاع عن نظام يقتل شعبه"، *الشرق الأوسط*، ١٣ يوليو ٢٠١٢.

[٥] التلفزيون السوري الحر، مقابلات مع رياض الأسعد (٢٠١١-٢٠١٢).

العوامل التي دفعت للانشقاق

لم تكن الانشقاقات مجرد فعل عاطفي، بل كان وراءها تحوّل في الوعي العسكري لدى البعض، ورفض لاستخدام المؤسسة العسكرية كأداة لحرب داخلية.

كذلك، ساهمت الظروف الميدانية – مثل انتشار مقاطع الفيديو التي توثق عمليات القتل الجماعي والتعذيب – في دفع عدد من الجنود والضباط إلى الهروب من آلة القتل.[٦] لكن رغم ذلك، لم تصل الانشقاقات إلى المستوى الكافي لإحداث انقسام واسع النطاق في بنية الجيش، ويُعزى ذلك إلى عدة أسباب:

- الطبيعة الطائفية لتركيبة القيادة العليا في الجيش، والتي كانت موالية بشكل كامل للنظام.
- مراقبة أمنية صارمة داخل القطعات العسكرية لمنع أي تحركات مشبوهة.
- الانتقام الوحشي من عائلات المنشقين، وهو ما كان رادعًا قويًا لعدد من الجنود.[٧]

الأثر الاستراتيجي للانشقاقات

كان للانشقاقات الأولى أثر نفسي ومعنوي كبير على الثورة، إذ أكدت أن النظام ليس مطلق السيطرة، وأن ثمة فجوة تتسع في جدرانه الداخلية.

كما ساهمت هذه الانشقاقات في تسليح الثورة تدريجيًا، وإن كان ذلك قد فتح بابًا لاحقًا لصراعات الفصائل واختراقات استخباراتية.[٨]

---

[6] Human Rights Watch, "By All Means Necessary: Individual and Command Responsibility for Crimes against Humanity in Syria," (2011).

[٧] الشبكة السورية لحقوق الإنسان، "إحصاءات الانشقاق حتى نهاية ٢٠١٢" (٢٠١٣).

[8] Aron Lund, *The Free Syrian Army: Formation, Challenges, and Transformation* (2013).

غير أن أهم ما جسّدته تلك المرحلة هو :كسر هيبة الجيش كرمز مطلق للسلطة، وظهور الضابط أو الجندي لأول مرة كشخص له ضمير وقرار، لا مجرد منفّذ.[٩]



[9] Yezid Sayigh, *Collapse and Reconstruction in Syria* (Carnegie Middle East, 2022), 24–27.

(١٠)

موقف القوى الدولية والإقليمية

لم تكد تمر أشهر قليلة على انطلاق الثورة السورية حتى بدأت القوى الإقليمية والدولية[١] تراقب المشهد عن كثب، ثم تتدخل بشكل متزايد. فبينما كانت المظاهرات تتسع، والنظام يواجهها بالقمع، بدأت خيوط اللعبة تتجاوز حدود سوريا الجغرافية لتتحوّل تدريجيًا إلى صراعٍ مركّب بين أطراف خارجية لكل منها أجندته الخاصة.

ما كان في البداية انتفاضة داخلية للمطالبة بالحرية والكرامة، أصبح – تدريجيًا – **حربًا بالوكالة متعددة المستويات**، متشابكة المصالح والمواقف، وعصيّة على الحسم.[٢]

أولاً: المحور الإقليمي الداعم للثورة:

تركيا

من أوائل الدول التي تحركت سياسيًا بعد اندلاع الثورة، رغم أنها كانت حتى عام ٢٠١٠ على علاقة وثيقة بنظام الأسد، وصلت إلى توقيع اتفاقيات تجارة حرة ومناورات عسكرية مشتركة. لكن مع تصاعد القمع، غيّرت أنقرة موقفها، واستضافت عددًا من مؤتمرات المعارضة، أبرزها مؤتمر أنطاليا عام ٢٠١١، ثم دعمت تشكيل **الائتلاف الوطني السوري**.

---

[١] سنتكلم بالتفصيل عن دور هذه الدول في فصول لاحقة.

[٢] مركز حرمون، الصراع الإقليمي على سورية: قراءة تحليليّة (٢٠١٨)، ٥-٧.

وفّرت تركيا لاحقًا ملاذًا آمنًا للمعارضة المدنية والعسكرية، وأصبحت قاعدة خلفية مهمة للفصائل المسلحة، خاصة "الجيش الحر". غير أن موقفها لم يكن موحدًا، بل شهد تقلبات استراتيجية، خاصة بعد صعود تنظيمات جهادية في الشمال.[٣]

قطر

لعبت قطر دورًا إعلاميًا مبكرًا في دعم الثورة من خلال قناة "الجزيرة"، كما موّلت عددًا من فصائل المعارضة المسلحة، خاصة تلك المحسوبة على تيارات إسلامية معتدلة. دعمت قطر مبادرات سياسية لتوحيد المعارضة، لكنها اصطدمت بمواقف متضاربة داخل صفوفها، وأحيانًا مع الموقف السعودي حول ملف الإخوان المسلمين.[٤]

السعودية

دخلت على الخط بعد قطر، وكان تركيزها الأساسي منصبًا على **احتواء النفوذ الإيراني** في سوريا، ورأت في سقوط الأسد فرصة استراتيجية. دعمت فصائل معارضة متعددة، واهتمت بتقوية الصوت السني المعتدل، لكن تدخلها تأثر بمواقفها الإقليمية تجاه الإخوان المسلمين،[٥] ما جعلها تتصادم سياسيًا مع قطر في بعض الفترات.

ثانياً: المحور الداعم للنظام: إيران وروسيا

إيران

اعتبرت الثورة تهديدًا لمشروعها الإقليمي الذي يربط طهران ببغداد، دمشق، ثم حزب الله في لبنان. تدخلت بشكل مباشر منذ ٢٠١٢ عبر **الحرس**

---

[٣] محمد نور الدين، *تركيا وسورية: من الشراكة إلى الصدام* (بيروت: رياض الريّس، ٢٠١٦)، ١١٣-١١٨.

[٤] عبد الوهاب بدرخان، *سورية: الثورة المسروقة* (بيروت: دار الساقي، ٢٠١٥)، ٩٢-٩٣.

[٥] المركز العرب للأبحاث، التحالفات الدولية والإقليمية في الملف السوري (٢٠١٧)، ٣٣-٣٦.

الثوري، و**الميليشيات الشيعية** (كفيلق القدس، وحزب الله، ولواء فاطميون)، وقدّمت دعمًا ماديًا وعسكريًا واستخباراتيًا واسعًا لنظام الأسد.

تحوّلت إيران إلى شريك ميداني في العمليات العسكرية، وشاركت في إدارة المعارك الاستراتيجية، كما لعبت دورًا رئيسيًا في عمليات التهجير القسري وتغيير البنية الديموغرافية في مناطق مثل الزبداني، داريا، وريف دمشق الجنوبي وحمص.[٦]

روسيا

دخلت سياسيًا منذ البداية، ودافعت عن النظام في مجلس الأمن باستخدام الفيتو منذ أكتوبر ٢٠١١. لكن الحدث المفصلي كان في **سبتمبر ٢٠١٥** حين بدأت تدخلًا عسكريًا مباشرًا عبر سلاح الجو، بذريعة محاربة الإرهاب، لكنه تركّز على ضرب المعارضة السورية أكثر من "داعش."

أعادت روسيا ترتيب بنية الجيش السوري، وأنشأت قواعد دائمة في **حميميم** و**طرطوس**، وتولّت قيادة المعارك الكبرى (حلب، الغوطة، درعا). كما رعت مؤتمرات "سوتشي" و"أستانا"، في محاولة للالتفاف على مسار جنيف السياسي.[٧]

ثالثاً: الموقف الغربي المتردد

الولايات المتحدة

في عهد أوباما، أعلن البيت الأبيض أن "الأسد فقد شرعيته"، وفرضت واشنطن عقوبات اقتصادية على النظام، ودعمت بعض فصائل المعارضة

---

6 Fabrice Balanche, *Sectarianism in Syria's Civil War* (Washington Institute, 2018), 22-27.

7 International Crisis Group, "Russia's Military Intervention in Syria: A Turning Point?" Briefing 47 (Oct 2015), 2-4.

"المعتدلة" عبر برامج تدريب وتسليح، مثل برنامج المخابرات الأمريكية في الأردن وتركيا، لكنها **ترددت في أي تدخل عسكري مباشر**.

حتى عندما استخدم الأسد السلاح الكيماوي في الغوطة عام ٢٠١٣، اكتفى أوباما بالوعد بـ"الخط الأحمر"، ثم **تراجع عن الضربة العسكرية**، مما أضعف الثقة الأمريكية في الشارع السوري المعارض. لاحقًا، ركزت واشنطن على محاربة داعش فقط، خاصة بعد ظهور التنظيم في ٢٠١٤.[٨]

الاتحاد الأوروبي

تبنّت أوروبا مواقف سياسية متعاطفة مع الثورة، وفرضت عقوبات على النظام، لكنها التزمت الحذر التام في التدخل المباشر. ومع موجة **اللجوء الكبرى في ٢٠١٥**، أصبحت الأولوية الأوروبية هي **ضبط الحدود واحتواء تدفق اللاجئين**، لا دعم التغيير السياسي أو تغيير النظام.[٩]

رابعاً: الحرب بالوكالة وتعقيد الأزمة

أدى تضارب الأجندات بين مختلف القوى إلى **تعدد الفصائل المعارضة**، وتنازع مناطق النفوذ، مما أضعف الموقف التفاوضي للمعارضة، ومكّن النظام – بفضل حلفائه – من استعادة مناطق استراتيجية كبرى.

تحوّلت سوريا إلى **ساحة تصادم جيوسياسي**:

- صراع سني–شيعي (بين إيران والخليج)
- صراع تركي–كردي
- صراع روسي–أمريكي

[8] Human Rights Watch, World Report 2012: Syria (2012), sect. "International Response".

[9] Christopher Phillips, *The Battle for Syria: International Rivalry in the New Middle East* (Yale UP, 2016), 141-148.

- صراع على الثروات وممرات الطاقة

وأصبحت القضية السورية محكومة بميزان القوى الإقليمي والدولي، أكثر من كونها شأناً وطنياً صرفاً.[١٠]



[١٠] خليل زاهر، حرب *الوكالة في سورية* (منتدى سورية، ٢٠٢٠)، ٥٧-٦٢.

(١١)

تصاعد النزاع وتدهور المشهد الأمني والسياسي

مع تصاعد القمع الوحشي للمظاهرات السلمية، بدأ المشهد السوري يتغير جذريًا في أواخر عام ٢٠١١ وبداية عام ٢٠١٢. فشل النظام في احتواء الغضب الشعبي، ولجأ إلى المعالجة الأمنية المطلقة، بينما بدأ المحتجون يفقدون الثقة في قدرة الوسائل السلمية على تحقيق التغيير، فبدأ التحوّل نحو العمل المسلح.

بداية التشظي: سوريا بين سلطات متنازعة

مع تزايد الضغط الأمني، انقسمت سوريا تدريجيًا إلى مناطق نفوذ:

- **النظام** حافظ على السيطرة على مراكز المدن الكبرى (دمشق، اللاذقية، طرطوس)، عبر الجيش والميليشيات المحلية (كالشبيحة).
- **المعارضة المسلحة** بدأت بالظهور في ريف درعا، وريف دمشق، وحمص، ثم انتشرت في إدلب وحلب ودير الزور.[١]

كان هذا الانقسام نتيجة مباشرة لفقدان الدولة قدرتها على بسط نفوذها عبر الطرق السياسية، واعتمادها المطلق على القمع العسكري.[٢]

---

[١] المركز السوري للدراسات السياسيّة والاستراتيجيّة، *مآلات الثورة السوريّة* ٢٠١٥)، ١٧-٢٠.
[٢] نفسه.

صعود الفصائل المسلحة

أدى هذا التحوّل إلى نشوء عدد من الكيانات المسلحة:

١. **الجيش السوري الحر** :تشكّل من ضباط وجنود منشقين بقيادة العقيد رياض الأسعد، هدفه المعلن كان "حماية المدنيين"، وقد شكّل نواة العمل العسكري المنظم.[٣]

٢. **الفصائل الإسلامية** :ظهرت في وقت لاحق، وتنوّعت بين سلفية دعوية وسلفية جهادية، مثل أحرار الشام ولواء التوحيد.[٤]

٣. **جماعات محلية** :شُكّلت على مستوى القرى والبلدات لأغراض دفاعية، وساهمت في حماية المظاهرات ثم في السيطرة على الحواجز والمقار الأمنية.[٥]

رغم أن هذه الفصائل بدأت بتعاون نسبي، إلا أن تباين المرجعيات السياسية والعسكرية سرعان ما أفرز حالة من التنافس، وظهر لاحقًا نوع من "الاقتتال البيني" أضعف الجبهة المناهضة للنظام.[٦]

الكارثة الإنسانية

مع انتشار السلاح، تصاعدت وتيرة العنف بشكل غير مسبوق:

- **القصف الجوي والمدفعي** استُخدم ضد الأحياء السكنية، لا سيما في حمص (بابا عمرو)، وريف دمشق.

[3] Charles Lister, *The Syrian Jihad* (Oxford UP, 2015), 46–49.
[4] Fabrice Balanche, *Sectarianism in Syria's Civil War* (Washington Institute, 2018), 23–26.
[5] Charles Lister, *The Syrian Jihad* (Oxford UP, 2015), 46–49.
[6] Fabrice Balanche, *Sectarianism in Syria's Civil War* (Washington Institute, 2018), 23–26.

- **البراميل المتفجرة** أصبحت أداة النظام الأبرز في المناطق الخارجة عن سيطرته.
- **النزوح الداخلي واللجوء** بلغ ذروته، حيث فرَّ أكثر من مليوني شخص بحلول ٢٠١٢ إلى دول الجوار (تركيا، لبنان، الأردن)، عدا ملايين النازحين داخل البلاد.[٧]

الانقسامات داخل المعارضة

رغم اتساع قاعدة الثورة، فشلت المعارضة في تشكيل قيادة سياسية موحدة. انقسمت القوى بين:

- تيارات علمانية ولبرالية مدعومة من الغرب.
- تيارات إسلامية ترى أن الثورة يجب أن تنتج نظامًا إسلاميًا.
- قوى محلية لا تؤمن إلا بالبعد الميداني والمجتمعي المباشر.

هذا الانقسام أدى إلى نشوء كيانات متعدّدة كالمجلس الوطني السوري، ثم الائتلاف الوطني، لكنها لم تحظ بثقة كافة الفصائل المسلحة ولا بالشرعية الشعبية الكافية.[٨]

الوساطات الدولية: جهود عقيمة

- **مبادرات الجامعة العربية**، مثل إرسال المراقبين بقيادة الفريق الدابي، فشلت بسبب عدم تعاون النظام وتعمّده تزييف الحقائق.[٩]

[7] Human Rights Watch, "They Burned My Heart": War Crimes in Northern Homs (2012), 2–5.

[8] International Crisis Group, Anything But Politics: The State of Syria's Political Opposition (2013), 6–9.

[٩] ياسين الحاج صالح، *السوريّون الأحرار في زمن العبوديّة* (بيروت: رياض الريّس، ٢٠١٣)، ٤١–٤٤.

- **مؤتمر جنيف ١ (يونيو ٢٠١٢)** دعا إلى انتقال سياسي، لكنه لم يُترجم إلى خطوات عملية بسبب تعنّت النظام وخلافات الأطراف الدولية على تفسير "المرحلة الانتقالية."[١٠]

- وهكذا، دخلت البلاد نفقًا أكثر تعقيدًا، حيث غاب الحل السياسي، وازدادت الخريطة تعقيدًا مع دخول قوى خارجية ومسلحين أجانب.



[١٠] محمد حبش، *سورية.. درب الآلام نحو الحرّية* (المؤسّسة العربيّة للدراسات، ٢٠١٦)، ٥٥–٥٧.

الباب الثالث

عسكرة الثورة وتدويل الصراع (٢٠١٢ -٢٠١٦)

(١٢)

الجيش السوري الحر – النشأة والتحديات الأولى

في خضمّ الأشهر الأولى من الثورة السورية عام ٢٠١١، وبينما كانت جموع السوريين تهتف في الساحات للحرية والكرامة، بدأ النظام بالتصعيد الدموي، مستخدمًا الجيش لقمع المظاهرات السلمية.

ومع توالي الانشقاقات الفردية في صفوف الجنود والضباط، بزغت الحاجة إلى كيان عسكري يضم هؤلاء المنشقين، ويوحّد جهودهم في الدفاع عن المدنيين، ورفض أوامر القتل التي صدرت من قيادة الجيش المرتبطة بالنظام. ومن هنا، وُلد اسم "الجيش السوري الحر"، الذي سيغدو لاحقًا رمزًا من رموز الثورة المسلحة، ومثار جدل داخلي وخارجي لا ينتهي.[١]

البداية: من انشقاق فردي إلى نواة ثورية

في ٢٩ يوليو ٢٠١١، ظهر العقيد رياض الأسعد، أحد المنشقين عن سلاح الجو، في شريط فيديو من داخل الأراضي التركية، معلنًا تأسيس "الجيش السوري الحر"، وهدفه المعلن :حماية المتظاهرين، والدفاع عن الشعب السوري، والعمل على إسقاط النظام.

كان الإعلان بسيطًا، لكنه مثّل لحظة فاصلة؛ إذ تحوّل الحراك من حالة مدنية إلى واقع عسكري مقاوم.[٢]

---

[1] Human Rights Watch ،"Syria: Defecting Soldiers Describe Orders to Kill" (December, 2011).

[٢] العقيد رياض الأسعد، تصريحاتٌ لقناة الجزيرة (٣١ تموز/يوليو ٢٠١١).

وقد بدأ هذا الجيش بالتكوّن من عدد محدود من الضباط والجنود المنشقين، وأخذت أعداده تتزايد، خاصة مع اتساع رقعة القمع في المدن والبلدات السورية.

الانتشار الجغرافي والتكتيك

بحلول مطلع ٢٠١٢، كان للجيش الحر وجود فعّال في عدة مناطق رئيسية:

- درعا :مسقط رأس الثورة ومهد الانشقاقات الأولى.
- حمص وريفها :شهدت معارك كرّ وفرّ وأصبحت من أبرز قلاع الجيش الحر.
- إدلب :شكلت مجالًا حيويًا لمجموعات منشقة، نظرًا لقربها من الحدود التركية.
- ريف دمشق ودوما والغوطة :كانت الساحة الأعنف والأقرب إلى العاصمة، ما جعلها هدفًا دائمًا لقوات النظام.

اعتمد الجيش الحر في البداية على تكتيكات حرب العصابات، ونصب الكمائن، واستهداف الحواجز الأمنية، وتفجير مقرات الشبيحة.[٣] لكن سرعان ما بدأ يواجه تحديات كبيرة. فرغم الشعبية الكبيرة التي حظي بها، واجه الجيش السوري الحر عددًا من التحديات المعقدة، كان لها أثر مباشر في مساره لاحقًا:

١. غياب القيادة المركزية

منذ ولادته، لم يكن للجيش الحر هيكل تنظيمي عسكري موحّد، بل كان أقرب إلى مجموعات محلية مستقلة تنسق فيما بينها أحيانًا، وتتنافس أحيانًا أخرى.

---

[٣] مركز حرمون، "من الولاء للحرّيّة: قراءةٌ في ظاهرة الانشقاق وتأسيس الجيش الحرّ" (٢٠٢٠)، ١٢-١٥.

محاولات توحيد القيادة، مثل تشكيل "هيئة أركان الجيش الحر"، لم تحقق نجاحًا كبيرًا، بسبب الخلافات السياسية والتمويل المتشظي.[٤]

٢. نقص التسليح والدعم

اعتمدت وحدات الجيش الحر على الأسلحة الفردية التي حصلت عليها من مخازن النظام أو السوق السوداء، وكان الدعم الخارجي محدودًا ومتفاوتًا.

في الوقت الذي كانت روسيا وإيران ترسلان الطائرات والسلاح الثقيل لنظام الأسد،[٥] كان الجيش الحر يعتمد على التمويل الشعبي أو دعم محدود من بعض دول الخليج وتركيا، وكثيرًا ما جاء مشروطًا أو متأخرًا.

٣. ظهور الفصائل الإسلامية

مع اتساع رقعة المعارك، ظهرت جماعات وفصائل إسلامية مسلحة ذات تمويل مستقل، مثل أحرار الشام وجبهة النصرة لاحقًا. وقد أدى ذلك إلى تنافس على النفوذ والميدان، وأدى أحيانًا إلى اشتباكات بينية أو تقويض نفوذ الجيش الحر في بعض المناطق.[٦]

٤. الاختراق الأمني والإعلام المضاد

استطاع النظام اختراق بعض خلايا الجيش الحر، أو دفع عملائه إلى الانخراط فيه بغرض التشويه والتفكيك.

كما شنّ النظام ووسائل إعلامه حملة شعواء لتصوير الجيش الحر على أنه ميليشيا خارجة عن القانون، لا تختلف عن الجماعات الجهادية.[٧]

---

4 Aron Lund, *The Free Syrian Army: Formation, Ideology and Challenges* (Carnegie, 2013), 8–11.

٥ صحيفة الشرق الأوسط، "الجيش الحرّ: بين الرمزيّة والواقع العسكريّ" (تقرير ٢٠١٦).

6 Charles Lister, *The Syrian Jihad* (Oxford UP, 2015), 46–49.

7 Joseph Holliday, *The Syrian Army Doctrinal Order of Battle* (Institute for the Study of War, 2013), 23–24.

الأثر السياسي والرمزي

رغم التحديات والعقبات، بقي الجيش السوري الحر رمزًا وطنيًا جامعًا لفترة طويلة، إذ مثّل أول محاولة للانشقاق المنظم عن نظام الأسد، ورفرف علمه في معظم مدن الثورة، واعتُبر ذراعا للثورة في وجه العنف النظامي.

ولم يكن الجيش الحر مجرد تشكيل عسكري، بل أطلق نواة مشاريع مدنية – مثل المجالس المحلية في بعض المناطق المحررة – وحاول أن يمثّل الروح الوطنية السورية غير المؤدلجة.

لكن بعد ٢٠١٤، ومع صعود تنظيم داعش، وتكثّف التدخل الدولي، بدأ الجيش الحر يتراجع، وتتضاءل قدرته الميدانية، وتم تفكيك كثير من كتائبه، أو دمجها في غرف عمليات جديدة مثل "الجبهة الجنوبية" أو "درع الفرات" المدعومة تركيًا.[٨]



٨ مركز حرمون، ١٥–١٨؛ زمان الوصل، "أرشيف الجيش الحرّ – البيانات الأولى" (٢٠١١-٢٠١٢).

(١٣)

بروز الفصائل الإسلامية المسلحة في الثورة السورية

مع تحوّل الثورة السورية من حراك سلمي في عام ٢٠١١ إلى مواجهة عسكرية مفتوحة ابتداءً من منتصف ٢٠١٢، برزت على الأرض تشكيلات عسكرية متعددة المرجعيات والولاءات، وكان من أبرزها وأكثرها تأثيرًا **الفصائل الإسلامية** التي رفعت شعارات دينية وأيديولوجية في مقاومة نظام الأسد، وتمايزت عن "الجيش السوري الحر" بطابعها العقدي والتنظيمي.[١]

ولم تكن هذه الفصائل جسمًا واحدًا، بل تنوعت في الرؤية والأهداف والأساليب، فمنها ما التزم بالثورة وأهدافها، ومنها ما انحرف لاحقًا عن مسارها، أو دخل في صراعات جانبية أضعفت وحدة الصف الثوري.[٢]

أحرار الشام – الفصيل الإسلامي الوطني الأكبر

ظهرت **حركة أحرار الشام الإسلامية** في أواخر عام ٢٠١١، وتشكّلت رسميًا في يناير ٢٠١٢ من اندماج عشرات الكتائب السلفية الجهادية في الشمال السوري، معظمها في **إدلب وريف حماة**.

- **الموقع** :محافظة إدلب أساسًا، وامتدت لاحقًا إلى ريف حلب وريف حماة الشرقي.

---

١ مركز حرمون، "الطيف الإسلامي في الثورة السورية" (٢٠٢٠)، ٥-٧.

2 Charles Lister, *The Syrian Jihad* (OUP, 2015), 42–45.

- **القادة المؤسسون** :حسان عبود (المعروف بـ"أبو عبد الله الحموي")[٣]، مهنّد المحمد، ويوسف السرميني.
- **الرؤية** :سلفية إصلاحية معتدلة مقارنة بغيرها، تنادي بإقامة دولة إسلامية من خلال الثورة الشعبية، لكنها رفضت مبايعة القاعدة.
- **التحولات** :بعد اغتيال قادتها في تفجير غامض عام ٢٠١٤، دخلت الحركة في سلسلة من التحالفات والانقسامات، وانتهى بها المطاف كجزء من "الجبهة الوطنية للتحرير" المدعومة من تركيا.[٤]

جبهة النصرة – الجهاد العالمي في الميدان السوري

تأسست **جبهة النصرة** في أواخر ٢٠١١ وأُعلن عنها رسميًا في يناير ٢٠١٢، بوصفها فرعًا سوريًا **لتنظيم القاعدة**، بدعم مباشر من "دولة العراق الإسلامية."[٥]

الموقع: بدأت في **ريف دمشق ودرعا** ثم انتقلت بثقلها إلى **إدلب وحلب**.

- **القائد البارز** :أبو محمد الجولاني، وكان شخصية غامضة لم يظهر وجهه علنًا حتى ٢٠٢٠.
- **الرؤية:** تبنّت الجهاد العالمي، ودعت لإسقاط النظام وإقامة دولة إسلامية على نهج الخلافة، لكنها تحاشت الدخول المباشر في مواجهة داخلية مع فصائل الجيش الحر حتى ٢٠١٤.
- **التحولات**: بعد خلاف مع القاعدة، غيّرت اسمها إلى "جبهة فتح الشام"، ثم اندمجت في "هيئة تحرير الشام" عام ٢٠١٧ في محاولة لتقديم نفسها كفصيل محلي غير مرتبط بالجهاد العالمي.[٦]

---

[٣] المرصد السوريّ لحقوق الإنسان، تقرير كانون الثاني/يناير ٢٠١٢.
[٤] قناة أورينت، لقاء مع قياديّي أحرار الشام (٢٧ أيلول/سبتمبر ٢٠١٤).
[5] Holliday, *The Syrian Army Doctrinal Order of Battle* (ISW, 2013), 30.
[6] Lister, *Syrian Jihad*, 218–224.

جيش الإسلام – ثقل المقاومة في الغوطة الشرقية

أُسّس **جيش الإسلام** عام ٢٠١٣ من اندماج عشرات الكتائب الإسلامية في الغوطة الشرقية، وكان **الامتداد الأكبر للواء الإسلام** الذي تأسس بقيادة **زهران علوش** في مدينة دوما.

- **الموقع:** ريف دمشق الشرقي، وخصوصًا **الغوطة الشرقية** (دوما، عربين، سقبا).
- **القائد الأبرز:** زهران علوش، شخصية سلفية ذات خلفية دعوية، نال شهرة واسعة قبل مقتله في غارة جوية ديسمبر ٢٠١٥.
- **الرؤية:** خطاب سلفي معتدل ميدانيًا، ورفض واضح لفكر القاعدة أو داعش،[٧] مع محاولات إقامة نموذج حكم محلي.
- **التحولات:** بعد مقتل علوش، تراجعت مكانة الفصيل، ومع دخول قوات النظام بدعم روسي في ٢٠١٨، اضطر مقاتلوه إلى التهجير نحو الشمال.[٨]

صقور الشام – الكتائب الريفية المقاتلة

تأسست عام ٢٠١١ في **ريف إدلب**، بجبل الزاوية، كجزء من الحراك الجهادي المحلي، واشتهرت بمعاركها في جبل الزاوية وجسر الشغور.

- **القائد المؤسس**: أحمد عيسى الشيخ، شخصية معروفة باعتدالها النسبي.
- **الرؤية:** إسلامية شعبية، ورفضت مبايعة داعش أو القاعدة.

---

٧ مقابلة أورينت مع زهران علوش (أيار/مايو ٢٠١٤).

٨ المرصد السوري، تقرير نيسان/أبريل ٢٠١٨ عن تهجير الغوطة.

- **التحولات**: اندمجت لاحقًا في "أحرار الشام"، ثم انتقلت إلى صفوف "الجبهة الوطنية للتحرير."[٩]
- **لواء التوحيد** :نشأ في **ريف حلب الشمالي** عام ٢٠١٢، وكان من أبرز فصائل حلب، بقيادة عبد القادر الصالح (استشهد ٢٠١٣).[١٠]
- **أنصار الشام**، **كتائب عبد الله عزام**، و**لواء الحق** :ظهرت في مناطق مختلفة من حمص واللاذقية، وكانت غالبًا قريبة من أحرار الشام.

أسباب بروز الفصائل الإسلامية

١. الفراغ العقائدي في الثورة بعد عسكرة الحراك.
٢. التمويل الخليجي الخاص الذي ربط الدعم بالخطاب الإسلامي.[١١]
٣. فشل قيادة الجيش الحر في ضبط المشهد العسكري.
٤. تصاعد الخطاب الطائفي للنظام، الذي غذّى رد فعل إسلامي مقابل.
٥. تأثر بعض القيادات بالمناخات السلفية المنتشرة في السجون أو مناطق التهميش.

التحديات التي خلّفها تعدد الفصائل الإسلامية

رغم أن بعض هذه الفصائل قاتلت ببسالة النظام، إلا أن تعددها وعدم وجود قيادة موحدة أدى إلى:

- **اقتتال داخلي** أحيانًا، كما حصل بين "النصرة" و"جيش الإسلام" في الغوطة.[١٢]
- **تضارب في الخطاب السياسي والديني**، ما شتّت صورة الثورة.

---

٩ مؤسسة الجبهة الشاميّة، أرشيف صقور الشام (٢٠١٦).

١٠ زمان الوصل، «استشهاد عبد القادر الصالح» (١٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٣).

١١ بدرخان، *سورية: الثورة المسروقة* (دار الساقي، ٢٠١٥)، ١٠١–١٠٤.

١٢ سوريا مباشر (Syria Direct)، "اشتباكات النصرة وجيش الإسلام"، كانون الثاني/يناير ٢٠١٦.

- **استغلال بعض القوى الإقليمية لهذه الفصائل في معارك النفوذ**.
- **تهيئة البيئة لظهور تنظيم داعش**، الذي استغل الفراغات الشرعية والفوضى المسلحة.[١٣]



[13] Aron Lund, *From Cold War to Civil War: The Fate of Syria's Islamists* (Carnegie, 2016), 59–63.

(١٤)

تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش) والثورة السورية

الجذور الأولى: من القاعدة إلى الدولة

تعود جذور تنظيم داعش إلى الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، حيث ظهر فرع لتنظيم القاعدة بقيادة **أبو مصعب الزرقاوي**. بعد مقتل الزرقاوي، أعيد تنظيم الصفوف وأُعلن عن **"دولة العراق الإسلامية "**عام ٢٠٠٦ بقيادة **أبو عمر البغدادي**.

في عام ٢٠١٠، قُتل أبو عمر، فخلفه **أبو بكر البغدادي**، الذي توسّع لاحقًا إلى سوريا مع اشتداد الثورة، وغيّر اسم التنظيم في ٢٠١٣ إلى **"الدولة الإسلامية في العراق والشام" – "داعش" اختصاراً (ISIS)**، وأعلن نفسه بالموصل خليفة للمسلمين عام ٢٠١٤.[1]

التمدد في سوريا: الحاضنة الأمنية لا الثورية

دخل تنظيم داعش إلى سوريا من العراق، مستغلاً الفراغ الأمني والسياسي في المناطق المحررة من النظام وانقسامات المعارضة السورية بين الفصائل العلمانية والإسلامية المعتدلة والمتشددة، وقد نجح التنظيم في السيطرة على مناطق واسعة في شرق سوريا وشمالها، خاصة في الرقة ودير الزور والحسكة.

[1] Hassan Hassan & Michael Weiss, *ISIS: Inside the Army of Terror* (2015), 25–32.

تميز هذا التنظيم بسياسة عنف مفرط وفرض نظامه الخاص القائم على تفسيرات متشددة للشريعة الإسلامية، شملت إعدامات علنية، تفجيرات، واختطافات واسعة، مما خلق حالة من الرعب بين السكان المدنيين. علاوة على ذلك، جذب داعش مقاتلين أجانب من مختلف أنحاء العالم، مما أعاد النزاع السوري إلى واجهة الاهتمام الدولي باعتباره جزءاً من حرب أوسع ضد الإرهاب.

سيطر داعش على الموارد النفطية والزراعية في المناطق التي احتلها، مما مكنه من تمويل عملياته وتوسيع نفوذه،[٢] وأدى إلى تعقيد المشهد السوري، حيث اضطرت المعارضة المعتدلة إلى خوض معارك ضد داعش في الوقت نفسه الذي تواجه فيه النظام.

كما أحدث صعود داعش أزمة حقيقية في التحالف الدولي ضد النظام، إذ أُجبرت الدول الغربية ودول المنطقة على تعديل استراتيجياتها بين محاربة الإرهاب ودعم المعارضة.

لم يكن لتنظيم داعش جذور حقيقية في الحراك الثوري الشعبي، بل تمدّد عبر:

- الاستيلاء على مقرات فصائل الثورة الضعيفة.
- تجنيد مقاتلين أجانب ومحليين في ظل غياب الدعم الكافي للثوار.
- إغراء بعض الفئات الفقيرة بالرواتب والسلاح.
- استخدام "الشريعة" غطاءً لبسط النفوذ وقمع المجتمعات المحلية.[٣]

---

[2] International Crisis Group, "The Dark Side of the Syrian Revolution" (Oct 2014), 3–6.

[٣] عبد الرحمن الحاج، *السلفيّة الجهادية في سوريا* (٢٠١٤)، ٤١-٤٥.

في البداية، انضم الكثير من المتدينين والمستقلين لفرع **جبهة النصرة،** لكن بعد انكشاف أهداف داعش ورفضها التنسيق مع الفصائل، اندلع الصدام بين الطرفين.

الدور التخريبي لداعش في الثورة السورية

أثبتت التجربة أن داعش كانت أداة **تفكيك لا تحرير** .أهم أدوارها السلبية:

أ. محاربة الفصائل الثورية

- في ٢٠١٣–٢٠١٤، شنّت داعش هجمات على الجيش الحر وجبهة النصرة وأحرار الشام.
- اغتالت قادة في المعارضة، وصادرت أسلحة الفصائل.
- احتلت مناطق "محررة" مثل **الرقة** و**دير الزور** و**الطبقة** وأجزاء من **حلب**.

ب. تشويه صورة الثورة

- استخدمت وسائل إعلام صادمة :**الذبح، الحرق، الرجم**، فغُيّبت الثورة إعلامياً واحتل المشهد "الإرهاب."
- برّرت الدول تراجع دعمها للثورة بحجج "انتشار الإرهاب."
- منحت النظام ذريعة لادعاء أنه يقاتل "إرهابيين" وليس شعبًا ثائرًا.

ج. منع نشوء سلطة مدنية

- دمرت المجالس المحلية.
- أغلقت المدارس الحرة، ومنعت منظمات الإغاثة.
- فرضت سطوتها على المجتمعات بقوة السلاح والترهيب.

ويحسن بنا هنا أن نذكر أسماء بعض القادة الثوريين الذين اغتالهم تنظيم داعش في سوريا، فخلال تمدد التنظيم في سوريا ما بين عامي ٢٠١٣ و٢٠١٥، عمل تنظيم الدولة بشكل منهجي على اغتيال قادة الثورة والفصائل الثورية الذين شكّلوا عقبة أمام هيمنته أو رفضوا بيعته. وهذه أبرز الأسماء المعروفة التي اغتالها التنظيم:

- **أبو ريان السرميني**: قائد ميداني في الجيش الحر – سرمين، إدلب، قُتل بعد اختطافه على يد عناصر تابعين لداعش، حيث كان من أبرز القادة الذين وقفوا ضد التنظيم في ريف إدلب، ورفض بيعته.
- **حجي مارع (عبد القادر الصالح)** قائد لواء التوحيد، ورغم أن وفاته كانت بغارة جوية للنظام على مدرسة في حلب عام ٢٠١٣، إلا أن مصادر عدة اتهمت داعش بتسريب معلومات إحداثياته للنظام بسبب عدائه الشديد للتنظيم ورفضه لمبايعته، وقيادته لواءًا قويًا ضد الفكر التكفيري.
- **أبو بكر الحموي**: قيادي في أحرار الشام، قُتل في كمين مسلح نصبه له عناصر من داعش في ريف حلب عام ٢٠١٤، بعد أن رفض الانضواء تحت راية "الدولة" وشارك في حملات إعلامية ضدهم.
- **أبو محمد الفاتح (أبو رامي):** قائد في الجيش الحر، اختطفته عناصر من داعش في مدينة الباب، ثم عُثر على جثته بعد أيام. وكان من الأصوات البارزة في محاربة التنظيم والتحذير من خطره على الثورة.
- **أبو خالد السوري (محمد بهايا)**: ممثل أيمن الظواهري في الشام وقيادي في أحرار الشام، تم اغتياله بتفجير انتحاري في مقر لحركة أحرار الشام في حلب عام ٢٠١٤. تشير كافة الدلائل إلى تورط مباشر لداعش، حيث كانت له مواقف علنية في مهاجمة ممارسات التنظيم، وكان يمثل القاعدة في سوريا، ما جعله خصمًا مزدوجًا.
- **أبو حسين بنش**: ناشط بارز في التنسيقيات المحلية في إدلب، حيث كان من أوائل النشطاء الذين فضحوا ممارسات داعش في بنش

وسرمين، وشارك في تظاهرات ضد التنظيم. قُتل برصاص مجهولين يُعتقد أنهم من داعش.

- **أبو عبد الله الحمصي:** قائد كتيبة في الجيش الحر – ريف حمص، اغتيل بعد عملية اختطاف أثناء سفره إلى ريف دير الزور للتنسيق مع فصائل الثورة، وقد تبنت صفحات تابعة للتنظيم مسؤوليته.
- **أبو ليث الكردي:** قائد كردي إسلامي في شمال حلب، رفض مبايعة التنظيم رغم كونه إسلاميًا، وكان له شعبية كبيرة في المناطق الحدودية. قُتل في تفجير استهدف مقره بعد تهديدات من عناصر داعش.
- بالإضافة إلى عشرات النشطاء الإعلاميين –منهم:
- **أحمد مسالمة:** درعا، **راكان العاصي**: الرقة، و**أسامة الحسين:** دير الزور، وقد اغتيلوا بسبب تصويرهم أو توثيقهم لانتهاكات داعش ضد المدنيين والثوار، أو لمجرد فضحهم جرائم التنظيم إعلاميًا.[٤]

هذه الاغتيالات كانت جزءًا من سياسة التنظيم في تفريغ المناطق المحررة من رموزها الثورية، وإرهاب المجتمعات المحلية كي تخضع له.[٥] وإن كان كثير من عمليات الاغتيال لم يعلن داعش مسؤوليته عنها رسميًا، لكنه كان المستفيد الأول، والجهات المحلية والمتابعة نسبت له ذلك عبر الشهادات والتحقيقات.

- العديد من المختطفين على يد داعش لا يزال مصيرهم مجهولًا حتى اليوم.

والسؤال هنا من هي الجهات التي سهّلت نشوء داعش أو استثمرت فيه؟ لا توجد جهة واحدة دعمت داعش علنًا، لكن عدة أجهزة ودول **سهّلت نشأته أو غضت الطرف** عنه أو استغلته:

---

[4] Charles Lister, *The Syrian Jihad* (OUP, 2015), 218–225.

[٥] مجلة «صدى الثورة»، "داعش والاغتيالات في صفوف الثوار" (٢٠١٥)، ٧-٩.

١. النظام السوري

- أفرج عن قيادات متطرفة من سجن صيدنايا في بداية الثورة (٢٠١١-٢٠١٢).[٦]
- لم يدخل في معارك حقيقية ضد داعش في بدايتها، بل سلّمها مدناً كالرقة.
- ضرب الفصائل الثورية وتجنب مناطق سيطرة داعش لفترة طويلة.
- سعى لاستخدام وجود داعش لإقناع الغرب بأنه يقاتل "الإرهاب."

٢. إيران

- استخدمت داعش لتشويه الثورة، ودعمت النظام في ادعائه أن الثورة "تكفيرية."
- سمحت بعبور عناصره من العراق إلى سوريا أحياناً بشكل غير مباشر.[٧]

٣. مخابرات غربية (أميركا خصوصًا)

- تجاهلت صعود داعش لفترة طويلة رغم امتلاكها أقمار تجسس دقيقة.
- تأخرت في دعم الفصائل المعتدلة، مما أعطى داعش فرصة للتوسع.[٨]
- استخدمت وجود داعش كتبرير لتدخلها لاحقًا في سوريا (٢٠١٤) دون دعم حقيقي للثوار.

---

[6] Michael Knights, "How Assad Helped Forge ISIS" (Washington Institute, 2015).

[7] International Crisis Group, "The Dark Side of the Syrian Revolution" (Oct 2014), 3–6.

[8] Fawaz Gerges, *ISIS: A History* (Princeton UP, 2016), 189–194.

٤. جهات إقليمية (بعض الأفراد في الخليج، تركيا في مراحل معينة)

- أفراد متشددون في الخليج دعموا داعش بالمال والسلاح في بداياتها، قبل تصنيفها إرهابية.
- تركيا غضّت الطرف عن عبور بعض المقاتلين الأجانب إلى سوريا في بدايات الثورة، قبل أن تغير سياستها لاحقًا بعد أن أصبحت داعش تهديدًا مباشرًا لأمنها.[٩]

سقوط داعش ووراثة الدمار

بعد أن أعلن البغدادي "الخلافة" من الموصل في ٢٠١٤، تحالفت قوى إقليمية ودولية لإسقاطها:

- **التحالف الدولي بقيادة أميركا** شنّ آلاف الغارات الجوية.
- **قوات سوريا الديمقراطية (قسد)** بدعم أميركي طردت داعش من الرقة ودير الزور.
- **العراق** طرد التنظيم من الموصل والأنبار.

لكن رغم هزيمة "الدولة"، **تركت وراءها دمارًا هائلًا**: مجتمعات محطمة، تشويه لصورة الإسلام، تباطؤ الدعم الدولي للثورة، تفكيك الفصائل وضعف الثقة بين الثوار.

داعش... العدو الذي خدم النظام

لم يكن داعش مجرد خصم للثورة، بل كان **أحد أعظم خدمات الأسد المجانية** .فقد ساهم في حرف البوصلة الدولية عن أهداف الثورة، وإحباط الحاضنة الشعبية للثورة، تقسيم المجتمع الثوري، وخلْق تبرير مثالي لتدخلات إيران وروسيا وأميركا.

---

[9] Aron Lund, *From Cold War to Civil War: Syria's Islamists* (Carnegie, 2016), 63–65.

وقد أكدت الثورة، عبر انتفاضتها الأصيلة ودماء شهدائها، أنها ليست داعش ولا تمثلها، وأن راية الحرية لا تُرفَع بذبح ولا تُحقَّق بالسكاكين، بل بالكلمة والصمود والبصيرة.



(١٥)

التدخل الإيراني والروسي – دعم النظام واستراتيجيته للبقاء

في عام ٢٠١٣ وما تلاه، أدركت كل من إيران وروسيا أن سقوط نظام الأسد سيمثل هزيمة استراتيجية كبرى لهما في المنطقة، خصوصًا في ظل التمدد السني والإقليمي للفصائل المعارضة المدعومة من دول الخليج وتركيا. لذا كثفتا دعمهما للنظام السوري بطرق متعددة.

دور **إيران في دعم نظام بشار الأسد** هو أحد المحاور المفصلية في فهم الصراع السوري، ولا يمكن فصل الثورة السورية عن البُعد الإقليمي الذي لعبت فيه طهران دورًا عسكريًا، طائفيًا، سياسيًا، وأيديولوجيًا واسع التأثير. فيما يلي تحليل شامل لأسباب تدخل إيران، وأشكال الدعم التي قدمتها للنظام، والنتائج المترتبة على ذلك.



دور إيران في دعم نظام بشار الأسد

أولاً: دوافع التدخل الإيراني في سوريا

منذ انطلاق الثورة السورية عام ٢٠١١، اتخذت إيران موقفًا واضحًا في دعم نظام بشار الأسد، وذلك لأسباب تتجاوز التضامن السياسي إلى اعتبارات عقائدية واستراتيجية عميقة.

أبرز هذه الدوافع هو حرص إيران على الحفاظ على ما تسميه "محور المقاومة" الممتد من طهران إلى بيروت مرورًا ببغداد ودمشق. كانت سوريا،

بالنسبة لإيران، الحلقة المركزية في هذا المحور، وسقوط النظام السوري كان يعني انقطاع الطريق البري الحيوي الذي يربط إيران بحزب الله في لبنان ويمنحها منفذًا جيوسياسيًا على البحر المتوسط.[١]

كما لعبت الهوية الطائفية دورًا أساسيًا في القرار الإيراني. فالنظام الإيراني الذي يقوم على أيديولوجيا شيعية ثورية، يرى نفسه "نصيرًا للمستضعفين" وخاصة من الشيعة والعلويين. ورغم الفوارق العقائدية بين العلويين والشيعة الإثني عشرية، فإن إيران نظرت إليهم كحلفاء سياسيين وطائفيين يمكن استخدامها لتثبيت مشروعها في المنطقة. ولذلك وظفت إيران سرّدية حمامة "المقامات" و"المستضعفين" لتحشيد ميليشيات شيعية عابرة للحدود.[٢]

من جهة أخرى، كان لإيران هاجس نفوذ إقليمي واضح؛ إذ أن خسارة سوريا تعني تقويضًا لنفوذها في العراق ولبنان واليمن. وكانت الثورة السورية في نظر النظام الإيراني ثورة سنية شعبية تهدد مشروعها السياسي والعسكري، وقد تُشكل عدوى قد تنتقل إلى الداخل الإيراني نفسه، كما حصل في مظاهرات الحركة الخضراء عام ٢٠٠٩. ولذلك، تعاملت إيران مع الثورة السورية باعتبارها تهديدًا داخليًا مؤجلًا، يستوجب القضاء عليه في مهده.[٣]

ثانيًا: أشكال الدعم الإيراني للنظام

اتخذ الدعم الإيراني أشكالًا متعددة، عسكرية، مالية، أمنية، وإعلامية، بما يثبت أن تدخلها لم يكن مجرد تضامن، بل تورطًا ممنهجًا ومباشرًا في الحرب ضد الشعب السوري.

---

١ المركز العربي للأبحاث، *إيران وسورية: تحالف إستراتيجي أم احتلال ناعم؟* (٢٠١٨)، ص١٠-١٢.

2 United Nations HRC ،"Report on Sectarian Violence in Syria" (2020), §22–24.

3 International Crisis Group ،"Iran's Intervention in Syria" (2019), 4–5.

الدعم العسكري

منذ المراحل الأولى للثورة، أرسلت إيران مستشارين عسكريين بقيادة قاسم سليماني، قائد فيلق القدس. ولم تكتفِ بذلك، بل نظّمت إرسال ميليشيات طائفية متعددة الجنسيات إلى سوريا، مثل:

- حزب الله اللبناني
- ميليشيات عراقية: عصائب أهل الحق، حركة النجباء، لواء أبو الفضل العباس
- ميليشيات أفغانية: لواء فاطميون
- ميليشيات باكستانية: لواء زينبيون

وقد ارتكبت هذه الجماعات مجازر طائفية موثقة في مدن مثل حمص، القصير، داريا، حلب، والزبداني، ما أدى إلى تهجير عشرات الآلاف من السكان السنة، وتفريغ العديد من المناطق من أهلها الأصليين.[٤]

الدعم الاقتصادي

دعمت إيران النظام السوري بمليارات الدولارات، إذ تشير التقديرات إلى أن حجم الدعم المالي تجاوز ٢٠ إلى ٣٠ مليار دولار خلال سنوات الحرب. شمل ذلك تقديم النفط والغاز مجانًا، واتفاقات طويلة الأمد في الفوسفات والكهرباء،[٥] وقروضًا ضخمة للبنك المركزي السوري، إضافة إلى تدخل مباشر للحفاظ على قيمة الليرة السورية ومنع انهيارها.

الدعم الأمني والاستخباراتي

قدمت إيران للنظام السوري أدوات وتقنيات متقدمة لمراقبة المعارضين، والتجسس على الإنترنت، وتحديد مواقع الناشطين. كما ساعدت

---

[4] Human Rights Watch ،"Iran's Role in Syrian War Crimes" (2020), 6–9.

[٥] مركز جسور للدراسات، *التغلغل الإيرانيّ في سورية* (٢٠٢١)، ص١٥-١٨.

في تأسيس مليشيات محلية موالية تحت مسمى "الدفاع الوطني"، وجنّدت خلايا أمنية في المدن السورية لتسهيل عمليات القمع والملاحقة.[٦]

الدعم الإعلامي والدعائي

نشرت إيران شبكة إعلامية ضخمة، تشمل قنوات مثل "المنار"، و"العالم"، و"الميادين"، لترويج رواية النظام التي تصوّر الثورة على أنها حرب إرهابية، وتهدد وحدة الدولة. كما شيطنت الحراك السلمي السوري، وقدّمت الثورة كـ"مؤامرة وهابية طائفية"، بغرض تعزيز الحشد الطائفي في صفوف ميليشياتها وأنصارها.[٧]

ثالثًا: نتائج التدخل الإيراني في سوريا

كان لهذا التدخل عواقب وخيمة على سوريا ومجتمعها وثورتها:

١. تعميق الطائفية

أدى الحضور الإيراني والميليشيات الطائفية إلى عسكرة الصراع وتحويله من حراك شعبي سلمي إلى صراع طائفي دموي .ارتُكبت مجازر مروعة بحق المدنيين، خصوصًا في المناطق ذات الأغلبية السنية، مما زاد من الانقسام الطائفي في سوريا والمنطقة، وأضعف النسيج الوطني السوري.[٨]

٢. السيطرة على الأرض والقرار

تحوّلت مناطق في دمشق وريفها، ودير الزور، وأجزاء من الجنوب والساحل إلى مناطق نفوذ إيراني مباشر. وتمددت المراكز الدينية والحوزات والمراكز الثقافية التابعة لإيران، في محاولة لتغيير الهوية الدينية للمجتمع السوري تدريجيًا. كما حصلت إيران على عقود استثمارية طويلة الأمد في قطاعات حيوية مثل الكهرباء والفوسفات والموانئ.

---

[6] Al Jazeera Investigations ،"Iran's Militias in Syria: Mapping Influence" (2023).

[7] Phillips, *The Battle for Syria* (Yale UP, 2016), 129–133.

[٨] الشبكة السوريّة لحقوق الإنسان، توثيق جرائم الميليشيات الإيرانيّة، (٢٠٢٢)، ص٧-١١.

٣. الدخول في صراعات خارجية

رغم التنسيق الروسي الإيراني على دعم الأسد، إلا أن الصراع على النفوذ بين الطرفين لم يتوقف.[٩] كما تعرضت الميليشيات الإيرانية لغارات إسرائيلية متكررة، خاصة في الجنوب السوري ومحيط دمشق، مما حوّل سوريا إلى ساحة صراع دولي بالوكالة، وأضر بمصالح الشعب السوري ومطالبه.[١٠]

الخلاصة: سوريا تحت الوصاية الإيرانية

إيران لم تتدخل في سوريا دفاعًا عن نظام أو شعب، بل حمايةً لمشروعها الطائفي الإقليمي، وخوفًا من أن تفقد أذرعها السياسية والعسكرية في المنطقة. وقد ساهمت في إطالة أمد النظام، وفي قمع الثورة، وتحويلها من انتفاضة مدنية سلمية إلى حرب شاملة.

وبفعل هذا التدخل، ارتبط اسم إيران في الوعي السوري الشعبي بالميليشيات والقصف والتدمير، وبخطاب إعلامي طائفي معادٍ لتطلعات الحرية والكرامة. وبينما انخرطت روسيا بشكل مباشر في القصف من الجو، تكفّلت إيران بالحرب على الأرض، عبر آلاف الجنود والمرتزقة، في تحالف دموي أعاد إنتاج أعتى صور القمع في التاريخ المعاصر.



دور روسيا في دعم نظام بشار الأسد

أولاً: لماذا تدخلت روسيا في سوريا؟

تدخلت روسيا في سوريا منذ اللحظة الأولى لأسباب متعددة. أبرز هذه الأسباب هو حماية حليف استراتيجي قديم. فالنظام السوري كان آخر الأنظمة العربية المتحالفة مع روسيا منذ عهد الاتحاد السوفيتي، ويُمثل ميناء طرطوس نافذة استراتيجية على البحر المتوسط، كونه القاعدة البحرية

---

٩ نفسه، ص١٢-١٤.

10 International Crisis Group, 9–11.

الروسية الوحيدة في هذه المنطقة الحيوية، مما يمنح موسكو منفذاً دافئًا نادرًا نحو البحار العالمية.

إلى جانب ذلك، كانت روسيا تخشى من انهيار نظام الأسد، وما قد يترتب عليه من انتصار ثورة شعبية تحمل قيمًا ديمقراطية أو إسلامية، الأمر الذي يهدد استراتيجيتها في المنطقة. ومن هنا سعت موسكو لفرض نموذجها المعروف في الشيشان وأوكرانيا، والمبني على مبدأ "سحق الثورة بالقوة"، وإعادة إنتاج الأنظمة المتوحشة بشكل أكثر شراسة.

كما أن روسيا رأت في الحرب السورية فرصة تاريخية للعودة إلى المسرح العالمي، وإثبات أنها لاعب لا يمكن تجاهله. وقد وظفت تدخلها العسكري والسياسي في سوريا لإحراج الولايات المتحدة، وإظهار التردد الأميركي في حسم الملف السوري، مقابل الحسم الروسي الدموي.[١١]

ثانيًا: مراحل وأشكال التدخل الروسي

بدأ التدخل الروسي في سوريا سياسيًا ودبلوماسيًا منذ عام ٢٠١١ وحتى ٢٠١٥، حيث استخدمت موسكو حق النقض "الفيتو" أكثر من ١٧ مرة في مجلس الأمن، لحماية النظام من أي إدانة أو تحقيق أممي. كما كانت تعرقل محاولات فرض عقوبات، أو فتح ملفات جرائم الحرب، وعملت على خلق مسار بديل للمفاوضات عُرف بـ"مسار أستانا"، لإفراغ مقررات جنيف من مضمونها الحقيقي.[١٢]

في سبتمبر ٢٠١٥، وبعد تدهور كبير في وضع قوات النظام، وتهديد المعارضة للعاصمة دمشق، بدأت روسيا تدخلًا عسكريًا مباشرًا واسع النطاق. أرسلت موسكو عشرات الطائرات الحربية والقاذفات الاستراتيجية، إضافة إلى أنظمة دفاع جوي مثل (إس-٤٠٠)، وأقامت قواعد دائمة في حميميم

[١١] انظر: المركز العربي للأبحاث، "روسيا في سورية: من التدخّل المحدود إلى الهيمنة" (٢٠١٨).
[12] International Crisis Group ،"Russia's New Middle East Strategy" (2019).

وطرطوس. واللافت أن أكثر من ٩٠٪ من غاراتها استهدفت مناطق المعارضة المعتدلة لا تنظيم داعش، على عكس ما كانت تروّج له إعلاميًا.[١٣]

بالإضافة إلى الطيران، كانت روسيا مزوّدة رئيسية للنظام بالذخائر، والدبابات، والطائرات، ودعمت إعادة تأهيل سلاح الجو السوري. ورافقت هذا الدعم العسكري حملة تغطية سياسية كاملة للجرائم، إذ استخدمت روسيا رواية "محاربة الإرهاب" لتبرير قصف المستشفيات، واستخدام الكيماوي، وحصار المدن الثائرة.[١٤]

ثالثًا: نتائج التدخل الروسي

أسفر التدخل الروسي عن إنقاذ نظام الأسد من الانهيار المحتوم، وتثبيته على الأرض بالقوة. استعادت قوات النظام بفضل الغطاء الجوي الروسي السيطرة على حلب عام ٢٠١٦، وعلى الغوطة الشرقية عام ٢٠١٨، وكذلك درعا، وذلك عبر القصف المكثف والتفاوض القسري.

لكن هذا التدخل جاء بثمن باهظ، فقد وثّقت منظمات حقوقية دولية مقتل آلاف المدنيين السوريين نتيجة الغارات الروسية، وتدمير مئات المدارس والمستشفيات، واستخدام أسلحة محرّمة مثل القنابل العنقودية والفسفور الأبيض.[١٥]

تحولت سوريا، بفعل هذا التدخل، إلى ما يشبه المحمية الروسية. حيث تحكّمت موسكو في ملفات جوهرية داخل الدولة السورية، مثل السياسة الخارجية، وإعادة الإعمار، وحتى بعض مفاصل الجيش والأمن. كما حصلت روسيا على عقود طويلة الأمد لاستثمار الفوسفات، وتشغيل المرافئ، وإنشاء قواعد عسكرية دائمة،[١٦] مما يضمن لها نفوذًا استراتيجيًا في شرق المتوسط.

---

١٣ الشبكة السوريّة لحقوق الإنسان، "العدوان الروسي على سورية" (٢٠٢١).

١٤ مركز حرمون، "تحليل تدخّل روسيا في سورية" (٢٠٢٠).

15 Human Rights Watch ،World Report 2023 – Syria Chapter.

١٦ مركز جسور للدراسات، "النفوذ الروسيّ والإيرانيّ في سورية" (٢٠٢٢).

رابعًا: العلاقة المعقدة بين روسيا وإيران

رغم تحالف الطرفين في دعم الأسد، إلا أن التنافس بين روسيا وإيران داخل سوريا بات واضحًا. فروسيا تسعى لتشكيل جيش نظامي تابع لها، بينما تفضل إيران الاعتماد على ميليشيات طائفية محلية، وتُنشئ شبكات أمنية واقتصادية منفصلة عن تلك التي تديرها موسكو. هذا التنافس لا يعني تصادمًا مباشرًا حتى الآن، لكنه يعكس تباينًا كبيرًا في الرؤية والسيطرة على مستقبل النظام.[١٧]

خامسًا: روسيا... المنقذ الدموي

لا يُمكن توصيف روسيا إلا بأنها كانت الفاعل الرئيسي في إنقاذ بشار الأسد من السقوط. لكنها لم تفعل ذلك بطرق دبلوماسية أو تسويات عادلة، بل من خلال تدمير المدن، وقتل المدنيين، وقصف المرافق الحيوية، وفرض سلام قسري بالقوة المفرطة.

أعادت روسيا إنتاج النظام السوري بوجه عسكري أكثر وحشية، وساهمت في ضرب الحراك الثوري المدني، وتطبيع فكرة البقاء بالقمع. ولهذا، فإن روسيا في عيون معظم السوريين باتت قوة احتلال وعدوًا مباشرًا لطموحات شعب أراد الحرية والكرامة.

إن التدخل الإيراني والروسي أعاد إحياء النظام وأعطاه فرصة لاستعادة المبادرة، لكن ذلك جلب معه تعقيدات دولية إضافية، حيث دخلت الأزمة السورية في صراع نفوذ عالمي، وعقدت محاولات الحل السياسي.[١٨]



[١٧] نفسه.

[18] Phillips, *The Battle for Syria* (Yale UP, 2016), 157-161.

(١٦)

المواقف الدولية والتوازنات الإقليمية

تفاوتت مواقف القوى الكبرى خلال هذه الفترة.

موقف الولايات المتحدة وأوروبا من النظام السوري والثورة

أولًا: الموقف الأمريكي من الثورة السورية

في بداية الثورة (٢٠١١ – ٢٠١٢) كانت الإدارة الأمريكية (برئاسة باراك أوباما) **متفاجئة** من الربيع العربي عمومًا، ولم تكن مستعدة لتغيرات كبيرة في سوريا. فقد دعت الولايات المتحدة بشار الأسد إلى الإصلاح، ثم إلى **التنحي** في أغسطس ٢٠١١، بعد تصاعد القمع الدموي، **لكنها لم تتخذ أي إجراء حاسم لإسقاط النظام**، واكتفت بإصدار تصريحات وإدانات وعقوبات رمزية[١]، دون دعم جدي للثوار.

مرحلة دعم المعارضة المعتدلة (٢٠١٢ – ٢٠١٤): في هذه المرحلة أنشأت الولايات المتحدة برامج "دعم وتدريب" للجيش الحر، أبرزها برنامج **"Timber Sycamore"** السري بمشاركة المخابرات الأمريكية (CIA) والسعودية وقطر. لكن هذا الدعم كان **محدودًا جدًا، ومشحونًا بشروط سياسية**، كما أن الأسلحة النوعية (مثل مضادات الطيران) مُنعت خوفًا من وقوعها بيد جماعات متطرفة،[٢] ومع ذلك، فقد خضعت الفصائل المدربة لرقابة مشددة، ووقع بينها صراع على التمويل، ما تسبب في إضعافها.

[١] المركز العربي للأبحاث، "الولايات المتحدة والثورة السورية: مواقف ومآلات" (٢٠١٨).

[2] Aron Lund, "The West's Hesitant Dance with the Syrian Opposition" (Carnegie, 2017).

الخط الأحمر وفضيحة الكيماوي (٢٠١٣): بعد مجزرة الغوطة بالسلاح الكيماوي، أعلن أوباما أن استخدام الكيماوي "خط أحمر." لكن حينما تجاوزه النظام، **تراجع أوباما عن توجيه ضربة عسكرية،** واكتفى باتفاق مع روسيا لتفكيك ترسانة الأسد الكيماوية. هذا الموقف **أسقط هيبة أمريكا وأعطى النظام ضوءًا أخضر للاستمرار في إجرامه.**[٣]

التحول إلى أولوية "مكافحة الإرهاب (٢٠١٤ -٢٠١٧): مع صعود تنظيم داعش، تحوّل التركيز الأمريكي من دعم الثورة إلى **محاربة داعش**. فقد أنشأت واشنطن تحالفًا دوليًا، ودعمت **قوات سوريا الديمقراطية (قسد)** في الشمال الشرقي، ما خلق شرخًا مع المعارضة. بالإضافة إلى ذلك، تجاهلت جرائم النظام، بل أحيانًا **نسقت بشكل غير مباشر** مع قواته في مواجهة داعش.

في عهد ترامب (٢٠١٧ – ٢٠٢٠): في ولايته الأولى، أبدى ترامب عداءً لفظيًا للأسد، ووصفه بـ"الحيوان." ثم وجهت أمريكا **ضربتين رمزيتين بعد** استخدام النظام للسلاح الكيماوي (خان شيخون ٢٠١٧، دوما ٢٠١٨)، لكنها كانت **استعراضية بلا أثر استراتيجي،** ثم انسحبت أمريكا جزئيًا من شمال سوريا،[٤] وفتحت الطريق أمام تدخلات تركيا وروسيا، ما زاد فوضى المشهد.

أما في عهد بايدن (٢٠٢١ – ٢٠٢٤)، فلم يحدث كبير تغيير في السياسة الأمريكية كثيراً. فقد ركزت على **استمرار العقوبات (مثل قانون قيصر)**، و**منع إعادة الإعمار دون حل سياسي،** لكنها لم تُقدم دعمًا فعّالًا للمعارضة أو للمناطق المحررة، واكتفت بإبقاء قوات رمزية في شرق سوريا.[٥]

---

[3] International Crisis Group, "Lessons from the West's Syria Policy" (2020), 4–6.

[4] Lister, *The Syrian Jihad* (OUP, 2015), 301-308.

[5] Congressional Research Service, "U.S. Policy Toward Syria" (Updates 2017-2020).

ثانيًا: موقف الاتحاد الأوروبي

دبلوماسيًا، اتخذ موقفًا قويًا منذ البداية ضد النظام، وأدان استخدام العنف، وفرض عقوبات اقتصادية على شخصيات في النظام، وجمّد الأرصدة، وأوقف العلاقات الدبلوماسية. وأما **اقتصاديًا،** فقد قدّم مساعدات إنسانية كبيرة للمناطق المحررة وللاجئين، ودعم منظمات إغاثة ومجالس محلية، لكنه **تجنب الدعم العسكري** تمامًا.

أما في السياسة العامة، فلم يكن للاتحاد الأوروبي موقف موحّد، بل اختلفت مواقف دوله: **ففرنسا** تبنّت موقفًا داعمًا نسبيًا للثوار، و**ألمانيا** ركزت على احتواء أزمة اللاجئين وأولوية الاستقرار[٦]، أما **بريطانيا** قبل خروجها من الاتحاد فدعمت الثورة سياسيًا، ثم انسحبت لاحقًا من المشهد.

في السنوات الأخيرة، ضغط الاتحاد الأوروبي ضد أي **تطبيع مع النظام السوري،** واشترط **حلًا سياسيًا وفق القرار ٢٢٥٤،** ومع ذلك فهو **لا يمتلك أدوات ضغط قوية،** ويخضع لتأثير الموقف الأمريكي بشكل كبير.[٧]

ثالثًا: ازدواجية المعايير وخيبة الأمل

رغم المواقف المعلنة ضد الأسد، إلا أن **كلا الطرفين (أمريكا وأوروبا)** تراجعا عن دعم الثورة بشكل فعلي بعد ٢٠١٤. فدُفعت الثورة السورية **نحو التهميش،** وتم تقديم الصراع باعتباره حربًا على الإرهاب، ومن ثم تجاهل الغرب ملايين الضحايا واللاجئين، وركّز على الأمن والهجرة و"الاستقرار"[٨]، ولو كان على حساب العدالة.

---

[٦] مركز حرمون، "الثورة السورية في ميزان السياسة الدولية" (٢٠٢١)، ص٢٢-٢٥.

[٧] الشبكة السورية لحقوق الإنسان، "أثر السياسات الغربية في إطالة أمد النزاع السوري" (٢٠٢٠)، ص١٠-١٢.

[8] Lister, *The Syrian Jihad* (OUP, 2015), 301-308.

خلاصة الموقف الغربي

الطرف	البداية	الموقف من الثورة	الأفعال الميدانية	النتيجة
الولايات المتحدة	دعوة الأسد للتنحي	دعم محدود للمعارضة، ثم أولوية لمحاربة داعش	ضربات رمزية، دعم قسد، تراجع عن إسقاط النظام	منع سقوط النظام، دعم انفصال قسد، تهميش المعارضة
الاتحاد الأوروبي	إدانة القمع وفرض عقوبات	دعم سياسي وإنساني للثوار	لا تدخل عسكري، مساعدات إغاثية	موقف ضعيف التأثير، رفض للتطبيع



دور دول الخليج العربي (السعودية، قطر، الإمارات) في الثورة السورية

لقد لعبت **دول الخليج العربي**، وبخاصة **السعودية وقطر والإمارات**، دورًا محوريًا في دعم الثورة السورية، لكن هذا الدور كان متقلبًا، متعدد الأطراف، متضارب الأهداف، وساهم في **تقوية الثورة في بدايتها ثم إضعافها لاحقًا بسبب التنافس والارتجال**.[١]

دور دول الخليج العربي في دعم الثورة السورية

أولاً: دوافع التدخل الخليجي

- مع اندلاع الثورة السورية في مارس ٢٠١١، برز موقف خليجي داعم للحراك الشعبي، خاصة في مراحله الأولى. كان هذا الموقف مدفوعًا بجملة من الاعتبارات السياسية والاستراتيجية، تبدأ من البعد الإنساني، ولا تنتهي عند التوازنات الإقليمية.
- فقد شعرت العديد من الدول الخليجية، وعلى رأسها قطر والسعودية، بصدمة عميقة من الوحشية التي تعامل بها نظام بشار الأسد مع المتظاهرين السلميين، وخاصة ما وثقته شاشات الإعلام في درعا وحمص، ما دفعها إلى تبني موقف علني مؤيد للثورة السورية، لأسباب أخلاقية من جهة، ولتعزيز موقعها في الشارع العربي والإسلامي من جهة أخرى.[٢]
- لكن البعد السياسي كان حاضرًا بقوة، إذ مثّلت الثورة السورية فرصة ثمينة بالنسبة لدول الخليج لتوجيه ضربة مباشرة إلى النفوذ الإيراني المتصاعد، الذي جعل من سوريا جسرًا لتمرير السلاح والمقاتلين إلى لبنان، وتعزيز موقع حزب الله، وتوسيع الحزام الشيعي في المنطقة.[٣]

---

[1] International Crisis Group, *Gulf States and the Syrian Conflict* (2021).

[٢] المركز العربي للأبحاث، التمويل الخليجي للمعارضة السورية (٢٠١٧).

[٣] مركز حرمون، السياسات الإقليمية تجاه الثورة السورية (٢٠٢٠).

من هنا، رأت السعودية والإمارات في الثورة فرصة استراتيجية لـ"كسر الهلال الإيراني."

- غير أن الطابع الإيجابي لهذا الدعم اصطدم مبكرًا بواقع الخلافات الخليجية الداخلية، حيث انقسم الموقف الخليجي بين قطر التي تبنت دعمًا مفتوحًا للفصائل ذات الطابع الإسلامي، والسعودية التي فضلت دعم فصائل أقرب إلى الخط الوطني أو القومي أو العسكري المعتدل. هذا التباين سرعان ما انعكس على الأرض، إذ دخلت الفصائل في صراعات داخلية على التمويل والولاء، ما أضعف الموقف العسكري والسياسي للمعارضة ككل.[٤]

ثانيًا: أدوار الدول الخليجية

قطر: الحاضنة السياسية والإعلامية

- كانت قطر من أوائل الدول التي تبنت الثورة السورية سياسيًا وإعلاميًا. دعمت تأسيس "المجلس الوطني السوري" ثم "الائتلاف الوطني"، وموّلت عددًا من الفصائل المقاتلة، خصوصًا في الشمال السوري، مثل "لواء التوحيد" و"أحرار الشام" و"فيلق الشام". كما لعبت قناة الجزيرة دورًا محوريًا في تقديم تغطية إعلامية متعاطفة مع الثورة، وجعلت من سوريا بندًا دائمًا على جدول الرأي العام العربي.
- لكن الدعم القطري لم يكن خاليًا من الانتقادات، فقد ركز على فصائل ذات طابع إسلامي، دون تنسيق موحد مع باقي القوى الداعمة، مما أضعف وحدة القرار السياسي للمعارضة، وأثار حساسيات داخلية بين الفصائل.[٥]

---

4 Aron Lund, *The Gulf's Role in Syria's Civil War* (Carnegie, 2016).

٥ قناة الجزيرة، أرشيف تغطية الثورة السورية (٢٠١١-٢٠١٧).

السعودية: الفاعل السياسي الأهم لاحقًا

- دعمت السعودية الثورة بشكل دبلوماسي واضح، وأدانت النظام في المحافل الدولية. كما قدّمت دعمًا ماليًا وعسكريًا لعدد من الفصائل، خصوصًا في الجنوب السوري، ورعت تأسيس كيانات سياسية مثل "الائتلاف" و"الهيئة العليا للمفاوضات"، وعقدت مؤتمرات في الرياض لتوحيد المعارضة.
- لكن الملاحظ أن السعودية ركزت على ضبط الفصائل سياسيًا أكثر من دعمها عسكريًا بنوعية الأسلحة اللازمة. كما أن رفضها تقديم مضادات طيران متطورة[٦] ترك فجوة في قدرة الفصائل على مواجهة التفوق الجوي للنظام وحلفائه.

الإمارات: الحذر والانكفاء

- بدأ الموقف الإماراتي بتأييد سياسي عام للثورة، دون تدخل مباشر في التسليح أو تمويل الفصائل. كانت أقرب لموقف السعودية، لكنها أكثر تحفظًا. ومع مرور الوقت، وتحديدًا بعد ٢٠١٦، اتجهت الإمارات نحو خيار "الاستقرار أولًا"، ما جعلها تتراجع عن أي دعم للثورة، وتتبنى لاحقًا سياسة التطبيع مع النظام، وأعادت افتتاح سفارتها في دمشق عام ٢٠١٨.[٧]

ثالثًا: التحديات التي واجهت الدعم الخليجي

- رغم النوايا المعلنة، واجه الدعم الخليجي للثورة السورية ثلاث إشكاليات رئيسية:

---

[٦] الشبكة السورية لحقوق الإنسان، *دور الدول الخليجية في دعم الثورة السورية* (٢٠٢١).

[٧] المصدر نفسه؛ تقارير «الشرق الأوسط» ٢٠١٨ حول إعادة فتح السفارة الإماراتية.

- الانقسام بين الدول الخليجية :إذ دعمت كل من قطر والسعودية فصائل مختلفة، وفقًا لاختلاف الرؤية السياسية والدينية، ما أدى إلى تشظي الميدان العسكري، وخلق توترات داخل المعارضة.
- غياب غرفة عمليات موحدة :لم تنجح دول الخليج في تأسيس غرفة تنسيق مشتركة لإدارة الملف السوري، بل اعتمدت في الغالب على وسطاء محليين وقنوات غير رسمية، مما فتح المجال للفساد والتضارب في القرار.
- تبدل المواقف في المراحل اللاحقة :مع تراجع مناطق المعارضة، وخصوصًا في حلب والجنوب، بدأت بعض الدول الخليجية بتجميد دعمها، والتركيز على "مكافحة الإرهاب"، وفي حالات مثل الإمارات، بدأت خطوات تطبيع العلاقات مع النظام.

رابعًا: أمثلة ملموسة على الدعم

الدولة	نوع الدعم	أبرز الفصائل المدعومة	ملاحظات
قطر	مالي، سياسي، إعلامي	لواء التوحيد، أحرار الشام، فيلق الشام	دعمت المجلس الوطني، ثم الائتلاف
السعودية	تسليح وتمويل سياسي	الجبهة الجنوبية، جيش الإسلام	رعت الهيئة العليا للمفاوضات
الإمارات	دبلوماسي محدود، لاحقًا تطبيع	لا دعم عسكري مباشر	عادت لتفتح سفارتها في دمشق ٢٠١٨

خامسًا: المرحلة الأخيرة من الموقف الخليجي

- بعد الهزائم المتتالية للمعارضة في الجنوب وحلب، بدأت دول الخليج في مراجعة موقفها. ساد خطاب جديد يركّز على "أولوية الاستقرار" ومكافحة الإرهاب، وتراجع الخطاب الثوري، حتى وصل إلى مرحلة التطبيع التدريجي، الذي شمل خطوات مثل إعادة فتح السفارات، أو دعم عودة النظام إلى جامعة الدول العربية.

الخلاصة: دعم مؤثر لكنه غير موحّد

- لا شك أن دول الخليج لعبت دورًا مهمًا في دعم الثورة السورية سياسيًا وماليًا، خاصة في مرحلتها الأولى. لكن غياب التنسيق، وازدواجية المواقف، والتنافس على النفوذ داخل المعارضة، وضعف التخطيط العسكري، حوّل هذا الدعم إلى سلاح ذي حدّين. بل يمكن القول إن هذه العوامل ساهمت في إضعاف المعارضة، وتفكيك صفوفها، وتضييع فرصة تاريخية لتحرير سوريا وإنهاء عهد القمع والاستبداد.[٨]



[8] International Crisis Group, Report 2021, 18-21.

(١٧)

تساؤلات حول دور الإمارات في الثورة السورية

دور الإمارات في الثورة السورية: من الدعم السياسي إلى التطبيع مع النظام

المرحلة الأولى (٢٠١١–٢٠١٣): موقف تأييد رسمي وتحفظ ميداني

مع انطلاق الثورة السورية في مارس ٢٠١١، انضمت الإمارات إلى الإجماع العربي الداعم لمطالب الشعب السوري. فقد شاركت في قرارات الجامعة العربية التي أدانت القمع الدموي للنظام، ووافقت على **تجميد عضوية سوريا في الجامعة**، وأغلقت سفارتها في دمشق، في خطوة اعتُبرت حينها جزءًا من الإجماع الخليجي – العربي لمحاسبة النظام على جرائمه ضد المتظاهرين.[١]

لكن على الرغم من هذا الموقف السياسي، فإن الإمارات **لم تنخرط في دعم الفصائل الثورية ميدانيًا أو عسكريًا**، على عكس ما فعلته قطر والسعودية. فقد ظلت تلتزم بسياسة حذرة، لا تقدم تسليحًا، ولا تمول مجموعات قتالية، مكتفية بإشارات التضامن العام، دون دعم ميداني فعّال.[٢]

المرحلة الثانية (٢٠١٤–٢٠١٦): التخوف من الإسلاميين وتغيير التوجه

مع تصاعد دور الفصائل الإسلامية في المشهد الثوري، بدأت الإمارات تتبنى موقفًا أكثر وضوحًا ضد هذه القوى، خاصة تلك المحسوبة على جماعة

---

[١] الجامعة العربيّة، قرار تعليق العضوية (١٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١١).

[٢] مركز حرمون، »علاقات الدول العربيّة مع النظام السوري: حالة الإمارات" ٢٠٢١.

الإخوان المسلمين أو ذات التوجه السلفي. وقد أبدت قلقًا متزايدًا من تمدد نفوذ هذه الفصائل داخل المعارضة السورية، وخاصة تلك المدعومة من قطر أو تركيا، كحركة أحرار الشام وجيش الإسلام وفيلق الرحمن.[٣]

في هذه المرحلة، **أخذت الإمارات مسافة سياسية من المعارضة المسلحة الإسلامية**، وبدأت في دعم أطراف تصفها بـ"المعتدلة" أو "غير المؤدلجة"، سواءً كانت شخصيات أو كيانات سياسية، لكنها **ظلت بعيدة عن التدخل العسكري المباشر** .كما بدأت تظهر مؤشرات على تنسيق سياسي هادئ بين الإمارات وروسيا في ملفات إقليمية، من بينها الملف السوري، وإن لم يُعلن عن ذلك رسميًا.[٤]

المرحلة الثالثة: التقارب مع النظام وإعادة فتح السفارة (٢٠١٨–اليوم)

في أواخر عام ٢٠١٨، كانت الإمارات **أول دولة عربية تعيد فتح سفارتها في دمشق**،في خطوة مثّلت تحولًا جذريًا في سياستها تجاه النظام السوري. رُوّجت هذه الخطوة في الإعلام الإماراتي على أنها **ضرورة لـ"احتواء إيران"** في سوريا عبر إعادة النظام إلى "الحضن العربي،"[٥] كما برّرتها الإمارات باعتبار الأسد قد "انتصر"، وأن التعامل معه بات أمرًا واقعًا يجب التكيف معه.

هذا التطور ترافق مع **خطاب سياسي يروّج لفكرة "الاستقرار أولاً"**، بمعنى أن إعادة تطبيع العلاقات مع النظام أصبح أمراً واقعاً لا بد منه،[٦] وأنها يمكن أن تُسهم في الحد من الفوضى، وضبط الحدود، وإعادة اللاجئين، حتى لو كان ذلك على حساب العدالة والمحاسبة.

---

3 International Crisis Group, "Gulf States and the Syrian Conflict" Report 234 (2021).

٤ العربي الجديد، "التحالف الإماراتي-الروسي في سورية" (٢٠٢٠).

5 Reuters, "UAE reopens embassy in Damascus after seven years" (December 27, 2018).

٦ تصريح وزير الدولة للشؤون الخارجية أنور قرقاش لقناة سكاي نيوز عربيّة (٣٠ ديسمبر ٢٠١٨).

قضية زهران علوش: اتهامات غير مثبتة

من أبرز الملفات التي أثارت جدلًا واسعًا هو **اغتيال زهران علوش،** قائد "جيش الإسلام"، في غارة جوية روسية أواخر عام ٢٠١٥. وتشير بعض التحليلات الصحفية إلى أن **الإمارات كانت على خلاف شديد مع علوش،** بسبب خلفيته السلفية، وعلاقته الوثيقة بالسعودية وقطر في مرحلة سابقة.

تقارير صحفية (مثل ميدل إيست آي والعربي الجديد) تحدثت عن احتمال وجود **تنسيق استخباراتي إماراتي–روسي في سوريا،** يشمل تمرير معلومات عن بعض الفصائل التي تعتبرها أبو ظبي "غير منسجمة" مع مشروع المعارضة المعتدلة. لكن حتى الآن، **لا توجد وثائق رسمية أو أدلة دامغة تربط الإمارات بشكل مباشر باغتيال علوش.**[٧] ومع ذلك، فإن التوقيت، والسياق السياسي، والمستفيد من الغارة، يثير تساؤلات مشروعة حول الأدوار غير المعلنة لبعض القوى.

خلاصة الموقف الإماراتي: من التحفظ إلى دعم النظام

طوال مسار الثورة السورية، حافظت الإمارات على **مسافة محسوبة،** فلم تدخل كلاعب مباشر في الصراع، لكنها لعبت دورًا مهمًا في **إعادة تأهيل النظام سياسيًا** بعد تراجعه الميداني. ويمكن تقسيم موقفها إلى ثلاث مراحل رئيسية:

الموقف الإماراتي	المرحلة
تأييد سياسي للثورة، دون دعم ميداني أو تسليح	٢٠١١-٢٠١٣
مناهضة الفصائل الإسلامية، تقارب غير مباشر مع روسيا	٢٠١٤-٢٠١٦
تطبيع سياسي كامل، فتح السفارة، دعم بقاء النظام	٢٠١٨-اليوم

في المحصلة، تبنّت الإمارات رؤية مغايرة للثورة السورية، **لا تقوم على دعم تغيير النظام** بل على احتواء تداعياته. وقد اتُّهمت – دون أدلة قاطعة

---

[7] he Guardian, "Zahran Alloush death weakens Syrian rebels" (December 26, 2015).

– بأنها ساعدت في **تهميش المعارضة**، ودعمت توجهًا دوليًا لإعادة "النظام القائم" كضامن للاستقرار الإقليمي،[٨] بعيدًا عن آمال الشعب السوري في الحرية والكرامة.[٩]



8 Aron Lund, "The Gulf's Role in Syria's Civil War" (Carnegie MEC, 2016).

9 See: Hamza Almustafa & Jonathan Fenton-Harvey, "Why the UAE aims to leverage Assad," Middle East Eye, April 10, 2020.

(١٨)

الأثر الإنساني واللاجئون: كارثة ممتدة

مع تصاعد نيران الحرب في سوريا منذ عام ٢٠١١، سرعان ما تحولت الثورة من حراك شعبي سلمي إلى واحدة من أسوأ الكوارث الإنسانية في العصر الحديث.[١] لم تكن المعارك تدور فقط بين النظام والمعارضة، بل امتدت آثارها لتشمل المدنيين الأبرياء، الذين كانوا هم الضحايا الحقيقيين لكل أشكال القتل والتدمير والتشريد.

النزوح الداخلي: وطن ممزق

في الداخل، نزح أكثر من **سبعة ملايين سوري** عن بيوتهم وقراهم ومدنهم، معظمهم توجه إلى مناطق أقل دمارًا في الشمال أو إلى مناطق سيطرة المعارضة، خاصة في إدلب وريف حلب. لكن هذه المناطق نفسها كانت عرضة للقصف والحصار المستمر،[٢] مما أدى إلى مأساة مركبة: التشريد المتكرر، انعدام الأمن الغذائي، وغياب الرعاية الصحية. كثير من هؤلاء النازحين عاشوا في مخيمات مؤقتة بظروف لا إنسانية، تفتقر إلى أبسط مقومات الحياة الكريمة، وتعرضت للبرد والحر والفيضانات والقصف.[٣]

1 UNHCR, “Syria Emergency.”

2 UNOCHA/ReliefWeb, “Syria Crisis Overview.”

٣ المرصد السوري لحقوق الإنسان، تقارير عن أوضاع المخيمات (٢٠٢٠)

أزمة اللاجئين: الشتات السوري

على المستوى الخارجي، بلغ عدد اللاجئين السوريين أكثر من **٦,٨ مليون لاجئ**، بحسب بيانات المفوضية السامية لشؤون اللاجئين. معظمهم لجأ إلى دول الجوار، مثل:

- **تركيا** :أكبر دولة مستضيفة للاجئين السوريين، حيث تجاوز عددهم ٣,٦ مليون.
- **لبنان** :استقبل ما يقرب من مليون لاجئ، رغم ظروفه الاقتصادية الهشة.
- **الأردن** :استقبل مئات الآلاف، خاصة في مخيم الزعتري.[٤]

مع اشتداد المعاناة في هذه الدول، بدأ آلاف السوريين في الهجرة إلى **أوروبا** عبر البحر أو البر، في رحلات محفوفة بالموت، بحثًا عن الأمان. هذه الهجرة الجماعية شكلت ما يُعرف بـ"أزمة اللاجئين العالمية" عام ٢٠١٥، والتي هزّت ضمير أوروبا والعالم، وتسببت في جدل واسع بشأن الهجرة، واللجوء، وحدود التضامن الإنساني.[٥]

تدمير البنية التحتية: دول بلا مؤسسات

لم تكتفِ الحرب بإزهاق الأرواح، بل دمرت **البنية التحتية الحيوية** للدولة السورية. فمعظم المدن الكبرى، كحلب وحمص ودرعا وريف دمشق، تعرضت لتدمير واسع بفعل القصف الجوي والمدفعي، سواء من قبل النظام أو روسيا.[٦] انهارت شبكات الكهرباء والماء، وتوقفت المدارس والمستشفيات، وتحول الكثير من المنشآت العامة إلى أنقاض. أكثر من **٧٠٪ من المدارس**

---

4 UNHCR, *op. cit.*

٥ قناة الجزيرة وبي بي سي، تغطية أزمة اللاجئين، ٢٠١٥.

6 International Crisis Group, Syria Reports (2020).

والمراكز الصحية خرجت عن الخدمة، بينما اضطر الأطباء والمعلّمون إلى مغادرة البلاد بحثًا عن الأمان، مما أفرغ الدولة من كفاءاتها.

الحصار والجوع والمرض: مجازر ببطء

في عدد من المناطق، فرض النظام السوري وحلفاؤه **حصارات خانقة**، مثل ما حدث في الغوطة الشرقية، ومضايا، وحمص القديمة، وداريا. حُرم المدنيون هناك من الغذاء والدواء، واضطر الأطفال لأكل أوراق الشجر. سُجلت حالات **موت بسبب الجوع** في القرن الحادي والعشرين، في مشهد صادم للضمير الإنساني العالمي. الأدوية ممنوعة، والجرحى يموتون أمام أعين ذويهم، والمرض ينتشر في غياب أبسط خدمات الصحة.[7]

التحولات الكبرى والصراع الدولي والإقليمي (٢٠١٣–٢٠١٥): من ثورة إلى ساحة صراع عالمي

في هذه المرحلة الدقيقة، انقلبت المعادلة بالكامل. لم تعد سوريا ساحة لنزاع داخلي فحسب، بل تحولت إلى **ميدان تنازع دولي** وصراع نفوذ إقليمي. صعود تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" عام ٢٠١٤، مثّل نقطة فاصلة، إذ استولى على مدن كبرى كالرقة ودير الزور، وارتكب جرائم مروعة جذبت أنظار العالم

أمام هذا المشهد، غيّرت الدول الكبرى أولوياتها .**الولايات المتحدة والغرب** قرروا تحويل تركيزهم إلى **محاربة الإرهاب**، فأنشأوا تحالفًا دوليًا لمحاربة داعش، وتحالفوا مع قوات سوريا الديمقراطية ذات القيادة الكردية، مما خلق شرخًا بين الحلفاء المفترضين، وتسبب في إحباط كبير لدى قوى الثورة السورية.

في المقابل، كثفت **إيران تدخلها العسكري** عبر ميليشياتها الشيعية متعددة الجنسيات، بينما دخلت **روسيا عسكريًا في سبتمبر ٢٠١٥**، بدعم

[7] Human Rights Watch, “Siege and Starvation in Syria.”

جوي واستخباراتي مباشر أنقذ النظام من السقوط، وأعاد له زمام السيطرة على مناطق استراتيجية، خاصة في حلب والغوطة وحمص.

في هذه المرحلة، أصبحت سوريا **ساحة حرب بالوكالة** بين أطراف متعددة:

- الولايات المتحدة والتحالف الدولي ضد داعش،
- روسيا وإيران لحماية النظام،
- تركيا ودول الخليج بدعم جزئي لفصائل المعارضة، فازدحمت أرض الشام بتناقضات الوكلاء.[٨]

هذا التعقيد الميداني والسياسي، و**الاستقطاب الطائفي والإقليمي والدولي**، أعاق أي أفق لحل سياسي فعّال، وأدى إلى إطالة أمد الصراع، وتفاقم الأزمة الإنسانية، واستمرار مأساة اللجوء والنزوح والدمار.



[٨] ICG, *ibid.*; SOHR ملفات التدخلات الخارجية.

الباب الرابع

جرائم النظام السوري في حق الشعب السوري
خلال الثورة

(١٩)

الجرائم الممنهجة لنظام الأسد وميليشيات إيران وروسيا (٢٠١١-٢٠٢٤)

منذ اللحظة الأولى التي خرج فيها السوريون في مارس ٢٠١١ مطالبين بالحرية والكرامة، ردّ النظام السوري على الهتاف بالرصاص، وعلى المظاهرات بالمجازر، ليبدأ أحد أسوأ فصول الجرائم ضد الإنسانية في القرن الحادي والعشرين. لكن ما بدأه نظام بشار الأسد سرعان ما توسّع بتحالف دموي ثلاثي ضمّ معه **ميليشيات إيران** و**القوة الجوية الروسية**، ليتحوّل المشهد السوري إلى ساحة إبادة منظمة، استخدمت فيها كل أدوات القتل والتدمير.

لقد استخدم النظام سياسة الأرض المحروقة، فقصف المدن والبلدات بالصواريخ والبراميل المتفجرة والأسلحة الكيماوية، دون تمييز بين مدني ومقاتل. وبحسب تقرير الشبكة السورية لحقوق الإنسان، فقد قُتِل أكثر من ٢٣٠ ألف مدني على يد قوات النظام بين عامي ٢٠١١ و٢٠٢٤، معظمهم في مناطق خارجة عن سيطرته.[١] وتم توثيق استخدام النظام للبراميل المتفجرة في أكثر من ٨١ ألف هجوم حتى عام ٢٠١٩، وأدت لمقتل عشرات الآلاف من النساء والأطفال.

---

[١] الشبكة السوريّة لحقوق الإنسان، «قاعدة بيانات الضحايا المدنيّين، ٢٠٢٤.

١. **درعا: الرصاصة الأولى والدماء الأولى**

- **التاريخ**: ١٨ آذار ٢٠١١
- **المكان**: مدينة درعا – الجامع العمري.
- **الحدث**: مذبحة بحق المتظاهرين السلميين بعد صلاة الجمعة.
- **الضحايا**: ٤ شهداء في اليوم الأول، وقرابة ١٠٠ خلال الأسبوع الأول.
- **نوع الجريمة**: استخدام الرصاص الحي ضد مظاهرات سلمية، واعتقالات وتعذيب أطفال (منهم حمزة الخطيب).[٢]

٢. **حمص: أولى المجازر الكبرى**

- **التاريخ**: شباط ٢٠١٢.
- **المكان**: حي بابا عمرو – حمص.
- **الحدث**: حصار الحي ثم اقتحامه من قبل قوات النظام والشبيحة.
- **الضحايا**: أكثر من ٧٠٠ شهيد خلال ٣ أسابيع.
- **نوع الجريمة**: قصف متواصل بالمدفعية، مجازر ميدانية، استخدام الأسلحة الثقيلة ضد المدنيين.[٣]

٣. **مجزرة داريا**: آب، ٢٠١٢، قُتل فيها نحو ٧٠٠ مدني.[٤]

٤. **مجزرة الحولة**: أيار/مايو ٢٠١٢، راح ضحيتها أكثر من ١٠٠ مدني، كثير منهم أطفال.[٥]

٥. **الغوطة الشرقية: جريمة الكيميائي**

---

[٢] توثيق الشبكة السورية لحقوق الإنسان لمجزرة درعاً الأولى (آذار/مارس ٢٠١١)

[٣] تقرير منظمة مراقبة حقوق الإنسان (HRW) "بدماء باردة" (In Cold Blood) عن حصار بابا عمرو (٢٠١٢).

[٤] الشبكة السورية لحقوق الإنسان، "مجزرة داريا: سردية موثقة"، ٢٠١٣.

[5] UN Commission of Inquiry, *Report A/HRC/21/50*, September 2012, §§96–104.

١. **التاريخ**: ٢١ آب/أغسطس ٢٠١٣.
٢. **المكان**: زملكا وعين ترما – ريف دمشق.
٣. **الحدث**: قصف بغاز السارين المحرّم دوليًا.
٤. **الضحايا:** ١١٢٧ شهيدًا، غالبيتهم من الأطفال والنساء.
٥. **نوع الجريمة**: إبادة جماعية باستخدام أسلحة كيميائية محظورة.[٦]

٦. حلب: البراميل تبدأ بالسقوط

- **التاريخ:** كانون الأول-كانون الثاني/يناير–ديسمبر ٢٠١٤.
- **المكان** :أحياء حلب الشرقية (الشعار، طريق الباب، الصاخور).
- **الحدث** :تصعيد بالبراميل المتفجرة التي تُلقى عشوائيًا من طائرات الهليكوبتر.
- **الضحايا:** نحو ٢,٥٠٠ مدني خلال عام واحد.
- **نوع الجريمة**: استهداف عشوائي لمناطق مدنية، تدمير واسع للبنية التحتية، تهجير جماعي.[٧]

٧. **بداية التدخل الروسي: نار من السماء**

- **التاريخ:** ٣٠أيلول/سبتمبر ٢٠١٥ – دخول رسمي لروسيا.
- **الحدث** :غارات على مدارس، مستشفيات، أسواق شعبية.
- **أمثلة**:
  - **معرة النعمان** (تشرين الثاني/نوفمبر): استهداف مشفى الرحمة – ١٥ شهيدًا.

[٦] الأمم المتحدة/منظمة حظر الأسلحة الكيميائية، تقرير البعثة المشتركة (٢٠١٣).
[7] Amnesty International, "Death Everywhere – War Crimes in Aleppo," (2015).

- **دوما** (كانون الأول/ديسمبر): قصف سوق شعبي – ٤٠ شهيدًا.

- **نوع الجريمة** :جرائم حرب بالقصف العشوائي والمتكرر.[٨]

٨. حصار حلب وإبادتها

- **التاريخ**: يوليو–ديسمبر ٢٠١٦.
- **المكان**: شرق مدينة حلب.
- **الحدث** :حصار خانق ثم حملة إبادة بقصف جوي روسي وسوري.
- **الضحايا** :أكثر من ١,٠٠٠ شهيد خلال ٤ أشهر، وتهجير أكثر من ٣٥,٠٠٠ مدني.
- **نوع الجريمة** :إبادة جماعية، تهجير قسري، استخدام الفوسفور والذخائر العنقودية.[٩]

٩. سحق الغوطة الشرقية

- **التاريخ**: شباط-آذار/فبراير–مارس ٢٠١٨.
- **الحدث**: حملة عسكرية ضخمة بإسناد روسي ومشاركة ميليشيات إيرانية مثل حزب الله وزينبيون.
- **الضحايا** :أكثر من ١,٤٠٠ شهيد خلال ٤٠ يومًا.
- **نوع الجريمة** :قصف مكثف، تجويع، استخدام الكلور، تهجير قسري لـ ٤٥,٠٠٠ شخص.[١٠]

١٠. إدلب تحت القصف الروسي

---

[٨] الشبكة السورية لحقوق الإنسان، و Airwars، قاعدة بيانات الغارات الروسية (٢٠١٦-٢٠١٥).

[9] Human Rights Watch ‹«Russia/Syria: War Crimes in Aleppo» (2017).

[10] United Nations, *Report A/HRC/38/CRP.3*, on the events in Ghouta, 2018.

- **التاريخ**: نيسان/كانون الأول/أبريل–ديسمبر ٢٠١٩.
- **الحدث**: حملة عسكرية على ريف إدلب الجنوبي (خان شيخون، معرة النعمان).
- **الضحايا**: نحو ١,٠٠٠ شهيد، وتهجير أكثر من ٦٠٠,٠٠٠ مدني.
- **نوع الجريمة** :استهداف مباشر للمدارس والأسواق والمراكز الطبية.[١١]

١١. جرائم "التسويات" في درعا

- **التاريخ**: من آب/أغسطس ٢٠٢١.
- **الحدث**: حملة اقتحام أحياء درعا البلد رغم اتفاق التسوية.
- **الضحايا**: عشرات الشهداء ومئات المعتقلين.
- **نوع الجريمة**: خرق للاتفاقات، اغتيالات، اعتقالات تعسفية، تدمير جزئي للأحياء.[١٢]

١٢. استهداف الشمال السوري المحرر

- **الحدث** :استمرار القصف الروسي والإيراني على مناطق إدلب وريف حلب.
- **أمثلة**:
  - **٢٠٢٢:** قصف مخيمات النازحين في كفر جالس – ١٠ شهداء.
  - **٢٠٢٣:** قصف مستشفى الأتارب – ٧ شهداء بينهم أطباء.
  - **٢٠٢٤:** طيران مسيّر إيراني يستهدف مقر الدفاع المدني في إدلب.

---

11 OCHA/ReliefWeb, "North-West Syria Situation Report," (Jan 2020)

١٢ الشبكة السورية لحقوق الإنسان، "درعا بعد التسويات" (تحديث شباط ٢٠٢٢).

- **نوع الجريمة** :انتهاك دائم لاتفاقات وقف إطلاق النار، استهداف منظمات إنسانية.[١٣]

غيابُ المحاسبة ... واستمرارُ الجريمة

رغم تقارير لجنة التحقيق الأممية وتوثيقات المنظّمات الحقوقية، استخدمت روسيا حقَّ النقض ١٧ مرّة لإجهاض أيّ مسار محاسبة في مجلس الأمن. ومع استمرار القصف على الشمال المحرَّر حتى ٢٠٢٤، تبقى الجرائمُ «متواصلة ومنهجيّة» وفق توصيف الأمم المتحدة.[١٤]



[١٣] الدفاع المدني السوري، سلسلة بيانات استهداف المرافق الإنسانية (٢٠٢٢-٢٠٢٤).
[14] Human Rights Watch, "Sieges and Starvation in Syria," (2017).

(٢٠)

أشهر هجمات السلاح الكيميائي في سوريا (٢٠١٣-٢٠١٨)

استخدم نظام الأسد الأسلحة الكيميائية أكثر من أيّ طرفٍ آخر في القرن الحادي والعشرين، في هجماتٍ موثَّقة تجاوزت ٢٠٠ حادثة بحسب الشبكة السورية لحقوق الإنسان.[١] أدناه أبرزُ تلك الجرائم:

١. **الغوطة الشرقية (٢١ آب/أغسطس ٢٠١٣) – المجزرة الكبرى**

- **المكان :**زملكا وعين ترما ومعضمية الشام في ريف دمشق.
- **السلاح المستخدم :**غاز السارين.
- **عدد الضحايا :**حوالي **١٤٢٩ قتيلًا** بينهم ٤٠٠ طفل.
- **التفاصيل :**في ساعات الفجر، أطلقت قوات النظام صواريخ من جبل قاسيون محمّلة بغاز السارين على مناطق مكتظة بالمدنيين.
- **النتائج :**المجزرة هزّت العالم، لكنها لم تؤدِّ إلى عقوبة حقيقية، وتم الاكتفاء باتفاق لإزالة السلاح الكيميائي بإشراف الأمم المتحدة (الذي لم يُطبّق بالكامل لاحقًا).

٢. **خان شيخون (٤ نيسان/أبريل ٢٠١٧)**

- **المكان :**مدينة خان شيخون، ريف إدلب الجنوبي.

---

[١] الشبكة السورية لحقوق الإنسان (SNHR) ، ٢١٧ هجومًا كيميائيًا موثَّقًا (تحديث ٢٠٢٣).

- **السلاح المستخدم :**غاز السارين.
- **عدد الضحايا :**أكثر من **٩٠ قتيلًا**، بينهم ٣٣ طفلًا و١٨ امرأة.
- **التفاصيل :**الطيران الحربي التابع للنظام قصف سوق المدينة بغاز السارين صباحًا. المصابون أظهروا أعراضًا شديدة: زبد، تقلّص حدقة العين، اختناق.
- **التحقيقات:** منظمة حظر الأسلحة الكيميائية أكدت استخدام السارين، ووجّهت الاتهام للنظام بشكل مباشر.

٣. دوما (٧ أبريل ٢٠١٨)

- **المكان :**مدينة دوما، الغوطة الشرقية.
- **السلاح المستخدم :**غاز الكلور بتركيز عالٍ.
- **عدد الضحايا :**أكثر من **٤٠ قتيلاً**، أغلبهم نساء وأطفال.
- **التفاصيل :**أُلقيت براميل محمّلة بالكلور من الطيران الحربي على أبنية سكنية. انتشرت صور مؤلمة لعائلات بكاملها ميتة في منازلها.
- **التحقيق :**فريق منظمة حظر الأسلحة الكيميائية حمّل النظام مسؤولية الهجوم.[٢]

٤. سراقب، خان العسل، كفر زيتا، حرستا وغيرها (٢٠١٣ – ٢٠١٨)

- **السلاح المستخدم:** الكلور في كفر زيتا، وسارين في خان العسل.
- **عدد الحوادث:** ٢١٧ **هجوم كيميائي موثق** حسب الشبكة السورية لحقوق الإنسان، تتوزع في محافظات حماة، إدلب، ريف دمشق، وحلب.[٣]

---

[2] OPCW IIT, *Report on Douma* (April 2023); Bellingcat, *Open-Source Analysis of Cylinder Trajectory* (2019).

[3] UN COI, *A/HRC/25/65* (Feb 2014) §130-140.

بعض الحوادث تم إنكارها من النظام رغم وجود أدلة تصويرية وتقارير طبية ميدانية.

ملاحظات مهمة

- جميع هذه الهجمات استهدفت مناطق ذات أغلبية **سنية** خرجت عن سيطرة النظام، وهو ما يعزز فرضية الطابع **الطائفي الإبادي** لاستخدام الكيماوي.
- رغم اتفاق ٢٠١٣ بين روسيا وأمريكا لتجريد النظام من أسلحته الكيميائية، **استمر النظام في استخدام الكلور**، وهو أقل فتكًا لكنه لا يقل وحشية حين يُستخدم في الأماكن المغلقة.
- **ضحايا الكيماوي لا يموتون دائمًا فورًا؛** كثيرون أصيبوا بإعاقات دائمة واضطرابات عصبية مزمنة.
- وثّقت منظمات دولية مثل هيومن رايتس ووتش والشبكة السورية لحقوق الإنسان والأمم المتحدة مسؤولية النظام السوري في غالبية هذه الجرائم.

دلالات استخدام السلاح الكيماوي

١. **الوحشية غير المحدودة** :استخدام أسلحة محظورة دوليًا ضد مدنيين هو سلوك نظام فقد كل شرعية أو أخلاق.

٢. **الرسالة الطائفية** :كثير من المجازر كانت تحمل طابعًا انتقاميًا من مناطق سنّية ثارت على حكم الأقلية.

٣. **اختبار الإرادة الدولية** :بعد كل هجوم، يقيس النظام رد الفعل العالمي، وبسبب الصمت والتراخي، استمرّ في جرائمه.

٤. **رعاية روسية – إيرانية** :النظام ما كان ليستخدم الكيماوي بهذا الحجم دون **غطاء روسي سياسي** و**دعم استخباراتي إيراني**.



(٢١)

مأساة حلب والغوطة – جريمتان صدمتا الضمير الإنساني

خلال سنوات الثورة السورية، برزت **حلب** و**الغوطة الشرقية** بوصفهما رمزين كبيرين للصمود الشعبي في وجه أعتى آلة عسكرية في المنطقة. لكن هاتين المنطقتين شهدتا أيضًا أفظع المجازر والانتهاكات، ليس فقط من قبل نظام الأسد، بل أيضًا على يد **ميليشيات طائفية مدعومة من إيران**، وبغطاء سياسي وعسكري كامل من **روسيا**، التي استعملت لأول مرة في تاريخها الحديث استراتيجية "الأرض المحروقة" على هذا النحو في مدن مأهولة بالسكان.

وقد تحوّل كل من **حلب والغوطة الشرقية** إلى **جبهتين عالميتين** لمشاهدة صراع غير متكافئ: شعب محاصر بأدوات بدائية في مواجهة جيوش وطائرات وبراميل متفجرة وقنابل محرّمة دوليًا.

أولاً: مأساة حلب – المدينة التي أُسقطت على رؤوس أهلها

حين دخلت الثورة إلى مدينة حلب في النصف الثاني من عام ٢٠١٢، لم يكن النظام يتوقع أن **عاصمة سوريا الاقتصادية** و"المدينة التي طالما وُصفت بالصامتة"، ستتحول إلى واحدة من أقوى جبهات الثورة.

سريعًا، سيطر الجيش الحر على أحياء واسعة من **شرق المدينة**، بما في ذلك الصاخور، طريق الباب، صلاح الدين، وهنانو. لكن النظام تمسّك بمطار النيرب ومناطق الغرب. وبدأت **حلب تتحول إلى مدينتين** :واحدة ثائرة، وأخرى تحت سيطرة النظام.

ابتداءً من ٢٠١٣، بدأ النظام يطبق سياسة **الاستنزاف والتجويع**. ثم، مع دخول **روسيا رسميًا الحرب عام ٢٠١٥**، بدأ تصعيد غير مسبوق:

- **آلاف الغارات الجوية الروسية** استهدفت الأسواق، المستشفيات، المدارس، المخابز.
- استخدام **البراميل المتفجرة** من قبل طيران النظام بشكل يومي.
- **حصار خانق** من ٢٠١٦ حتى نهاية كانون الأول/ديسمبر من نفس العام، قطع خلاله كل إمدادات الغذاء والدواء عن شرق المدينة.
- منع دخول الصليب الأحمر والأمم المتحدة في معظم مراحل الحصار.
- **تهجير قسري لما يزيد عن ٣٥,٠٠٠ مدني ومقاتل** في اتفاق تم فرضه بقوة القصف والإبادة، فيما سُمي بـ"اتفاق الكرامة المذبوحة."

تعرّض المدنيون في حلب لمجازر موثقة، بينها **مجزرة حي الفردوس، واستهداف مستشفى القدس** التابع لمنظمة أطباء بلا حدود. واستخدم النظام وروسيا **قنابل الفوسفور والذخائر العنقودية** علنًا دون رد دولي حقيقي.[٤]

ثانيًا: الغوطة الشرقية – جحيم المحاصرين

أما الغوطة الشرقية، فكانت قصة الصمود الأطول والأكثر مأساوية. منذ عام ٢٠١٢ وحتى ٢٠١٨. كانت الغوطة الشرقية من أوائل المناطق التي خرجت عن سيطرة النظام في ريف دمشق، واحتضنت واحدة من أطول

---

[٤] الشبكة السوريّة لحقوق الإنسان(SNHR) ، *تقرير القصف الجوي على حلب*، تمّوز ٢٠١٣.
-أطباء بلا حدود، *حلب الشرقية: مدينة بلا مستشفيات*، تشرين الثاني ٢٠١٦.
- Human Rights Watch, "*Death from the Sky,*" 2017.
- Bellingcat, "Aleppo Hospital Bombing – Open-Source Analysis," 2017.
- United Nations, *Report A/HRC/34/64*, Independent International Commission of Inquiry on the Syrian Arab Republic, February 2017, §§46–54.

حالات الحصار في التاريخ الحديث. تعرضت لقصف متواصل منذ عام ٢٠١٢، وبلغ الحصار ذروته عام ٢٠١٣، حيث منع النظام دخول الغذاء والدواء والمساعدات.

ظلت مدن الغوطة (دوما، عربين، زملكا، سقبا، حمورية) خارج سيطرة النظام، رغم قربها من قلب العاصمة دمشق، وتحوّلت إلى **كابوس للنظام**، فهي تحت مرمى القصر الجمهوري، وتشكل نموذجًا حيًا لحكم الثوار دون تدخل النظام، فقرر الأسد **إبادة الغوطة بصبر وتخطيط طويل الأمد**.

- **حُوصرت الغوطة ٦ سنوات كاملة**، مُنع فيها دخول الغذاء والدواء والوقود، إلا عبر أنفاق تهريب أو صفقات مشبوهة.
- في آب/أغسطس ٢٠١٣، ارتكب النظام **مجزرة الغوطة الكيميائية**، حيث قُتل أكثر من ١٤٠٠ **مدني بغاز السارين**، منهم **٤٢٦ طفلاً**، في واحدة من أبشع جرائم الحرب في القرن الحادي والعشرين.
- تعرّضت الغوطة لأكثر من ٢٥٠٠ **غارة جوية** خلال ٢٠١٧–٢٠١٨ فقط، كثير منها نفذته **الطائرات الروسية**.
- استخدمت قوات الأسد وحلفاؤها **سياسة "القضم البطيء"**، حيث كانوا يتقدمون حيًا بعد حي، مدمرين كل ما أمامهم، وسط **صمت دولي** وتخلي داعمي الثورة.

في مارس ٢٠١٨، وبعد **حملة استمرت ٤٤ يومًا**، سقطت الغوطة الشرقية بالكامل، بعد اتفاقات تهجير قسري، نُقل بموجبها أكثر من**٤٥ ألف شخص** إلى الشمال السوري. ورغم كل ذلك، لم تُفتح أي تحقيقات دولية ملزمة، وبقيت الملفات معلقة في أدراج مجلس الأمن، بعد **الفيتو الروسي المتكرر**.[٥]

---

٥ الشبكة السورية لحقوق الإنسان، *الغوطة تحت الحصار*، إصدار حزيران ٢٠١٤.

- OPCW-UN, *Report on the Use of Chemical Weapons in Ghouta*, 16 September 2013.

دلالات مأساة حلب والغوطة

١. مثّلت **مجزرة الغوطة** انكشافًا فاضحًا لعجز المجتمع الدولي عن حماية المدنيين أو فرض محاسبة رغم وجود أدلة دامغة.[٦]

٢. أما **مأساة حلب**، فشكّلت تحولًا جذريًا في موازين القوى، حيث ساهمت روسيا في تثبيت النظام من خلال سياسة "الدم مقابل البقاء."

٣. المجزرتان كشفتا تواطؤًا دوليًا ضمنيًا، واستخدمتا كسلاح ردع لأي محاولة مستقبلية لتحرير العاصمة دمشق.

٤. أظهرت أن النظام، ومعه روسيا وإيران، مستعدون لاستخدام **كل وسائل الحرب بلا محرمات**.

٥. أثبتت أن السيطرة العسكرية لا تعني النصر السياسي أو الأخلاقي، فالذاكرة السورية لم تنسَ.

٦. مهّدت هذه المآسي لاحقًا لظواهر التطرّف، واليأس الشعبي، وتفكك البنية الاجتماعية.



- Amnesty International, “We Leave or We Die: Forced Displacement under Siege in Eastern Ghouta,” March 2018.
- United Nations, “Report of the Commission of Inquiry on Syria,” February 2019, §§28–40.

[6] The Guardian, “Inside Aleppo: The Final Days,” December 2016; documents Russia’s use of the veto approximately 17 times through 2023.

(٢٢)

سجون الموت – جرائم نظام الأسد خلف الأسوار

دولة السجن بدل دولة القانون

منذ انقلاب البعث عام ١٩٦٣ ثم استيلاء حافظ الأسد على السلطة في ١٩٧٠، أصبح السجن أداة حكم، وأداة ترويض لكل صوت حرّ، ومع الوقت نشأ في سوريا **نظام أمني شمولي** يعتمد على الاعتقال العشوائي والتعذيب والإخفاء القسري. وتحولت السجون إلى مؤسسات تعذيب يومي ومراكز تصفية جسدية، لا سيما بحق أبناء الطائفة السنية.

في المشهد السوري منذ عام ٢٠١١، لا يُمكن فصل القمع الذي شهده الشارع عن الجحيم المغلق الذي مثّلته سجون ومعتقلات نظام بشار الأسد. فالسجون لم تكن مجرد مؤسسات عقابية، بل **أدوات إبادة ممنهجة** استُخدمت ضد كل من عبّر عن رأيه، أو اشتبه النظام بولائه للثورة.

ومع توالي السنوات، تكشّف للعالم حجم الجرائم المروّعة التي وقعت في تلك الزنازين، لا سيما بعد **تسريب صور قيصر** التي كشفت جانبًا من جبل الجليد الذي يخفي مئات آلاف الضحايا.[١]

أولًا: خريطة السجون والمعتقلات في سوريا

ينتشر أكثر من ٦٠ **مركز اعتقال وسجن مركزي** في سوريا، يُشرف عليها:

---

[١] الشبكة السوريّة لحقوق الإنسان، قاعدة بيانات المعتقلين والمختفين (تحديث ٢٠٢٣).

- **جهاز أمن الدولة**
- **المخابرات الجوية**
- **المخابرات العسكرية**
- **الأمن السياسي**
- **الشرطة العسكرية**

أبرز السجون المعروفة بجرائمها الممنهجة:

الجهة المشرفة	اسم السجن / المركز الأمني	المحافظة
الشرطة العسكرية/المخابرات العسكرية	سجن صيدنايا العسكري	دمشق
الأمن العسكري	فرع ٢١٥ (فرع المنطقة)	دمشق
المخابرات العسكرية	فرع فلسطين ٢٣٥	دمشق
الشرطة العسكرية	سجن حمص المركزي	حمص
الأمن السياسي	سجن حماة المركزي	حماة
المخابرات العسكرية	فرع الأمن العسكري ٢٩٠	حلب
إدارة السجون	سجن حلب المركزي	حلب
الأمن السياسي	فرع الأمن السياسي في إدلب	إدلب
المخابرات العسكرية	فرع الأمن العسكري/خربة غزالة	درعا
أمن الدولة	فرع أمن الدولة	دير الزور

سجن المزة العسكري (دمشق)

- أحد أقدم السجون السياسية في سوريا.
- استخدمه حافظ الأسد لتصفية خصومه في السبعينيات والثمانينيات.
- احتجز فيه الإسلاميون والضباط المعارضون والبعثيون المنافسون.
- أُغلق لاحقًا في التسعينيات بعد شهرة بشعة، لكن بقي رمزًا لما يُعرف بـ"حكم العيون الحمراء."

سجن تدمر العسكري – "جهنم الأرض"

- افتُتح في الستينات وبلغ ذروة رعبه في الثمانينات.
- شهد **مجزرة تدمر** في ٢٧ يونيو ١٩٨٠، حين اقتحمت قوات رفعت الأسد السجن وقتلت خلال ساعات **ما يزيد عن ١٠٠٠ معتقل أعزل** انتقامًا من محاولة اغتيال فاشلة لحافظ الأسد.
- عُرف السجن بوسائل تعذيب لا توصف :**الصعق بالكهرباء – الكيّ بالنار – قلع الأظافر – الضرب حتى الموت – إجبار المعتقلين على تعذيب بعضهم**.
- أُغلق رسميًا عام ٢٠٠١، ثم أعيد فتحه خلال الثورة، ودُمّر لاحقًا بعد سيطرة تنظيم الدولة عليه عام ٢٠١٥.[٢]

سجن صيدنايا – "المسلخ البشري"

- يقع شمال دمشق، ويُعدّ **أسوأ سجن عرفته البشرية في العصر الحديث** حسب منظمة العفو الدولية.

---

[٢] رابطة معتقلي تدمر، توثيق مجزرة تدمر ١٩٨٠؛
The Guardian, "Tadmor: Assad's Desert Prison of Horror," (2015).

- يقسم إلى جناحين: السجن الأحمر (أمني شديد) والسجن الأبيض (للضباط والعسكريين).
- منذ الثورة عام ٢٠١١، أصبح مركزًا رئيسًا للتعذيب الجماعي، وتصفية آلاف المعارضين.
- تقرير "**المسلخ البشري** "الصادر عن منظمة العفو الدولية (٢٠١٧) كشف عن:
  - **قتل ممنهج لـ ٥,٠٠٠ إلى ١٣,٠٠٠ معتقل شنقًا خلال الفترة ٢٠١١–٢٠١٥ فقط.**
  - وتصف منظمة العفو الدولية **سجن صيدنايا** بأنه "**المسلخ البشري**"، إذ وثّقت إعدامات جماعية شنقًا في منتصف الليل، بمعدل ٢٠ إلى ٥٠ شخصًا أسبوعيًا بين عامي ٢٠١١ و٢٠١٥.
  - الجثث كانت تُنقل ليلاً في شاحنات إلى مقابر جماعية.[٣]

ثانيًا: أساليب التعذيب والانتهاكات داخل السجون

السجون السورية ليست مجرد مراكز احتجاز، بل **معسكرات تعذيب وإذلال جسدي ونفسي.**

بشهادة ناجين ومنظمات حقوقية، كانت أبرز أساليب التعذيب:

- **الشبح** :تعليق المعتقل من يديه لساعات أو أيام.
- **بساط الريح** :ربط الجسد على لوح خشبي وضربه حتى الغيبوبة.
- **الدولاب** :حشر الجسد داخل إطار سيارة وضرب الأقدام والظهر.
- **الصعق الكهربائي للأعضاء التناسلية.**

---

[3] Amnesty International, “Human Slaughterhouse: Mass Hangings and Extermination at Saydnaya Prison,” (2017).

- **التحرش والاغتصاب الجنسي، للنساء والرجال.**[٤]
- **حرمان من الطعام والماء، الحبس في زنازين انفرادية ضيقة جدًا.**

بعض المعتقلين قضى أكثر من ١٥ سنة دون محاكمة، مع فقدان كامل للهوية القانونية والحقوقية.

- **قتل تحت التعذيب**، ثم تسجيل الوفاة بأسباب كاذبة (نوبة قلبية، فشل تنفسي).[٥]

ثالثًا: ضحايا السجون وصور قيصر

في عام ٢٠١٤، صُدم العالم بتسريب أكثر من ٥٥ **ألف صورة** التقطها عنصر من الشرطة العسكرية يُعرف باسم **قيصر**، لعشرات آلاف الجثث التي مات أصحابها تحت التعذيب في سجون النظام.

- معظم الصور تم التقاطها في **فرع ٢١٥** في دمشق.[٦]
- أظهرت علامات تعذيب وحروق وآثار تجويع.
- قدّرت منظمة Human Rights Watch عدد الجثث بـ **١١ ألفًا على الأقل**.
- عُرضت الصور في الكونغرس الأمريكي، والبرلمان الأوروبي، ومعارض دولية عديدة، كدليل على **جرائم حرب وإبادة جماعية**.

رابعًا: عدد الضحايا والمختفين قسرًا

وفق تقديرات الشبكة السورية لحقوق الإنسان (SNHR) حتى نهاية ٢٠٢٣:

---

[4] Independent International Commission of Inquiry on Syria, Reports A/HRC/... on torture and enforced disappearances (2012–2023).

[٥] رابطة معتقلي ومفقودي صيدنايا، "الخوف في صيدنايا" (٢٠٢٠).

[6] Human Rights Watch, “If the Dead Could Speak: Mass Deaths and Torture in Syria’s Detention Facilities,” (2015); photo archive of the Caesar Files Group.

- **أكثر من ١٥٥,٠٠٠ معتقل ومختفٍ قسريًا** لا يزال مصيرهم مجهولًا.[٧]
- **أكثر من ١٤,٠٠٠ حالة وفاة تحت التعذيب** موثقة.
- **٩٩٪ من حالات التعذيب والاختفاء** تمت على يد النظام وأجهزته.

خامساً: المقابر الجماعية – الصمت الذي كشفه التراب

- **مقبرة نجها** (ريف دمشق): موقع دفن جماعي لجثث ضحايا صيدنايا، تم تحديده في صور أقمار صناعية.
- **مقبرة تلّة كفر بطنا، وحرستا القديمة، ومعضمية الشام** :مقابر ضحايا قتل ميداني وتعذيب جماعي.
- **مقبرة تدمر الجماعية** :تم اكتشافها بعد خروج تنظيم الدولة من المدينة، تحتوي على رفات مئات المعتقلين الذين أُعدموا سرًا.

سادسًا: شهادات ناجين – "موت يومي"

- أحد المعتقلين وصف صيدنايا بأنه "حفرة مظلمة ليس فيها بشر، بل جلّادون، وصدى أصوات الموت."
- الناجيات من فرع الخطيب وفرع فلسطين تحدّثن عن **اغتصاب جماعي، وحرمان من الرعاية الصحية أثناء الحمل**.
- كثير من المعتقلين تم **قتلهم بعد توقيعهم على "إفراج" مزيف،** ليُخفى مصيرهم نهائيًا.

سابعًا: الهدف من منظومة السجون

- **كسر الإرادة الشعبية،** وزرع الرعب في المجتمع السوري.
- **الانتقام الطائفي** من الأغلبية السنية.

---

[٧] الشبكة السوريّة لحقوق الإنسان، قاعدة بيانات المعتقلين والمختفين (تحديث ٢٠٢٣).

- **ترهيب أي صوت معارض،** حتى لو كان غير سياسي.
- **تحقيق توازن ديموغرافي** عبر الإخفاء القسري.

السجن... دولة داخل الدولة

نظام الأسد لم يكن فقط يقتل خارج القانون، بل **حوّل السجون إلى مؤسسات للإبادة** .صيدنايا وتدمر لم يكونا فقط سجونًا، بل كانا رموزًا لنظام طائفي يقدّم الولاء مقابل الحياة، ويقتل باسم "الدولة" كل من يخرج عن السرب. ولن يكتب لسوريا عهد جديد ما لم تُفتح هذه السجون، وتُحاسب كل الأيدي التي امتدت لتعذيب أو قتل إنسان، وتُسلّط العدالة على الظالمين.

ثامنًا: المسؤولية القانونية والصمت الدولي

رغم فظاعة الأدلة، لم يُحاسَب النظام على هذه الجرائم بشكل دولي مباشر حتى الآن، بسبب:

- **الفيتو الروسي** في مجلس الأمن.
- ضعف آليات المحاسبة الدولية بحق الدول ذات السيادة.
- **عدم تفعيل المحكمة الجنائية الدولية** إلا بإحالة من مجلس الأمن.

لكن بالمقابل، بدأت بعض المحاكم الأوروبية محاكمة ضباط من النظام بموجب **الولاية القضائية العالمية،** كما حدث في ألمانيا وفرنسا.



الباب الخامس

إيران في سوريا المشروع الطائفي والهيمنة الإقليمية (٢٠١١-٢٠٢٤)

(٢٣)

تاريـخ نفوذ إيران في سوريا

لم تكن إيران طرفاً عابراً في الحرب السورية، بل كانت أحد أبرز الفاعلين في المشهد العسكري والسياسي منذ اندلاع الثورة السورية في مارس ٢٠١١. تدخلها لم يكن استجابة لمطلب استغاثة من حليف، بل كان جزءاً من مشروع طويل الأمد للهيمنة الإقليمية، تحت غطاء "المقاومة"، ومن خلال أدوات طائفية وعسكرية مُمأسسة.

في هذا الفصل، نرصد السياق التاريخي لهذا التدخل، نحلل أهدافه وأدواته، ونوثق آثاره العميقة على الشعب السوري والنسيج الاجتماعي، وعلى مستقبل المنطقة برمّتها.

أولاً: جذور العلاقة بين إيران والنظام السوري

بدأ التحالف بين نظام الأسد الأب (حافظ) وإيران مع قيام الثورة الخمينية عام ١٩٧٩، وتعزز بشكل كبير خلال الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠ – ١٩٨٨)، حيث قدّم الأسد دعماً سياسياً وعسكرياً لإيران ضد العراق. هذا التحالف استند إلى تقاطع استراتيجي في مواجهة الأنظمة العربية السنية، وعداء مشترك للولايات المتحدة وإسرائيل، وحرص على توسيع النفوذ الإيراني في المشرق العربي.

تطورت العلاقة في عهد بشار الأسد، لكن الثورة السورية سنة ٢٠١١ مثلت اختبارًا حقيقياً لهذه العلاقة، وتحولت فيها إيران من حليف سياسي إلى قوة احتلال حقيقية.

ثانياً: دوافع التدخل الإيراني في سوريا

يمكن تلخيص أهداف إيران في التدخل السوري في النقاط التالية:

١. **الحفاظ على محور طهران – بغداد – دمشق – بيروت:** وهذا المحور يمثّل "خطّاً أحمر"؛ فوجودٍ عسكريٍّ إيرانيّ دائم عبر سورية هو ما تُحذِّر منه حتى تقارير دوليّة بوصفه جوهر الاستراتيجية الإيرانية في المشرق.[1] ففقدان دمشق يعني انهيار الجسر البري الذي يربط إيران بحزب الله في لبنان، وهو ما تعتبره طهران خطًا أحمر استراتيجياً.

٢. **منع سقوط نظام حليف** :ترى إيران أن سقوط نظام الأسد قد يؤدي إلى ولادة نظام سني أو ديمقراطي قد يتقاطع مع مصالح الشعوب، ويهدد النفوذ الإيراني المتغلغل في المنطقة.

٣. **توسيع النفوذ الطائفي** :استخدمت إيران الحرب في سوريا كوسيلة لتوسيع التشيّع السياسي والاجتماعي والعسكري، خصوصاً في مناطق مثل دمشق، وحلب، ودير الزور.

٤. **الحضور في قلب المشرق العربي** :رأت إيران أن السيطرة على القرار السياسي والعسكري في سوريا يمنحها قدرة على التأثير في الملفات الإقليمية، من فلسطين إلى الخليج.

ثالثاً: أدوات إيران – الميليشيات الطائفية والسلاح

[1] International Crisis Group, “Colan Heights & Southwest Syria Flashpoint,” July 22, 2025.

دخلت إيران سوريا على مراحل، وبدأت أولاً بإرسال "مستشارين" من الحرس الثوري، ثم انتقلت إلى مرحلة تشكيل وتمويل ميليشيات شيعية طائفية من مختلف البلدان:

أبرز الميليشيات الإيرانية:

١. **تنظيم حزب الله اللبناني** :شارك منذ ٢٠١٢ بشكل علني، وارتكب جرائم فظيعة في القصير، القلمون، وحلب، وبلغ قوام الحزب داخل سورية بين ٧ إلى ١٠ آلاف مقاتل، وهو أكبر انتشار خارجي في تاريخ التنظيم.[٢]

٢. **فاطميون** :ميليشيا أفغانية شيعية من لاجئين أفغان في إيران مدفوعة الأجر، تم إرسالها بأعداد كبيرة.[٣]

٣. **زينبيون** :ميليشيا باكستانية شيعية، مدربة على القتال في المدن.

٤. **قوات الدفاع الوطني السورية** :تنظيم شبه عسكري تابع مباشرة لإيران، درّبته ومولته طهران.

٥. **الحرس الثوري الإيراني**: قاد العمليات العسكرية في كثير من المناطق، خاصة في الجنوب ومحيط دمشق. وقد قدرت مصادر مستقلة وجود نحو ١٠ آلاف عنصر من الحرس الثوري الإيراني عند ذروة التدخل الإيراني في سورية (٢٠١٥-٢٠١٨)، و٥٠ ألف مقاتل من الميليشيات التي يقودها في عموم سورية.[٤]

رابعاً: آثار التدخل الإيراني على سوريا

١. **الطائفية والتهجير السكاني**

---

[٢] وزارة الخارجيّة الأميركيّة، تقرير الحريّة الدينيّة الدولي ٢٠١٨ – سوريا (ص١٩)

[٣] وزارة الخزانة الأميركيّة، بيان تصنيف «فاطميّون» و«زينبيّون» كميليشيات تدعمها إيران، ٢٤ كانون الثاني / يناير ٢٠١٩.

[4] Iranian Intervention in the Syrian Civil War, (wikipedia.org)

مارست الميليشيات الإيرانية سياسة طائفية ممنهجة، خصوصاً في المناطق ذات الأغلبية السنية. تم تهجير مئات الآلاف من السكان من ريف دمشق، حمص، دير الزور، ومناطق أخرى، وتم إسكان عائلات شيعية من العراق وأفغانستان مكانهم، ضمن ما سُمّي لاحقاً "التغيير الديموغرافي."

٢. تدمير البنية الاجتماعية

أدى التدخل الإيراني إلى تفكيك النسيج السوري، وزرع الفتن بين أبناء الطوائف، وتحويل الصراع من سياسي إلى طائفي، مما زاد من عمق الشرخ بين السوريين.

٣. ارتكاب مجازر وجرائم حرب

شاركت الميليشيات المدعومة من إيران في مجازر مروعة مثل مجازر القصير، والزبداني، ومخيم اليرموك، وأحياء حلب الشرقية، ودوما، وغيرها. تم توثيق عمليات إعدام ميداني، واعتقال، وتعذيب، وحرق للمنازل.

٤. التحكم بالقرار السيادي

تحولت إيران خلال فترة الحرب إلى صاحبة القرار داخل أجهزة الدولة السورية، خصوصاً في ملفات الأمن والمخابرات، وأصبحت السفارة الإيرانية في دمشق تمارس دوراً يفوق وزارتي الدفاع والداخلية.

خامساً: الموقف الشعبي من التدخل الإيراني

كان الموقف الشعبي السوري من التدخل الإيراني عدائياً في الغالب، وخصوصاً في الأوساط الثورية، حيث اعتُبر الاحتلال الإيراني أكثر دموية من الروسي في كثير من المناطق.

انتشرت شعارات مناهضة لإيران وللمذهب السياسي الذي تسوقه، خصوصاً بعد الجرائم الجماعية ذات الطابع الطائفي. في المقابل، حاولت إيران استخدام بعض الوجوه المحلية لتبييض تدخلها، لكنها فشلت في كسب الشرعية الشعبية.

سادساً: ما بعد سقوط النظام – تراجع النفوذ الإيراني؟

مع سقوط نظام الأسد في نهاية ٢٠٢٤، تلقت إيران ضربة قوية، وخسرت أبرز قاعدة استراتيجية لها في المشرق. تراجعت ميليشياتها إلى بعض الجيوب، وبدأت تتعرض لهجمات متكررة من المقاومة الشعبية السورية.

كما بدأت الحكومة الانتقالية الجديدة في سوريا باتخاذ خطوات قانونية وأمنية لطرد النفوذ الإيراني، ومحاسبة كل المتورطين في جرائم الحرب، سواء من السوريين أو الأجانب.

كان التدخل الإيراني في سوريا أحد أكثر العوامل تدميراً للمجتمع والدولة، وقد شكّل حلقة خطيرة في مشروع التوسع الطائفي الإقليمي. اليوم، وبعد اندحار النظام، يقف السوريون أمام مهمة كبرى: تفكيك البنية الطائفية التي زرعتها إيران، واستعادة السيادة الكاملة لبناء دولة موحدة تتسع لجميع أبنائها.



(٢٤)

مشروع التشييع في سوريا – أهداف إيران وتحركاتها خلال الثورة (٢٠١١-٢٠٢٤)

منذ الأيام الأولى للثورة السورية في مارس ٢٠١١، سارعت إيران إلى اتخاذ موقف واضح وصريح بدعم نظام بشار الأسد، باعتباره الحليف الأوثق في محور "الممانعة"، ولارتباطه العقائدي والسياسي بطهران. لكن هذا الدعم لم يكن محصورًا في الجانب السياسي أو العسكري فحسب، بل كان غلافًا لمشروع أعمق وأخطر :**محاولة تغيير الهوية المذهبية للمجتمع السوري السنّي، وتوسيع النفوذ الشيعي الإيراني في قلب المشرق العربي**، عبر مزيج من المال، والمؤسسات، والتجنيس، والتجنيد، والعقيدة.[١]

الخلفية العقائدية والسياسية للدور الإيراني

تنظر إيران إلى سوريا باعتبارها "الجبهة الأمامية" في مشروعها الإقليمي. فبقاء النظام العلوي الحليف لها، وتغلغلها في النسيج السوري، يؤمن لها طريقًا استراتيجيًا إلى **حزب الله في لبنان**، ويشكّل حصنًا ضد صعود حكم سني قد يخرج البلد من الفلك الإيراني.[٢]

---

[1] Washington Institute, "Iran's Entrenched Presence in Syria," 2023.

[2] Phillips, *The Battle for Syria*, (2016); Washington Institute, "It is Time for a New Hezbollah Policy," (March, 2023).

وعليه، تبنّت إيران خطابًا مزدوجًا منذ البداية :**علنيًا تؤيد النظام تحت شعار محاربة "الإرهاب"، وسرًا تدير شبكة واسعة من النشاطات المذهبية والدعوية** في المناطق السنية المستقرة أو المنكوبة.

التحرك على الأرض: مراحل التشييع الممنهج

المرحلة الأولى (٢٠١١–٢٠١٣): النفوذ تحت غطاء الإغاثة

مع تصاعد النزوح والدمار، بدأت إيران بإنشاء **مراكز إغاثية وثقافية** في مناطق النظام، لا سيما في دمشق، وحلب، وريف حمص. هذه المراكز، التي تحمل أسماء إنسانية كـ"الهيئة الإيرانية للمساعدات"، أو "مؤسسة الإمام الخميني"، كانت بوابات **لتوزيع المساعدات المشروطة، وتنظيم برامج تثقيف ديني شيعي** بين الفقراء والمحتاجين.[٣]

كما بدأت إيران بترميم **الحسينيات القديمة والمقامات التاريخية،** وتحويلها إلى مراكز تجمّع عقائدي، وأداة جذب عقائدي تحت غطاء "حماية المقدسات."

المرحلة الثانية (٢٠١٣–٢٠١٧): التمكين العسكري والتعبئة المذهبية

بعد دخول حزب الله والميليشيات الشيعية العراقية والأفغانية إلى سوريا، بدأت إيران **بناء قاعدة مجتمعية مذهبية مسلّحة** .فقد أُنشئت ميليشيات محلية كـ"لواء أبو الفضل العباس"، و"لواء الإمام الحسين"، تتكون من سوريين شيّعتهم إيران أو موالين تم تجنيدهم مقابل المال والحماية.

بدأت هذه الميليشيات بتشييع أحياء بالكامل، ك**حي المزة ٨٦، والسيدة زينب، ونجها،** واستُخدمت المدارس والحسينيات كمراكز لنشر الفكر الخميني.

المرحلة الثالثة (٢٠١٧–٢٠٢٠): التجنيس والتغلغل المؤسساتي

---

٣ صفحة مؤسسة الإمام الخميني للإغاثة – (توضح عملها خارج إيران، بما في ذلك سوريا)

في هذه الفترة، استخدمت إيران علاقاتها بالنظام لإصدار **هويات وجنسيات سورية لعناصر شيعية أجنبية** من لبنان والعراق وأفغانستان، لإضفاء صبغة سكانية جديدة على مناطق معينة. كما بدأت **تحويل التعليم الديني** في بعض المدارس والمعاهد الشرعية في دمشق وريفها ليحمل نَفَسًا شيعيًا ناعمًا، وتم دعم **بعثات طلابية سورية إلى قم والنجف**.

المرحلة الرابعة (٢٠٢٠–٢٠٢٤): التمدد السكني والديموغرافي

مع تفاقم الانهيار الاقتصادي، اشترت إيران (عبر وسطاء سوريين ولبنانيين) **مئات العقارات في دمشق القديمة، وريف حمص، والزبداني، وداريا**، بأسعار زهيدة من المهجّرين قسرًا. ثم استقدمت عائلات شيعية للإقامة فيها، ضمن خطة "إعادة توطين" مذهبية هادئة.

وبالتوازي، دعمت مشاريع بناء "حسينيات حديثة"، وأقامت "مواكب عاشورائية" علنية في أحياء سنية سابقة.

أهداف مشروع التشييع الإيراني في سوريا

- **قطع الطريق أمام أي حكم سنّي مستقبلي** قد يعيد سوريا إلى محيطها العربي.
- **تأمين ممر عقائدي – عسكري** من طهران إلى بيروت، مرورًا ببغداد ودمشق.
- **إعادة هندسة التركيبة السكانية في سوريا** عبر التهجير والتوطين، خاصة في المناطق ذات الحساسية الاستراتيجية مثل ريف دمشق، الزبداني، القلمون، ودير الزور.
- **تحويل دمشق إلى مدينة "مفتوحة شيعيًا** "في امتداد تاريخي لمشروع "الهلال الشيعي."

المقاومة المجتمعية لهذا المشروع

رغم السيطرة الأمنية، أبدى المجتمع السوري السني في الداخل **رفضًا واسعًا لمحاولات التشييع،** وتشبثًا بهويته المذهبية والثقافية .انتشرت دعوات مضادة، ومساجد ظلّت تقاوم محاولات تحويلها، كما تم تسجيل حالات انسحاب من "دورات تشييع دعوية" بعد فضح محتواها .بل إن بعض المقربين من النظام عبّروا عن قلقهم من **اختلال التوازن المجتمعي** وخطورة ذلك على استقرار البلاد مستقبلاً.



الباب السادس

روسيا في سوريا: الحليف القاتل والرهان الخاسر

(٢٥)

التدخل الروسي في سوريا

منذ تدخّلها العسكري المباشر في سوريا في سبتمبر ٢٠١٥، لعبت روسيا دوراً مركزياً في إنقاذ نظام بشار الأسد من السقوط. بعكس إيران التي قدّمت تدخلاً طائفياً متعدد الجنسيات، مثّلت روسيا الحامي الدولي الرسمي للنظام، عبر مجلس الأمن، والفيتو، والطلعات الجوية القاتلة.[١]

في هذا الفصل، نرصد دوافع التدخل الروسي، استراتيجياته العسكرية، دوره في تثبيت الأسد سنوات إضافية، والعلاقات المتشابكة بين موسكو وطهران في الملف السوري. كما نسلّط الضوء على جرائم الحرب المرتكبة، وانعكاسات هذا التدخل على مستقبل سوريا بعد سقوط النظام.

أولاً: دوافع التدخل الروسي في سوريا

١. **منع سقوط النظام الحليف** :رأت روسيا في بقاء الأسد فرصة لحماية حليف طالما قدّم لها تسهيلات استراتيجية في المياه الدافئة، كقاعدتي طرطوس وحميميم، فضلاً عن صفقات سلاح ضخمة.[٢]

[1] Human Rights Watch, "UN: Demand End to Unlawful Aleppo Attacks," (October 3, 2016).

[2] Reuters, "Syria Agrees to Let Russia Expand Hmeimim Air Base," (August 19, 2020).

٢. **فرض نفسها كلاعب عالمي** :استغلت موسكو الأزمة السورية لتعود بقوة إلى الساحة الدولية كلاعب رئيسي ينافس الغرب، بعد سنوات من التراجع عقب انهيار الاتحاد السوفييتي.

٣. **تجريب الأسلحة وإبرام الصفقات** :تحولت الأراضي السورية إلى ميدان لتجريب أنظمة التسليح الروسية الحديثة، مما ساعد موسكو في تسويقها عالميًا، وجعل من الحرب مختبراً ميدانياً لفرض قوتها العسكرية.[٣]

ثانياً: التدخل العسكري الروسي – مراحل التوسع والتكتيك

منذ ٢٠١٥، اعتمدت روسيا استراتيجية جوية كثيفة لدعم تقدم قوات النظام والميليشيات الإيرانية، وتميّز تدخلها بالآتي:

- ضربات جوية مكثفة استهدفت المناطق المحررة، بما في ذلك مستشفيات، مدارس، وأسواق.
- فرض حصارات كما في حلب وريف دمشق، بهدف إخضاع المناطق الثائرة.
- تقديم دعم استخباراتي عبر الطائرات المسيّرة والتقنيات الحديثة.
- تسهيل عمليات التهجير القسري ضمن اتفاقيات "المصالحات."

ثالثاً: الجرائم الروسية في سوريا

وثّقت منظمات حقوق الإنسان مئات المجازر التي ارتكبتها الطائرات الروسية، من أبرزها:

- **مجزرة سوق معرة النعمان (٢٠١٩):** أسفرت عن مقتل أكثر من ٤٠ مدنيًا.

---

[3] The Times (UK), "How Syria Became a Proving Ground for Russia's Most Ruthless Generals," 2024.

- **مجزرة مشفى الأتارب (٢٠١٦):** دمّرت فيها الطائرات الروسية مستشفى كاملاً في ريف حلب الغربي.
- **قصف أحياء حلب الشرقية (٢٠١٦):** أدى إلى مقتل المئات وتهجير الآلاف. وقد وصفت مفوضية الأمم المتحدة هذه الحملة بأنها "استهدفت المستشفيات والموكب الإنساني عمداً" في جريمة حرب موثقة.[٤]

تعمدت روسيا استهداف البنية التحتية المدنية لكسر إرادة السكان، وهو ما اعتبرته منظمات دولية جرائم حرب.

رابعاً: العلاقة مع إيران – تحالف تكتيكي أم تنافس استراتيجي؟

رغم التقاء مصالح الطرفين في دعم النظام، فإن العلاقة بين روسيا وإيران اتسمت بالتالي:

- تنافس على النفوذ داخل الأجهزة الأمنية والعسكرية.
- تباين في الأهداف: روسيا تبحث عن نظام يعيد الاستقرار النسبي، بينما تطمح إيران لتكريس نفوذ مذهبي طويل الأمد.
- صراع خفي على الموارد الاقتصادية السورية، كالنفط والفوسفات والمرافئ.

مع نهاية ٢٠٢٤ وسقوط النظام، احتفظت روسيا بوجودها العسكري في قاعدتي طرطوس وحميميم، بينما سعت لإعادة ترتيب أوراقها مع الحكومة الانتقالية الجديدة.

خامساً: الموقف الشعبي السوري من روسيا

منذ تدخلها، اعتبر السوريون روسيا قوة احتلال، وتكررت التظاهرات التي نددت بدورها، ووصفت بوتين بـ"سفاح سوريا". أصبحت روسيا مرادفًا للقتل

---

٤ الأمم المتحدة، حقوق الإنسان، مكتب المفوض السامي، "الحملة الجوية على حلب..."، آذار، ٢٠١٧.

والدمار في الوعي الشعبي، ولم تنجح في تبييض صورتها رغم محاولات سياسية أو إنسانية متأخرة. وقد ركزت روسيا ضرباتها على فصائل المعارضة الديمقراطية لا على "داعش" في محاولة لإجهاض أي بديل معتدل للأسد، حسب صحافية غربية.[٥]

سادساً: ما بعد سقوط النظام – تراجع النفوذ الروسي!

مع هروب بشار الأسد في ديسمبر ٢٠٢٤، خسرت موسكو أبرز أوراقها في سوريا. بدأت الحكومة الجديدة مراجعة الاتفاقيات الموقعة مع روسيا، وتصاعدت الأصوات المطالبة بإغلاق القواعد العسكرية.

ساهمت حرب أوكرانيا في إنهاك روسيا ماليًا وعسكريًا، ما جعل استمرار وجودها في سوريا موضع تساؤل داخلي ودولي. بات مستقبل النفوذ الروسي في سوريا مهددًا، وتحول من قوة وازنة إلى عبء جيوسياسي.

خلاصة

لم يكن التدخل الروسي في سوريا مجرد دعم لحليف، بل كان حملة استعمارية حديثة هدفها فرض الهيمنة والوجود العسكري والاقتصادي. وبعد سقوط النظام، باتت روسيا في موقع الخاسر الأكبر، حيث تركت خلفها دولة مدمرة، وشعبًا يتطلع إلى مستقبل حر من التدخلات الأجنبية.



[5] The New Yorker, "Re-examining Putin's Military Interventions in the Middle East," 2021.

الباب السابع

جرائم النصيرية في سوريا: من الحقد التاريخي إلى الجريمة المنظمة

(٢٦)

منذ استيلاء حزب البعث على السلطة في ستينيات القرن الماضي، بدأت الطائفة النصيرية – التي أعيد تسويقها باسم "العلوية" – بالصعود داخل بنية الدولة السورية، مستغلة التحالف العسكري-البعثي. لكن مع وصول حافظ الأسد إلى الحكم عام ١٩٧٠، تحوّل التسلّط الطائفي من تغلغل خفي إلى مشروع سلطوي كامل، تم فيه إحكام السيطرة على الجيش، الأجهزة الأمنية، ومفاصل الدولة.[١]

غير أن الصدمة الكبرى كانت بعد اندلاع الثورة السورية عام ٢٠١١، حين انكشفت البنية العقائدية والمزاج النفسي لطائفة تم إعدادها لعقود على عقيدة كراهية الأغلبية السنية، واستُخدمت كأداة قمع شنيعة. في هذا الفصل، نرصد جرائم هذه الطائفة على مدار الثورة، ونقدّم تحليلًا نفسيًا لسلوكها الجمعي، من خلال استقراء الفكر والسلوك والعقد التاريخية.

أولًا: الخلفية التاريخية والصعود السياسي

الطائفة النصيرية ظهرت كفرقة باطنية منشقة في القرن الثالث الهجري، وواجهت عزلة تاريخية اجتماعية وعقدية بسبب غموضها ومعتقداتها المتطرفة. ظلّ النصيريون مهمّشين حتى منحهم الاحتلال الفرنسي امتيازات عسكرية، فبدأوا بالتغلغل في الجيش السوري خلال أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين.

مع انقلاب حافظ الأسد، بدأ مشروع "التمكين الطائفي" الذي مكّن النصيريين من السيطرة على الأجهزة السيادية، مقابل قمع أي حراك شعبي أو

---

[١] عبد الرحمن الحاج، *الطائفية والدولة في سوريا*، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٥.

ديني يهدد هذا الامتياز، وكانت مجزرة **حماة ١٩٨٢** أول إعلان دموي لسلطة الطائفة على الأغلبية السنية.[٢]

ثانيًا: جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية بعد ٢٠١١

١. مذابح جماعية

- **مجزرة الحولة (٢٠١٢):** نفّذتها ميليشيات "الشبّيحة" من الطائفة النصيرية، راح ضحيتها أكثر من ١٠٠ مدني معظمهم من الأطفال.[٣]
- **مجزرة البيضا (٢٠١٣):** حُرقت قرية بأكملها قرب بانياس، وذُبح السكان بالسكاكين على يد ميليشيات علوية محلية.[٤]
- **مجزرة داريا، التريمسة، قلعة الحصن، وبرزة** :جرائم كررت النمط ذاته: قتل جماعي للسنّة، غالبًا بأدوات حادة، مصحوبة بإهانة للضحايا.[٥]

٢. الاعتقال والتعذيب

كان معظم ضباط المخابرات المتورطين في تعذيب المعتقلين السنّة – رجالًا ونساءً – من الطائفة النصيرية. تقارير "قيصر" وصور آلاف الضحايا أظهرت وحشية تضاهي معسكرات النازيين.[٦]

٣. الاغتصاب والتنكيل بالجثث

وثقت منظمات حقوقية استخدام أسلوب الاغتصاب الممنهج، لا كأداة حرب فقط، بل كأداة إذلال طائفي. كما سُجلت ممارسات تقطع فيها الجثث

---

[٢] نفسه.

[٣] نفسه.

[٤] الشبكة السورية لحقوق الإنسان(SNHR) ، تقارير أعوام ٢٠١٢–٢٠٢٢.

[5] Amnesty International, “It Breaks the Human: Torture, Disease and Death in Syria’s Prisons,” 2016.

[6] Ibid.

وتُحرق، ويرقص الجناة فوقها في تسجيلات مصوّرة متعمدة، في إشارة إلى الحقد العميق.[٧]

ثالثًا: التحليل السيكولوجي لأعمالهم الإجرامية

الجرائم التي ارتكبها عناصر الطائفة النصيرية لم تكن مجرّد أوامر عسكرية، بل عبّرت عن **سلوك جماعي محمّل بأحقاد تاريخية**:

١. عقدة الاضطهاد والانتقام

عاشت الطائفة النصيرية قرونًا من العزلة والتهميش، ما ولّد لديها شعورًا عميقًا بالاضطهاد تحول إلى **انتقام تاريخي من الأغلبية السنية** عند أول فرصة.[٨]

٢. ثقافة الثأر الديني المغلّف بالسياسة

العقيدة النصيرية تؤمن بسرية المعتقدات ورفض الشريعة الإسلامية الظاهرة. وقد تطوّر داخل الطائفة شعور أن سقوط النظام يعني فناء الطائفة، لذلك تم تجييش أتباعها نفسيًا بأن "كل سني عدو"، وتم غسل أدمغة الشباب بالولاء المطلق.[٩]

٣. شخصية الجلّاد – المتلذذ بالعنف

سلوك التعذيب الوحشي، وتسجيل المجازر، والرقص على الجثث، يشير إلى حالة من **الانحراف الجمعي المرضي**، حيث تتداخل الغرائز الدموية مع العقيدة والتاريخ والحقد الطائفي.[١٠]

رابعًا: التورط الجماعي والصمت الشعبي

---

[٧] صبحي حديدي، "عن الطائفية الجديدة في سوريا"، *العربي الجديد*، ٢٠١٩.

[٨] نفسه.

[٩] نفسه.

[١٠] نفسه.

رغم أن هناك قلة من العلويين عارضت النظام، فإن الغالبية بقيت صامتة أو متورطة، بشكل مباشر أو عبر التبرير والإنكار، وساعد ذلك في تعزيز خطاب "التوحش المبرّر"، على غرار النموذج الصهيوني في فلسطين.[١١] هذه المشاركة الجماعية جعلت المصالحة الوطنية – إن لم تُبنَ على العدالة – مستحيلة.

خامسًا: التغيير الديموغرافي وإعادة تشكيل الجغرافيا

ساهمت الميليشيات النصيرية في تهجير الأغلبية السنية من المدن الكبرى (دمشق – حمص – حلب – دير الزور) وتم إحلال عناصر من الطائفة أو من حلفاء طهران محلهم، ضمن مخطط "سوريا المفيدة"، ما أدّى إلى **شرخ قومي ومذهبي خطير** في الجغرافيا السورية.[١٢]

إن ما ارتكبته الطائفة النصيرية خلال الثورة السورية لا يمكن فصله عن تاريخها، وعقيدتها، ووعيها الجمعي. فهذه لم تكن مجرد جرائم حرب، بل كانت **جريمة وجود ضد شعبٍ بأكمله**. ورغم أن سقوط النظام في ٢٠٢٤ أنهى سيطرة هذه الطائفة، فإن جراحها ستبقى مفتوحة ما لم يتحقق **عدالة انتقالية حقيقية،** تبدأ بكشف الحقيقة، ومحاسبة الجناة، وتجريد الطائفة من الامتيازات السياسية والعسكرية، وإعادة بناء الوطن على أساس المواطنة والعدالة.



---

[١١] عبد الرحمن الحاج، *الطائفية والدولة في سوريا*، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٥.

[12] Fabrice Balanche, "Sectarianism in Syria's Civil War," The Washington Institute, 2018.

الباب الثامن

بين المطرقة والسندان

منذ أن انطلقت الثورة السورية عام ٢٠١١، وجد الشعب السوري نفسه في موقع استثنائي من التاريخ المعاصر: ثورة تطالب بالحرية والكرامة، لكنها تُواجه بآلة عسكرية قمعية من جهة، وبخذلان دولي وتحريض إعلامي من جهة أخرى. وفي هذا المشهد المركّب، بدت الثورة وكأنها **عالقة بين المطرقة والسندان**:

- **المطرقة** :نظام قمعي استخدم كل ما بوسعه من قوة وعنف وجيش وميليشيات وحلفاء دوليين لتدمير إرادة الناس.
- **السندان** :تواطؤ دولي أدار ظهره لمعاناة المدنيين، وإعلام عالمي ساهم في تشويه صورة الثورة وتقزيم عدالتها.

وفي خضم هذا الضغط الهائل، تعرضت المدن الثائرة للحصار والتجويع والتهجير، بينما تحولت **إدلب** إلى **آخر معاقل الثورة**، تحمل عبء المقاومة والبقاء.



(٢٧)

الثورة السورية بين شيطنة الإعلام وتخلي المجتمع الدولي

في الثورات الكبرى، لا تقلّ المعركة الإعلامية أهمية عن المعركة الميدانية، بل تتفوق أحيانًا في تشكيل الرأي العام، وبناء الشرعية، وتحديد مصير الأحداث. ومنذ لحظاتها الأولى، وُوجهت الثورة السورية بحملة إعلامية ضخمة، محلية وإقليمية ودولية، هدفت إلى **شيطنتها وتشويه صورتها**. ومع مرور الوقت، ترافق هذا مع **تخلي واضح للمجتمع الدولي** عن دعم السوريين في وجه آلة القتل التي واجهوها.[١]

أولاً: ماكينة الإعلام الرسمي – "المؤامرة الكونية"

منذ الأيام الأولى، تبنّى النظام السوري رواية مفادها أن ما يجري ليس سوى مؤامرة خارجية تهدف لتدمير الدولة السورية، وقام بتوجيه إعلامه الرسمي – التلفزيون السوري، والإذاعة، وصحف البعث والثورة وتشرين – لتكريس عدة مفاهيم:

- **إنكار وجود مظاهرات سلمية**، وتوصيفها بأنها "أعمال شغب."
- تصوير المتظاهرين كـ"إرهابيين" و"عملاء لإسرائيل."
- بث اعترافات قسرية لمعتقلين أُجبروا تحت التعذيب على الاعتراف بالارتباط بجهات أجنبية.

---

[١] الشبكة السوريّة لحقوق الإنسان، تقارير «خطاب الكراهية وتحريف الوقائع» ٢٠١١–٢٠٢٣.

- تجاهل تام للضحايا من المدنيين، وتسليط الضوء فقط على خسائر الجيش.[2]

لاحقًا، تطوّرت تلك الرواية لتصبح أكثر تعقيدًا، باستخدام خطاب طائفي وتخويفي، يهدف إلى **تحريض الأقليات**، وتقديم النظام كحامٍ لـ"العلمانية والتنوع."

ثانيًا: الإعلام الموالي من خارج الحدود – "قنوات التضليل"

لم يكن الإعلام الرسمي وحده من يشارك في عملية الشيطنة، بل انخرطت **قنوات إعلامية عربية ودولية** في الخط نفسه، مثل:

- قناة **الميادين** و**المنار** :اللتان تبنتا رواية النظام وأدخلتا بعدها الطائفي.
- بعض القنوات الغربية (مثل RT و Press TV) ركّزت على الجماعات المتطرفة فقط، وأغفلت معاناة الشعب المدني.[3]
- شخصيات إعلامية "مستقلة" قامت ببث روايات مشككة بالثورة، واتهمتها بتلقي تمويل خارجي.

نتيجة لذلك، **تشوّهت صورة الثورة** لدى شرائح واسعة من المجتمعات، وتم طمس سلميتها وعدالة مطالبها.

ثالثًا: الإعلام المعارض – جهود عظيمة وسط قلة الموارد

في المقابل، بذل الإعلام الثوري جهدًا بطوليًا رغم الإمكانات المتواضعة:

- تأسست عشرات **الصفحات الإخبارية المحلية** التي كانت المصدر الأول للمعلومة.

---

[2] نفسه.

[3] تقرير BBC عربي «كيف تم تشويه صورة الثورة السوريّة في الإعلام؟» ٢٠١٤.

- برز صحفيون ومصوّرون ميدانيون، مثل الشهيد **راشد أبو شاور** و**محمود أبو زيد**، ممن دفعوا حياتهم ثمنًا للحقيقة.
- أُنشئت منصات مهمة مثل **شبكة شام، أورينت، سوريا مباشر، زمان الوصل، والمرصد السوري لحقوق الإنسان**.

لكن **ضعف التمويل، والانقسامات السياسية، وصعوبة الوصول للمنصات الدولية**، قللت من تأثير الإعلام الثوري مقارنة بما واجهه من مؤسسات ضخمة ممولة ومدعومة من دول وحكومات.[٤]

رابعًا: صمت وتواطؤ المجتمع الدولي

بينما كانت المجازر تقع على مرأى العالم، اكتفى المجتمع الدولي في الغالب ببيانات القلق والإدانة:

- **الفيتو الروسي والصيني** حال دون صدور أي قرار دولي حاسم رادع.[٥]
- اكتفى الغرب بفرض عقوبات اقتصادية "غير رادعة"، ورفض التدخل العسكري رغم تجاوز "الخطوط الحمراء" (كما في استخدام الكيميائي).
- **أوباما** رفض تسليح المعارضة بأسلحة نوعية، وتراجع عن ضربات عقابية في ٢٠١٣.
- اكتفت دول مثل **فرنسا وألمانيا** بالدعم الإنساني وبعض التصريحات.

---

٤ تغطيات *أورينت*، *شام*، *زمان الوصل*، والمعهد السوري للإعلام (أرشيف ٢٠١٢–٢٠١٦).

٥ *The Guardian* و*The Washington Post*، أرشيف الموقف الدولي من الثورة السوريّة ٢٠١١–٢٠١٦؛ انظر أيضاً:

Human Rights Watch, *Deadly Spin: The Syrian Government's Use of Media for Propaganda*, 2012.

بل إن بعض الدول، خصوصًا الغربية، بدأت تتبنى سرديات "مكافحة الإرهاب"، حتى ولو كان ذلك يعني القبول الضمني ببقاء الأسد.

خامسًا: نتائج الشيطنة والتخلي

١. **تفكك صورة الثورة أمام العالم** وتحولها في الإعلام العالمي إلى "نزاع أهلي طائفي."

٢. **تضاؤل الدعم الإنساني والسياسي والدبلوماسي** للمناطق المحررة.

٣. **تشجيع النظام وحلفائه على ارتكاب مزيد من الجرائم** دون خوف من المحاسبة.

٤. **هجرة الطاقات الإعلامية الثورية** وصعوبة توثيق الأحداث لاحقًا.



(٢٨)

الحصار والتهجير في المدن الثائرة

منذ بدايات الثورة السورية، تبنّى نظام بشار الأسد سياسة عسكرية مزدوجة :القصف من الخارج والحصار من الداخل .أراد بذلك كسر إرادة المدن الثائرة، وإجبارها على الاستسلام أو التهجير، بعد إنهاكها وتجويعها خطة محكمة سُمّيت لاحقًا "الجوع أو الركوع"، اتُبعت بشكل ممنهج في حمص، داريا، المعضمية، الغوطة، الزبداني، مضايا، حلب وغيرها، وغالبًا ما كانت تنتهي بتهجير السكان تحت رعاية روسية وإيرانية.[١]

كان ذلك تغييرًا ديموغرافيًا ممنهجاً، وخنقًا للمجتمع المدني المعارض، وتحويل المدن إلى خرائب.

أولًا: حمص – نموذج الحصار الأول

كانت حمص، ثالث أكبر مدينة سورية، من أوائل المدن التي ثارت ضد النظام.

- بدء حصار حيّ بابا عمرو ثم حمص القديمة مطلع ٢٠١٢؛ قطع الماء والكهرباء ومنع الغذاء والدواء.
- بين ٢٠١٢ و٢٠١٤ عاش السكان في عتمة وجوع متواصل.
- بين ٢٠١٢ و٢٠١٤، عاشت أحياء بأكملها في عتمة وجوع.

---

[١] الشبكة السوريّة لحقوق الإنسان، "الحصار والتهجير القسري ٢٠١٣-٢٠٢٢."

في مايو ٢٠١٤، تم تهجير أول دفعة من الثوار والمدنيين من حمص القديمة، بعد صفقة مع النظام برعاية أممية،[٢] وسُمّي ذلك "أول اتفاق تهجير قسري موثق في الثورة".

ثانيًا: داريا والمعضمية – الموت صمتًا

داريا، المدينة القريبة من دمشق، اشتهرت بسلميتها وتظاهراتها المنظمة. لكنها حوصرت منذ أواخر ٢٠١٢ وحتى آب/أغسطس ٢٠١٦، حين خرج آخر سكانها بعد أربع سنوات من الحصار، وحصل فيها:

- انعدام الغذاء والدواء.
- قصف بالبراميل المتفجرة بشكل شبه يومي.
- زرع أراضٍ بالكامل بالألغام.
- استهداف المشافي والمخابز وكل ما يعين على الحياة.

في المقابل، قاومت داريا حتى النهاية، وعُرفت بـ"أسطورة الصمود"، رغم قلة العدة والعدد.[٣]

ثالثًا: الغوطة الشرقية – الخنق حتى الموت

ظلت الغوطة، الواقعة على مشارف العاصمة دمشق، معقلًا مهمًا للثورة بين ٢٠١٢ و٢٠١٨.وفي هذه الفترة، شهدت:

- حصارًا خانقًا دام ٥ سنوات.
- استهداف المدنيين بالقصف الجوي والبري.
- هجومًا كيميائيًا في آب/أغسطس ٢٠١٣ خلّف أكثر من ١,١٠٠ شهيد.
- منع دخول المساعدات وفرض أسعار خيالية على الطعام.

---

[2] SiegeWatch.org, "Besieged areas and communities in Syria."

[3] Amnesty International, "We Leave or We Die: Forced Displacement under Siege in Eastern Ghouta," (2017).
https://www.amnesty.org/en/documents/mde24/7307/2017/en/

- تفشّي أمراض سوء التغذية، خصوصًا لدى الأطفال.

نهاية الحصار كانت في مارس ٢٠١٨، حين بدأت عملية عسكرية شاركت فيها روسيا، وانتهت بتهجير عشرات الآلاف نحو الشمال السوري.[٤]

رابعًا: الزبداني ومضايا – الجوع كسلاح حرب

بين عامي ٢٠١٥ و٢٠١٦، فرضت ميليشيا حزب الله حصارًا خانقًا على بلدتي مضايا والزبداني في ريف دمشق:

- وثّقت منظمات أممية وفاة أطفال بسبب الجوع الحاد.
- انتشرت صور صادمة لجثث هزيلة ومواطنين يبحثون عن أوراق الشجر.

استخدم كلّ ممن النظام وحزب الله المدنيين كورقة تفاوض ضمن ما سُمّي بـ"اتفاق المدن الأربع" (الزبداني، مضايا، كفريا، الفوعة).[٥]

خامسًا: حلب – تدمير ثم تهجير

بين تموز/يوليو وكانون الأول/ديسمبر ٢٠١٦، تعرّضت أحياء حلب الشرقية المحاصرة لقصف جوي عنيف من الطيران الروسي والنظام، ما أدى إلى:

- انهيار المستشفيات ومراكز الدفاع المدني.
- استهداف مناطق الإيواء والمخابز والمساجد.
- تقطيع المدينة وفصلها عن العالم الخارجي.
- تهجير أكثر من ٣٥,٠٠٠ مدني نحو إدلب، بعد صفقة برعاية روسية–تركية.[٦]

---

[٤] الشبكة السوريّة لحقوق الإنسان، "الحصار والتهجير القسري ٢٠١٣-٢٠٢٢."

[5] SiegeWatch.org, "Besieged areas and communities in Syria."

[6] Amnesty International, "We Leave or We Die: Forced Displacement under Siege in Eastern Ghouta," (2017).

كانت حلب مثالًا حيًا على كيف يمكن أن تُستخدم كل أدوات الحصار والقوة لفرض أمر واقع سياسي وعسكري.

سادسًا: أهداف الحصار والتهجير

- كسر الإرادة الثورية وإجبار المجتمعات على الاستسلام.
- إفراغ مناطق استراتيجية من المعارضة، خصوصًا حول دمشق وحلب.
- إحداث تغيير ديموغرافي ممنهج، لصالح النظام وحلفائه (كما حصل في القصير، والزبداني، واليرموك).
- فرض "مصالحات" قسرية تُسقط عن السكان حقوقهم السياسية والمدنية.
- استخدام المهجّرين كورقة ضغط في المفاوضات الدولية.[٧]



[٧] الشبكة السوريّة لحقوق الإنسان، "الحصار والتهجير القسري ٢٠١٣-٢٠٢٢."

(٢٩)

صمود إدلب – معقل الثورة الأخير

في المشهد السوري المتشظي، تبرز إدلب لا كمنطقة جغرافية فقط، بل كرمز لصمود استثنائي، ولحكاية طويلة من المقاومة، والمآسي، والتحديات. لم تكن هذه المحافظة الواقعة شمال غربي سوريا لتتوقع، يوم اندلعت الثورة، أنها ستصبح يومًا ما الملاذ الأخير لمن تبقى من الثائرين والمدنيين الرافضين للعيش تحت حكم نظام الأسد. لكنها صارت كذلك، شاءت أم أبت، بعد أن أُجبر مئات الآلاف على ترك منازلهم وقراهم ومدنهم في أنحاء البلاد، وتدفقوا نحو إدلب بعد موجات متلاحقة من القصف والتهجير والحصار.

من الهامش إلى واجهة الثورة

قبل عام ٢٠١١، كانت إدلب واحدة من أكثر المحافظات السورية تهميشًا، بالرغم من غناها الزراعي وموقعها الاستراتيجي قرب الحدود التركية. لم تكن مدينة جامعية أو صناعية كبيرة، ولم تحظَ باهتمام تنموي من النظام السوري، الذي نظر إليها دومًا بعين الريبة بسبب طابعها المحافظ ورفضها الضمني لسياسات الحزب الواحد. ومع اندلاع الثورة، كانت إدلب من أوائل المحافظات التي خرجت فيها المظاهرات السلمية، وانتشرت بسرعة في ريفها الواسع الذي يضم عشرات المدن والبلدات، مثل سراقب ومعرة النعمان وخان شيخون وكفرنبل، التي سرعان ما تحوّلت إلى أيقونات في الثورة.

بين عامي ٢٠١٢ و٢٠١٥، اشتدّت المعارك في ريف إدلب، وبدأت فصائل المعارضة بإحراز تقدم واسع، حتى جاء ربيع ٢٠١٥ حين أعلن عن تحرير

مدينة إدلب بالكامل على يد تحالف "جيش الفتح"، الذي ضم عددًا من كبرى الفصائل الإسلامية.[١] كانت تلك لحظة فاصلة، إذ أصبحت المحافظة كلها تقريبًا خارج سيطرة النظام، باستثناء بعض الجيوب المحاصرة ككفريا والفوعة. بعد هذا التحول، بدأت إدلب تلعب دورًا جديدًا في المعادلة: منطقة محررة بالكامل، ومركزًا للثقل السياسي والعسكري والإعلامي للثورة، وأيضًا مستقرًا قسريًا للمهجرين من مناطق أخرى.

مع تسارع وتيرة "اتفاقيات المصالحة" و"التهجير القسري" في مناطق مثل الغوطة، وريف دمشق، وريف حمص الشمالي، ودرعا، بدأ آلاف المقاتلين والمدنيين بالوصول إلى إدلب ضمن قوافل التهجير. تحوّلت المحافظة تدريجيًا إلى خزان سكاني جديد، وبلغ عدد سكانها أكثر من ثلاثة ملايين ونصف المليون، كثير منهم من الأطفال والنساء. لكن هذا الازدحام البشري لم يُقابل بدعم دولي، بل كانت إدلب توصف في بعض المحافل الدولية بأنها "مركز للإرهاب"، ما مهد الأرضية لحملات قصف وتدمير جديدة.[٢]

تحت القصف الروسي - السوري

منذ أواخر ٢٠١٥، ومع بدء التدخل الروسي العسكري في سوريا، أصبحت إدلب تحت مرمى نيران متواصل. لم تميز الغارات بين مستشفى ومدرسة، بين سوق شعبي ومخيم نازحين. عشرات المجازر ارتكبت في حق أهلها والمهجّرين إليها، أبرزها مجزرة سوق معرة النعمان في يوليو ٢٠١٩، حين قُتل أكثر من أربعين مدنيًا في لحظات. كما استهدفت مخيمات مثل قاح وباب الهوى وغيرها، بصواريخ محرّمة دوليًا. وكانت صور الأطفال تحت الأنقاض تتكرّر يوميًا، حتى بات اسم إدلب في الوعي العالمي مرادفًا للقصف والمأساة.

---

[١] الشبكة السوريّة لحقوق الإنسان، تقارير إدلب الدورية ٢٠١٥-٢٠٢٤ https://snhr.org .

[2] Amnesty International – *Death Everywhere: War Crimes in Northwestern Syria* (2020). https://www.amnesty.org

في بداية ٢٠٢٠، تصاعد الهجوم على إدلب ليبلغ ذروته. شن النظام بدعم روسي هجومًا واسعًا باتجاه الجنوب والشرق، واحتل مدنًا كبرى مثل معرة النعمان وسراقب، ما أدى إلى واحدة من أضخم موجات النزوح في تاريخ الثورة، إذ هجّر أكثر من مليون إنسان في أسابيع معدودة. الحدود التركية كانت مغلقة، والأمم المتحدة لم تتحرّك، والناس فرّوا إلى حقول الزيتون، والمغاور، والمخيمات العشوائية.

ورغم هذا الضغط العسكري الكاسح، لم تسقط إدلب. بل حدث تحوّل مفاجئ حين شنّت تركيا هجومًا مضادًا في شباط/فبراير–آذار/مارس ٢٠٢٠، أدى إلى إيقاف التقدم وفرض اتفاق هش لوقف إطلاق النار في مارس، لا يزال صامدًا بشكل نسبي حتى نهاية ٢٠٢٤، رغم الخروقات المستمرة.

ورغم ضعف الإمكانات، والمآسي الإنسانية، والفقر المدقع، نشأت في إدلب حياة مدنية موازية، حيث تأسست منظمات إغاثة، ومؤسسات تعليمية بديلة، ومراكز إعلامية ميدانية. وبرز دور "الخوذ البيضاء" كرمز للعمل المدني الإنساني في أحلك الظروف. كما استمرت المظاهرات الرمزية كل يوم جمعة، لترفع العلم السوري الثوري، وتذكر العالم أن هذه البقعة الصغيرة من الأرض لا تزال تنبض بحرية.

إدلب اليوم ليست مجرد منطقة جغرافية. إنها الصفحة الأخيرة في دفتر الثورة، والموقع الوحيد الذي بقي خارج سلطة النظام حتى نهاية عام ٢٠٢٤. وهي محل رهان الجميع: النظام يرى فيها ورقة يجب إنهاؤها قبل الإعلان عن "النصر"، وروسيا تراها تهديدًا استراتيجيًا، وتركيا تتعامل معها باعتبارها منطقة حاجز أمني، والغرب يصمت أو يكتفي بالمراقبة.

لكن في خضم هذا المشهد الدولي المتشابك، تبقى الحقيقة الأساسية هي أن إدلب صمدت. لم تسقط رغم القصف، ولم تُكسر رغم المؤامرات، وبقيت عصيّة على الانكسار، تحفظ في ذاكرتها أصوات الملايين الذين حلموا بوطن حرّ كريم.

الباب التاسع

مشايخ السلطة – كيف وظّفهم نظام الأسد لخدمة استبداده

(٣٠)

منذ بدايات حكم حافظ الأسد، أدرك النظام البعثي أن **الهيمنة على الدين لا تمر بالمواجهة، بل بالاحتواء والتطويع**، وعلى عكس ما جرى في جمهوريات أخرى تعاملت مع الدين كخصم يجب قمعه، اختار الأسد الأب أن يزرع شبكة من العلاقات والتحالفات داخل المنظومة الدينية، تشمل شيوخ الطرق الصوفية، والعلماء الرسميين، والخطباء، ومؤسسات الإفتاء، وحتى الحركات النسوية الدينية.[١]

لقد تم تعديل الدستور ليرفع من هيئة الحاكم النصيري حافظ الأسد إلى منصب "مسلم"، رغم خلفيته الطائفية – عبر ضغط واسع من علماء محسوبين على السنة وشيعة مثل **موسى الصدر –** لتكوين صورة "إسلامية" للسلطة النصيرية.[٢] وقد دعم حافظ تشييد المساجد في القرى العلوية وبعث بعناصر إلى حوزات علمية إلى قم، لبناء قاعدة شرعية مذهبية تعزز الحكم النصيري المحلي.[٣]

تم تبادل البعثات بين إيران وسوريا منذ عهد حافظ الأسد، حيث تلقى بعض الطلاب العلوم الشرعية في مدينة **قم** ثم تابعوا دراستهم في كلية الشريعة في دمشق، ليصبحوا **علماء شيعة** يمارسون التدريس والإفتاء.[٤] مع مرور الوقت، تم **إقصاء المشايخ السنة** الذين لم يوافقوا على سياسات النظام، بينما احتفظ ببعض الشخصيات التي شكلها بنفسه، مثل **أحمد حسون في**

---

[١] لؤي صافي، *الإسلام والدولة في سوريا المعاصرة*.

[٢] مركز حرمون، «منظومة الدين والدولة في سوريا»، ٢٠٢٠.

[٣] قناة الجزيرة، «القبيسيات... من السرية إلى العلن»، ٢٠١٦.

[٤] مقابلات الشيخ سارية الرفاعي، قناة "سوريا".

حلب، محمد سعيد رمضان البوطي في دمشق، وأحمد كفتارو، إضافة إلى آخرين في مناطق مختلفة.

في ظل بشار الأسد، ازداد نفوذ رجال الدين الذين دعموا النظام، حيث يشكل **العلويون** نسبة كبيرة من المعمّمين الذين يظهرون معه، وتم إرسال البعض إلى **قم والحسينيات** للحصول على التعليم الديني،[٥] وهو أمر كان يجري في الخفاء ولم يكن واضحًا للجميع آنذاك.[٦]

مع اندلاع الثورة السورية، بلغت هذه الشبكة ذروتها، فتحوّلت من أداة "شرعنة ضمنية" إلى **سلاح مباشر لتثبيت سلطة الأسد، وتبرير قمعه، وتشويه الثورة**.[٧]

أولًا: كيف بنى النظام منظومة دينية تابعة له؟

منذ مطلع الثمانينات، أعاد حافظ الأسد تشكيل البنية الدينية الرسمية في سوريا. وكانت أبرز ملامح هذه الاستراتيجية:

١. **السيطرة على وزارة الأوقاف**، وتحويلها إلى مؤسسة بيروقراطية تخضع مباشرة لأجهزة الأمن.[٨]

٢. **إخضاع التعيينات في المساجد والمعاهد الشرعية للمخابرات العامة**، فلا يُعين خطيب إلا بعد موافقة فرع الأمن السياسي أو العسكري.[٩]

---

[٥] عبد الغني عماد، *رجال الدين والدولة في سوريا*، ٢٠٢٢.

[٦] انظر شهادة عمر حذيفة (فيديو/قراءة) رقم ٥ في موقع الذاكرة السورية .www.syrianmemory.ore

[٧] مركز عمران، "الدين والخطاب السياسي في سوريا."

[٨] تقرير الشبكة السورية لحقوق الإنسان، ومركز توثيق الانتهاكات حول تحكّم الأوقاف والأمن بالمساجد.

[٩] نفسه.

٣. **تدجين الصوفية** :دعم النظام للطرق الصوفية – خاصة النقشبندية والرفاعية – جاء لأنه رأى فيها تيارًا غير سياسي، يمكن تحويله إلى قوة "تهدئة مجتمعية"، وشريك للسلطة في ضبط المساجد.[١٠]

٤. **تحجيم السلفيين والعلماء المستقلين** :عبر الاعتقال أو النفي أو التضييق على أنشطتهم التعليمية والدعوية.

هكذا، تشكلت طبقة من "علماء القصر"، قوامها الولاء أولًا، والسكوت على الفساد والاستبداد ثانيًا.

ثانيًا: انقلاب هذه المنظومة ضد الثورة

حين اندلعت الثورة السورية عام ٢٠١١، خرج الناس مطالبين بالحرية والكرامة، لكن **الخطاب الديني الرسمي لم يتبنَّ هذه المطالب**، بل سارع إلى وصف المحتجين بـ"المفتونين"، وربما "العملاء". أبرز من تجلّى هذا الخطاب فيهم كان:

- **أحمد بدر الدين حسون**: الذي قال في خطبة شهيرة: "إذا سقطت سوريا، فإننا سنُفجّر أنفسنا في أوروبا وأمريكا."[١١]
- **محمد سعيد رمضان البوطي**: الذي وصف الثورة بـ"التيار التكفيري الخارجي"، واعتبر بقاء بشار الأسد "من ثوابت الأمة."
- **عبد الفتاح البزم**: الذي ركّز على ضرورة "الصبر" و"التدرج"، وتحذير الناس من الفتنة، متجنبًا إدانة المجازر.

---

[١٠] *البوطي والثورة* (كتاب إلكتروني، ٢٠١٤).

[١١] أفادت تقارير منظمة العفو الدولية (Amnesty International) أن مفتي النظام، أحمد حسون، وصف في وثائق بأنه مفوض توقيع أحكام الإعدام، بما في ذلك الإعدامات الأسبوعية في سجن صيدنايا بين عامي ٢٠١١ – ٢٠١٥، حيث أعدم حوالي ١٣ ألف معتقل بعد مصادقة حسون على إعدامهم. انظر: Ahmad Badreddin Hassoun - Wikipedia

وساهمت هذه الشخصيات في تقديم الثورة كـ"فتنة" في وعي عامّة الناس، مستندين إلى فتاوى طاعة ولي الأمر، وخطورة الخروج على الحاكم، لتبرير القتل والتعذيب والقمع الممنهج.

ثالثًا: جماعة القبيسيات – النسخة النسوية من الولاء الديني

جماعة القبيسيات هي تنظيم دعوي نسائي سري سابقًا، ظهر في دمشق في الستينات على يد **منيرة القبيسي**، وركّز على التربية الدينية للنساء، وتحفيظ القرآن، ونشر التعاليم الأخلاقية. وقد حافظت الجماعة على **نبرة صوفية، وولاء للنظام** عبر عقود.[١٢]

مع بداية الثورة، لم تخرج الجماعة عن موقف المؤسسة الرسمية، بل عملت على:

- تهدئة النساء في المساجد ومنعهن من المشاركة في التظاهرات.
- الترويج لصورة "الرئيس المؤمن" بشار الأسد، الذي يحمي التدين من التطرّف.
- حشد الدعم لصالح النظام داخل البيئات النسائية والجامعية، خصوصًا في دمشق وحلب.
- الظهور العلني بموافقة النظام، واحتلال مواقع في المؤسسات الرسمية، مثل وزارة الأوقاف والإرشاد.[١٣]

وقد استفاد النظام من هذه الجماعة في خلق صورة "الإسلام الرسمي المعتدل"، الذي يرفض الاحتجاج والعنف ويقف ضد "الإرهاب التكفيري."

---

[١٢] لمعرفة مواقف جماعة كفتارو من الثورة السورية، انظر: محمد خير موسى "جماعة كفتارو.. المواقف من الثورة السورية" في موقع "تلفزيون سوريا" https://www.syria.tv/114745
أو انظر الملحق (١) في آخر الكتاب.

[١٣] قناة الجزيرة، «القبيسيات... من السرية إلى العلن»، ٢٠١٦.

رابعًا: دور المشايخ في صناعة الرواية الطائفية للنظام

أدى تورّط المشايخ الرسميين في خطاب النظام إلى **صبغ الثورة بلون مذهبي مضاد**، إذ استخدم النظام الروايات الدينية لصنع سردية تزعم أن الثورة تمثل:

- "تيارًا وهابيًا دخيلًا".
- "ثورة فوضى يقودها عملاء الغرب".
- "مؤامرة ضد التعايش المذهبي".

بل إن بعض هؤلاء المشايخ صرح بأن **العلويين أولى بالحكم من السلفيين**، ما زاد التوترات الطائفية وشرعَن تدخل إيران وميليشياتها بوصفها "تحمي المقامات."[١٤]

خامسًا: انهيار الثقة الشعبية بالمؤسسة الدينية

نتيجة هذا الانحياز، انقطعت الثقة بين جيل الشباب والرموز الدينية الرسمية، وتم تصوير هؤلاء المشايخ على أنهم **شركاء في الظلم، لا حماة للدين.** فقد ساهم هؤلاء المشايخ ببناء رواية استبدادية دينية تأسست عبر تطوير شرعية مزيفة للنظام أسسها دعمُ علماء طائفيين متورطين في الجرائم، وتحولت السلطة السياسة إلى أداة شرائعية، والمشائخ إلى مسؤولين تنفيذيين في حفظ النظام وسلطة القتل.

وقد أدى ذلك إلى:

- صعود تيار ديني جديد – أكثر استقلالًا وجرأة – تبنّى الثورة ودافع عنها.

---

[١٤] عبد الغني عماد، *رجال الدين والدولة في سوريا*، ٢٠٢٢.

- تزايد التوجه إلى مشايخ المعارضة في المهجر (مثل عدنان العرعور، سارية الرفاعي، أنس عيروط).
- مطالبة لاحقة بـ"تطهير الخطاب الديني" من مفاهيم الطاعة العمياء والشرعية السلطوية.[١٥]

سادساً: أوقاف المسلمين تمويل لقتلهم

لم يكتف النظام بقمع المعارضة؛ بل تم استغلال الأجهزة الدينية والمؤسسات الخيرية لتمويل القمع وتعزيز البنية الحاكمة:

- كشف تقرير الشبكة السورية لحقوق الإنسان (SNHR) أن النظام سعى لاستغلال الزكاة وتبرعات الأوقاف كموارد مالية لصالح "أجهزة أمنية" و"بزنس حكومي."
- صدور "قانون الأوقاف رقم ٣١ عام ٢٠١٨ سمح للأوقاف بإنشاء شركات واستثمار الأملاك بذريعة "تطوير النشاط الخيري"، لكنها في الواقع تحوّلت إلى أدوات اقتصادية لمصالح السلطة، وهذا يمثل خيانة للقيم الدينية.

سابعاً: قمع العلماء المستقلين والخطاب البديل

لم يُسمح للدعوة المستقلة بفرصة التنفس، فتم قمعها عبر مصادرة الخطب وسحب تراخيص المدارس والمنابر:

- سجلات الأوقاف وثقت ما بين ٢٠٠٩ و٢٠١٢ إغلاق عشرات المدارس الشرعية ودور الحديث السلفية والنقابات الدينية المستقلة.[١٦]

---

[١٥] SNHR، "استغلال الأوقاف والمنظمات الخيرية"، ٢٠٢٢.

[١٦] SNHR، تقارير إغلاق المدارس والقبعات الصوفية، ٢٠٠٩–٢٠١٢.

- تم إلزام الأئمة بثوابت عن النظام، وتحجيم أي جهد سياسي أو اجتماعي لا يخدم النظام نفسه.

هذه الخطوة تكميلية في مقاربة "الدين للدولة"، حيث تُلفظ المعايير الدعوية المستقلة ويتم تكييف الدين ليقبع تحت إمرة الزمرة الحاكمة.

لقد تحوّل الدين من مصدر أخلاقي وروحي إلى أداة أمنية تستخدم لتدمير النفوس ونزع القدرة على الصمود. بهذا تمكّن النظام من:

- تجريد الأسرة من الأمل عبر اختطاف الأطفال،[١٧] تمويل القمع عبر الدين والموارد الخيرية، تجفيف أي خطاب إسلامي مستقل عبر القمع والتصفية.

إن إدراك هذه الآليات خطوة أساسية نحو استعادة الشارع والشمولية الوطنية لاحقاً، ولبناء دولة تُعيد الدين لصفته الحقيقية: تعزيز الرحمة والتآخي والكرامة.



١٧ اعتمد النظام أساليب قمعية لاستهداف الروابط الأسرية، بما في ذلك اختطاف أطفال من عائلات المعارضين والناشطين. إفادات موثقة تشير إلى سجن وتشريد أكثر من ٣٠٠ طفل بين عامي ٢٠١٢ و٢٠١٦ دون تهم واضحة، وسط مخاوف من تجاوز العدد الألف بسبب ممارسات تهدف إلى إضعاف العائلات وثنيها عن المقاومة.

الباب العاشر

المقاومة السياسة والمدنية

(٣١)

المجلس الوطني السوري – النشأة، الأعضاء، والسياسات

في خضم الحراك الشعبي الواسع الذي اجتاح المدن السورية منذ مارس ٢٠١١، برزت الحاجة الملحّة إلى جسم سياسي يمثل الثورة في المحافل الإقليمية والدولية. فقد كانت المظاهرات عفوية في بداياتها، يقودها شباب في الداخل دون قيادة موحدة أو مرجعية سياسية، في وقتٍ كان النظام يسعى لتصوير ما يحدث على أنه تمرّد محدود أو مؤامرة خارجية. من هنا، جاءت فكرة تأسيس **المجلس الوطني السوري** كمحاولة أولى وجريئة لبناء تمثيل سياسي جامع للثورة السورية.[١]

النشأة والسياق

شهدت الأشهر الأولى من الثورة محاولات تنسيق داخلية وخارجية لتشكيل جسم معارض يتحدث باسم المحتجين. وبحلول صيف ٢٠١١، بدأت اجتماعات تنسيقية عديدة في تركيا وفرنسا والولايات المتحدة، ضمت معارضين من أطياف فكرية وسياسية متنوعة: ليبراليين، قوميين، إسلاميين، علمانيين، ومستقلين.

أُعلن رسميًا عن تشكيل **المجلس الوطني السوري** في ٢ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١١، من العاصمة التركية إسطنبول، بعد مشاورات واسعة

---

[1] Syrian National Council, *Archive of Political Statements, 2011–2012*, Syrian National Council website, accessed 30 July 2025, https://www.syriancouncil.org/archive.

استمرت أشهرًا. وضم المجلس حينها ٢٣٠ عضوًا تقريبًا، موزعين بين كتل سياسية، وشخصيات مستقلة، وممثلين عن تنسيقيات الداخل، ومجالس ثورية محلية، إضافة إلى شخصيات في المهجر.[٢]

التكوين والتركيبة

كان المجلس عبارة عن **ائتلاف فضفاض** من مكونات سورية متنوعة، ضمّ:

- الإخوان المسلمين – كأحد أكبر الكتل المنظمة داخله.
- إعلان دمشق – وهو تيار معارض علماني تأسس قبل الثورة.
- شخصيات من العشائر والمجالس الثورية.
- ممثلين عن الأكراد والمسيحيين والمستقلين.
- شخصيات سورية معروفة مثل برهان غليون، جورج صبرا، عبد الباسط سيدا، رياض سيف، بسمة قضماني.[٣]

ورغم هذا التنوع، ظلّ المجلس يحمل **صبغة إسلامية–ليبرالية** في آنٍ معًا، ما جعله عرضة لانتقادات من جهات يسارية وقومية.

السياسات والمواقف

منذ تأسيسه، تبنى المجلس خطابًا يؤكد على **دعم الثورة السلمية**، ورفض أي شكل من أشكال الحوار مع نظام الأسد ما لم يكن مقرونًا برحيله. كما دعا إلى حماية المدنيين، وفرض مناطق حظر طيران، وطالب المجتمع الدولي بالتدخل لحماية الشعب السوري.

---

[2] Syrian National Council, "Founding Charter and Organizational By-Laws," in *Syrian Memory* (digital archive), accessed 30 July 2025, https://syrianmemory.org/political-opposition/snc-founding.

[3] Burhan Ghalioun, interview by Al Jazeera Arabic, *Liqāʾ al-Yawm*, 3 October 2011, video, 25:13; Basma Kodmani, interview by *Al-Araby al-Jadeed*, 15 March 2012, https://www.alaraby.co.uk.

أصدر المجلس وثائق سياسية عدة، من أبرزها "الرؤية الوطنية للمرحلة الانتقالية"، والتي تعهد فيها باحترام الحريات العامة، وحقوق الإنسان، وبناء دولة مدنية ديمقراطية تعددية. كما حاول بناء علاقات دبلوماسية مع دول عربية وغربية، وشارك في مؤتمرات دولية، أبرزها مؤتمرات "أصدقاء الشعب السوري."[٤]

لكن رغم الحراك الدبلوماسي، اصطدم المجلس بعدة عقبات:

- **ضعف تمثيل الداخل** مقابل تغلّب شخصيات الخارج.
- **غياب القيادة الداخلية المباشرة،** نظراً لصعوبة التنسيق مع الداخل السوري نتيجة القمع، بقي المجلس جسماً خارجياً غير متجذر فعلياً في الحراك الميداني.
- **خلافات أيديولوجية** داخلية بين الكتل المختلفة: بين الإسلاميين والعلمانيين، وبين التيارات الكردية والعربية، وهو ما أثّر على قراراته لاحقاً.
- **فقدان آلية تنفيذية قوية** على الأرض.
- تراجع الثقة الشعبية فيه مع تصاعد العمل العسكري، خصوصًا بعد تأسيس الجيش السوري الحر، وتزايد النفوذ الفصائلي في الداخل.
- **الارتهان للداعمين:** بسبب قلة الموارد الذاتية، اعتمد المجلس على الدعم الخليجي والتركي، ما أضعف استقلاليته.[٥]

---

[٤] رضوان زيادة، *الثورة السورية: الواقع والمآلات* (بيروت: دار الفكر، ٢٠١٣).

[٥] المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، "تقييم أداء المجلس الوطني،" ديسمبر ٢٠١٢، الدوحة. https://www.dohainstitute.org

التكوين الإداري والتنظيمي

تضمّن المجلس مكتبًا تنفيذيًا ومجلسًا عامًا، وتغيّرت قياداته عدة مرات. من أبرز الشخصيات التي تولت رئاسته:

- برهان غليون
- عبد الباسط سيدا
- جورج صبرا

وقد واجه المجلس اتهامات من الداخل السوري بأنه بات بعيدًا عن الواقع الثوري، خاصة بعد فشله في تشكيل هيئة سياسية تتكامل مع العمل العسكري.

الموقف من التدويل والعمل المسلح

رغم دعوته لحماية المدنيين وفرض مناطق آمنة، بقي المجلس مترددًا في دعوة صريحة للتدخل الدولي العسكري، وهو ما فسره البعض بالخوف من التورط الأجنبي أو الحساسيات الإقليمية.

التراجع والتحول

بحلول عام ٢٠١٢، بدأت بوادر التراجع في تأثير المجلس الوطني، رغم الاعتراف به كـ"ممثل شرعي للشعب السوري" من قبل بعض الدول، مثل فرنسا وتركيا وليبيا وقطر. غير أن غياب القيادة الموحدة، وضعف التأثير الميداني، والخلافات الداخلية، مهدت الطريق لتشكيل جسم جديد أكثر شمولاً :**الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية** في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٢. وبعد تشكيل الائتلاف، تحوّل المجلس الوطني إلى أحد مكوناته، واستمرت بعض شخصياته في لعب أدوار قيادية، لكنه فقد موقعه

كممثل أول للثورة، وظل فاعلاً بشكل رمزي أو استشاري ضمن هياكل المعارضة.[6]



[6] Aron Lund, "The Syrian National Council: What's Next?" *Carnegie Middle East Center*, 8 October 2012, https://carnegie-mec.org/2012/10/08/syrian-national-council-what-s-next-pub

(٣٢)

الائتلاف الوطني السوري – التأسيس والمسار السياسي

مع اقتراب نهاية عام ٢٠١٢، كانت المعارضة السورية تعاني من حالة تشتت سياسي وضعف تمثيل، رغم الحراك الشعبي المستمر في الداخل. بدا واضحًا أن المجلس الوطني السوري، الذي تأسس قبل عام، لم يعد كافيًا لتمثيل طموحات الثورة المتصاعدة، خصوصًا مع دخول العمل المسلح على خط المواجهة، وتصاعد وتيرة العنف من قبل النظام، وتزايد أعداد اللاجئين والمهجّرين، وتحوّل المشهد السوري إلى ساحة صراع إقليمي ودولي. ولذا، وبدفع من جهات دولية وإقليمية أبرزها الولايات المتحدة وفرنسا وقطر وتركيا، وبدعم أمني ضمني، انطلقت مشاورات واسعة أسفرت عن الإعلان الرسمي لتأسيس **الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية في ١١ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٢**، خلال مؤتمر عقد في العاصمة القطرية الدوحة.[١]

النشأة والهيكلة

جاء تشكيل الائتلاف نتيجة **ضغوط دولية مكثفة** لإعادة هيكلة المعارضة السورية وتوسيع تمثيلها السياسي ليشمل مختلف المكونات

---

[١] المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، *تقرير الدوحة: إعادة هيكلة المعارضة السورية* (الدوحة، ٢٠١٢).

الإثنية والطائفية والسياسية،[٢] بغرض تأهيلها للانخراط في العملية السياسية الدولية، وتقديمها كبديل محتمل لنظام بشار الأسد.

تألف الائتلاف عند ولادته من حوالي ٦٣ عضوًا، مثّلوا طيفًا واسعًا من قوى المعارضة، من بينها:

- المجلس الوطني السوري (الذي اندمج لاحقًا داخل الائتلاف)
- الحراك الثوري في الداخل
- العشائر والهيئات المدنية
- المكون الكردي والمسيحي
- منشقون سياسيون وشخصيات مستقلة
- ممثلون عن المجالس المحلية والجيش الحر

وانتُخب المعارض **أحمد معاذ الخطيب** رئيسًا للائتلاف، وهو شخصية دينية معتدلة من دمشق، لاقى اختياره ارتياحًا في أوساط الداخل والخارج على السواء، لما يتمتع به من خلفية دعوية مستقلة وتاريخ في مواجهة النظام.[٣]

أهداف الائتلاف

أُعلن أن الائتلاف هو "الممثل الشرعي الوحيد للشعب السوري"، وهدفه الأساسي هو **إسقاط النظام بكل رموزه**، وبناء دولة مدنية ديمقراطية تعددية تحفظ حقوق جميع المواطنين.

---

[٢] "بيان تأسيس الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية،" الموقع الرسمي للائتلاف، ١١ تشرين الثاني ٢٠١٢.

[٣] مقابلة أحمد معاذ الخطيب مع قناة الجزيرة، برنامج "لقاء خاص"، ١٨ تشرين الثاني ٢٠١٢.

كما أكد الائتلاف التزامه بالثوابت الوطنية والثورية، ورفضه للحلول الجزئية أو الحوار مع النظام إلا على أساس الانتقال السياسي الكامل، وفق مقررات مؤتمر جنيف.

ومن مهامه المركزية:

- توحيد المعارضة السياسية والعسكرية.
- تأمين الدعم الدولي السياسي والمالي.
- تشكيل حكومة مؤقتة تُدير شؤون المناطق المحررة.
- تمثيل الثورة في المؤتمرات والهيئات الدولية، وعلى رأسها مؤتمر جنيف ٢.[٤]

الحكومة السورية المؤقتة

أُعلن عنها في مارس ٢٠١٣، وتضمنت:

- وزارة الصحة
- وزارة التربية والتعليم
- وزارة الإدارة المحلية
- وزارة الدفاع (تنسيقًا مع الجيش الحر)

إلا أن هذه الحكومة واجهت صعوبات كبيرة في التمويل، وانعدام السيطرة الميدانية، وانقسامات داخلية، ما جعل دورها رمزيًا في أغلب الأحيان.

الخلافات الداخلية والتحديات

- **صراعات على النفوذ** بين الإسلاميين والعلمانيين.

---

[٤] رضوان زيادة، *الثورة السورية: الواقع والمآلات* (بيروت: دار الفكر، ٢٠١٣)، ٢١١–٢١٤.

- **هيمنة بعض التيارات** (خاصة الإخوان المسلمين) على مفاصل القرار.
- **عجز عن ضبط التشكيلات العسكرية** أو توحيدها تحت سلطة واحدة.
- **تغييرات متكررة في القيادة** :تنقل المنصب بين معاذ الخطيب، جورج صبرا، هادي البحرة، نصر الحريري، وأنس العبده، ما أثر في استقرار الأداء.

الأداء والتحديات

ورغم الزخم الدولي الذي رافق تأسيس الائتلاف، إلا أنه اصطدم مبكرًا بتحديات كبيرة، أهمها:

- **الخلافات الداخلية** :شهد الائتلاف استقالات متكررة، بدءًا من رئيسه الأول أحمد معاذ الخطيب، ثم خلفائه (جورج صبرا، هادي البحرة، خالد خوجة، أنس العبدة وغيرهم). وكان الخلاف بين الإسلاميين والليبراليين من أبرز العوائق، وهذا أدى إلى ضعف الاستقرار التنظيمي للائتلاف.[5]
- **ضعف الصلة مع الداخل**: رغم وجود "وحدة المجالس المحلية"، لم يتمكّن الائتلاف من تأسيس تواصل فعّال مع الفصائل المقاتلة أو المجتمعات المدنية داخل سوريا، ما جعله يُتهم بأنه كيان منفصل عن واقع الثورة.
- **التدخلات الإقليمية** :كان واضحًا منذ البداية تأثّر القرار الداخلي للائتلاف بمواقف داعميه الإقليميين، وخاصة تركيا وقطر والسعودية، ما أثار انتقادات بشأن فقدانه لاستقلاليته السياسية.

[5] Carnegie Middle East Center, "The Syrian Opposition: From Failure to Fragmentation," (Beirut, 2017), 9-14.

الإنجازات والمواقف الدولية

رغم كل التحديات، تمكّن الائتلاف من تحقيق بعض المكتسبات:

- حصل على **الاعتراف الدولي** من أكثر من ١٣٠ دولة كـ"ممثل شرعي للشعب السوري."
- شغل **مقعد سوريا في جامعة الدول العربية** مؤقتًا عام ٢٠١٣.[٦]
- أسس **الحكومة السورية المؤقتة** برئاسة غسان هيتو، ثم أحمد طعمة، لإدارة المناطق المحررة.
- شارك في مفاوضات جنيف وأستانا رغم تحفظاته، على أمل تحقيق اختراق سياسي.

غير أن هذه الإنجازات بقيت رمزية في الغالب، ولم تنعكس بشكل ملموس على الداخل السوري، خاصة مع تصاعد نفوذ الفصائل العسكرية، وتفكك المعارضة المسلحة، وصعود تيارات متشددة في شمال سوريا، وضعف قدرة الحكومة المؤقتة على تقديم الخدمات.

التراجع التدريجي

منذ عام ٢٠١٦، ومع تغيّر موازين القوى في الميدان السوري لصالح النظام وحلفائه، بدأ نفوذ الائتلاف يتراجع بوضوح. انسحبت منه بعض المكونات، وازداد ضعف تمثيله للثوار، خاصة بعد صعود نفوذ هيئة تحرير الشام في إدلب، وتقلص المناطق الخارجة عن سيطرة النظام.

وفي السنوات الأخيرة، اقتصرت مهام الائتلاف على بعض الأنشطة الدبلوماسية والرمزية، معتمداً إلى حد كبير على الدعم التركي في مقره داخل إسطنبول. ولم يتمكّن من تحويل نفسه إلى بديل حقيقي للنظام، رغم الاعتراف الدولي الذي حظي به في بداية تأسيسه.

---

[٦] قناة العربية، "الجامعة العربية تمنح مقعد سوريا للمعارضة،" ٢٦ آذار ٢٠١٣.

(٣٣)

إخفاقات المجلس الوطني والائتلاف السوري – قراءة في العوامل والمسؤوليات

رغم التأسيس الواعد لكل من **المجلس الوطني السوري** و**الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية**، وتقديمهما نفسيهما كممثلين سياسيين للثورة السورية، إلا أن الأداء الفعلي لهذين الجسمين لم يرقَ إلى مستوى تطلعات السوريين، لا على المستوى الداخلي ولا الدولي. ومع مرور السنوات، بدأت الفجوة تتسع بين المعارضة السياسية في الخارج، والثوار والفصائل المدنية والمسلحة في الداخل، حتى بات يُنظر إلى المعارضة الرسمية كعبء على الثورة، لا كرافعة لها.[١]

هذا الفصل يحاول تقديم قراءة تحليلية لأهم **الإخفاقات السياسية والتنظيمية** التي وقع فيها المجلس الوطني والائتلاف السوري، مع فهم السياقات التي أحاطت بها، وتحديد مسؤولياتها، من دون تعميم أو تبرئة كاملة.[٢]

أولاً: ضعف التمثيل الشعبي والشرخ بين الداخل والخارج

أولى الإخفاقات وأكثرها جوهرية، كانت **فقدان الصلة بالداخل السوري** . فقد تشكّل المجلس الوطني والائتلاف من شخصيات معظمها تعيش في المهجر منذ سنوات، ولم يكن لها امتداد تنظيمي أو سياسي فعّال داخل

[١] رضوان زيادة. *الثورة السورية: الواقع والمآلات* .بيروت: دار الفكر، ٢٠١٣.

[٢] "بيانات الائتلاف الوطني." الموقع الرسمي للائتلاف، ٢٠١٣–٢٠١٦.

سوريا. ورغم محاولاتهما استيعاب التنسيقيات والثوار المحليين، إلا أن هذه الخطوة ظلت سطحية في غالبها.[٣]

الأجسام السياسية في الخارج بدت عاجزة عن **قراءة المشهد الثوري الحقيقي**، خصوصًا حين بدأت الثورة تتسلّح، وظهرت الحاجة إلى قيادة موحدة تنسق بين السياسة والميدان. ولم تستطع هذه الكيانات بناء أدوات فعالة لربط الداخل بالخارج، فاستمرت قراراتها النخبوية معزولة، وانعكس ذلك على ضعف ثقة الناس بها، وانعدام تأثيرها على الأرض.

ثانيًا: التنازع الداخلي وغياب الاستقرار المؤسسي

منذ نشأتهما، عانى كل من المجلس الوطني والائتلاف من **الخلافات الداخلية المتكررة**، والانقسامات الفكرية والإيديولوجية. تعددت الاستقالات، وتعاقبت القيادات دون رؤية واضحة أو خطط استراتيجية طويلة المدى. كانت الرئاسة والتشكيلات غالبًا ما تُخضع لموازين محاصصة بين كتل سياسية أو قوى إقليمية داعمة، بدل أن تكون ناتجة عن مشروع وطني متماسك.[٤]

كل ذلك أضعف صورة المعارضة أمام الداخل والخارج، وظهر للعيان أن العمل السياسي السوري المعارض يتأثر **بالاستقطاب الإقليمي**، أكثر مما يتبع منطق الثورة أو المصلحة الوطنية.

ثالثًا: فقدان المبادرة وغياب مشروع وطني متكامل

رغم الحديث المستمر عن الدولة المدنية، والانتقال السياسي، والمواطنة المتساوية، إلا أن المجلس الوطني والائتلاف أخفقا في **صياغة مشروع وطني تفصيلي مقنع**، يمكن تقديمه كبديل حقيقي للنظام. لم تكن

---

[٣] المقابلة مع أحمد معاذ الخطيب، قناة الجزيرة، ١٨ تشرين الثاني ٢٠١٢.

[4] Carnegie Middle East Center, "The Collapse of the Syrian Opposition: A Critical Overview," Beirut, 2017.

هناك رؤية اقتصادية واضحة، ولا تصور متكامل لإعادة بناء الدولة، أو لحسم العلاقة مع مكونات المجتمع السوري المختلفة.[٥]

تُرك فراغٌ في هذا المجال، فملأته قوى عسكرية متشددة، أو مبادرات دولية لا تراعي مصلحة الثورة. ومع مرور الوقت، لم تعد المعارضة السياسية تُنتج مشروعًا سوريًا، بل أصبحت **تنتظر إشارات خارجية** للتحرك أو الموقف، وهو ما زاد الهوة بينها وبين الشارع.

رابعًا: العجز عن استثمار الإنجازات السياسية والعسكرية

رغم أن المعارضة السورية السياسية حصلت في بعض المحطات على **اعتراف دولي واسع**، بل وشغلت مقعد سوريا في جامعة الدول العربية، إلا أنها فشلت في تحويل هذا الاعتراف إلى نفوذ فعلي.[٦] كما لم تستطع استثمار لحظات التفوق العسكري للثوار بين ٢٠١٢ و٢٠١٥، حين كانت مناطق واسعة من سوريا خارج سيطرة النظام.

لم تُبْنَ مؤسسات حقيقية، ولم تُوجَّه موارد لتثبيت الحكم المدني المحلي، ولم تُطرح استراتيجية متكاملة للتفاوض أو المناورة السياسية. بل تم استنزاف الوقت في الخلافات والصراعات، وفُقدت العديد من الفرص الذهبية.

خامسًا: التبعية السياسية وارتهان القرار

أحد أكثر المواضيع حساسية هو **ارتهان قرار المعارضة السياسية لإرادات إقليمية ودولية** .فقد بدا أن المجلس الوطني كان أقرب إلى تركيا وقطر، بينما سعى الائتلاف إلى إرضاء مجموعة دول غربية وعربية دون استراتيجية مستقلة.[٧] هذا الارتهان جعل القرار السياسي هشًا، وساهم في

---

٥ "الأداء السياسي للمجلس الوطني السوري وتقييمه في الداخل." أرشيف الذاكرة السورية، ٢٠١٢.
٦ قناة العربية. "الجامعة العربية تمنح مقعد سوريا للمعارضة." ٢٦ آذار ٢٠١٣.
٧ المراقب السوري. "التدخلات الإقليمية في قرار المعارضة السورية." تقرير تحليلي، ٢٠١٥.

إفراغ المعارضة من مضمونها الثوري، وتحوّلها تدريجيًا إلى طرف تفاوضي فاقد التأثير.

بل إن بعض المواقف السياسية – مثل قبول بعض المسارات التفاوضية غير المتكافئة، أو الصمت عن تجاوزات حلفاء – زادت من **أزمة الثقة بين الشعب والمعارضة،** وسمحت للنظام بأن يدّعي أنه يواجه "معارضة عميلة"، رغم أن هذه التهمة لم تكن عادلة، إلا أن الأداء السياسي لم يساعد على نفيها بقوة.



(٣٤)

دور المغتربين والمنفيين السوريين في الثورة السورية

منذ الأيام الأولى لانطلاق الثورة السورية في ربيع عام ٢٠١١، لم يقتصر الحراك الثوري على الداخل فحسب، بل امتد إلى مئات الآلاف من السوريين المنتشرين في مختلف أنحاء العالم، سواء كانوا مغتربين طوعًا لأسباب اقتصادية أو منفيين قسرًا بفعل الملاحقة السياسية منذ عقود. وقد شكّل هؤلاء السوريون في الخارج رافعة مهمة للثورة، ورافدًا فكريًا وإعلاميًا وماليًا لا يمكن تجاهله، رغم ما شاب تجربتهم من صعوبات وتحديات.[١]

جذور الدور السياسي للمنفيين

لطالما كان السوريون في المهجر عنصرًا فاعلًا في المعارضة السياسية لنظام الأسد، حتى قبل الثورة. فمنذ الثمانينيات، لجأ العديد من المعارضين إلى أوروبا وأمريكا وكندا، وأسّسوا منابر ثقافية وسياسية، كإعلان دمشق، ومنتديات حقوق الإنسان، وجمعيات تضامنية مع المعتقلين.[٢]

مع انطلاق الثورة، وجدت هذه النخب في الحراك الشعبي فرصة تاريخية لإحياء دورها وتنظيم صفوفها، فانخرطت في التظاهرات أمام السفارات، وفي إطلاق الحملات الإعلامية، وفي تأسيس الهياكل السياسية كالمجلس الوطني

---

١ المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. *السوريون في الشتات والثورة*. الدوحة، ٢٠١٩.
٢ معهد حوار الشرق والغرب. *المجتمع المدني السوري في المنفى*. برلين، ٢٠٢٠.

والائتلاف.[٣] شخصيات مثل **برهان غليون**، و**بسمة قضماني**، و**رياض سيف**، و**معاذ الخطيب**، برزت كأصوات تعكس تطلعات الثورة على المنابر الدولية.

النشاط الإعلامي والتعبوي

أحد أبرز الأدوار التي لعبها المغتربون كان في **المجال الإعلامي والتوثيقي** . إذ أسّس العديد من الصحفيين والناشطين في أوروبا وتركيا والمنطقة العربية منصات إعلامية تدعم سردية الثورة، مثل "أورينت"، و"راديو روزنة"، و"تلفزيون سوريا"، و"تمدن".[٤]

كما أنشأ المغتربون شبكات تواصل مع وسائل إعلام غربية مؤثرة، ونظموا مؤتمرات صحفية، ومعارض صور، وأفلام وثائقية، سلطت الضوء على جرائم النظام، مثل **صور قيصر، والخوذ البيضاء**. وكان للمغتربين الفضل في **نقل معاناة الداخل السوري إلى الرأي العام العالمي**،[٥] في وقت كانت الآلة الإعلامية للنظام تعمل على تشويه الثورة وربطها بالتطرف.

الدور القانوني والحقوقي

برزت كذلك مبادرات حقوقية وقانونية أسّسها سوريون في الشتات، خاصة في ألمانيا وفرنسا والنرويج، لملاحقة مجرمي الحرب من أركان النظام، باستخدام مبدأ الولاية القضائية العالمية. وقد أفضت هذه الجهود إلى محاكمات فعلية لضباط في المخابرات السورية، كما هو الحال في قضية **أنور رسلان** و**إياد الغريب** في ألمانيا.[٦]

المغتربون هم من قدّم الشهادات، وجمع الوثائق، وساهموا في بناء ملفات قضائية تعتبر اليوم من **أهم أدوات العدالة الانتقالية المستقبلية**.

---

٣ برهان غليون، مقابلة مع العربي الجديد، ١٥ أكتوبر ٢٠١٣.

٤ ״تأسيس إعلام الثورة: من أورينت إلى روزنة ״.بي بي سي عربي، ١٢ أبريل ٢٠١٤.

٥ ״صور قيصر تكشف جرائم النظام ״.الجزيرة نت، ٢٢ يناير ٢٠١٥، .https://aja.me/gvrtwu

٦ محكمة العدل الإقليمية العليا (كوبلنز، ألمانيا). قضية أنور رسلان، الحكم الصادر ١٣ يناير ٢٠٢٢.

النشاط الإغاثي والدعم المالي

ساهم رجال الأعمال السوريون، والمجتمعات السورية المغتربة، في **دعم عشرات المشاريع الإغاثية والتعليمية والطبية** في مناطق المعارضة. منظمات مثل "سواسية"، و"شفق"، و"الرحمة"، وغيرها، معظمها انطلقت من خارج سوريا، وساهمت في سد فجوات الخدمات الأساسية.[٧]

كما أنشأ المغتربون شبكات دعم لجمع التبرعات وإرسالها إلى الداخل، سواء لتمويل المدارس، أو دعم المستشفيات الميدانية، أو إغاثة النازحين. وكان لهذا الدور بالغ الأثر في **تعزيز صمود المجتمع السوري** في وجه الحصار والتجويع والقصف.

التحديات والانقسامات

لكن رغم هذا الدور الفاعل، لم يخلُ نشاط المغتربين من **إشكالات داخلية** .فقد تسببت الخلافات الأيديولوجية والسياسية بينهم في تعطيل كثير من المبادرات، وتحولت بعض المنصات إلى ساحات لتصفية الحسابات أو التنافس على الشرعية التمثيلية.[٨]

كما أن كثيرًا من الناشطين في الداخل شعروا أن خطاب المغتربين "نخبوي"، أو منفصل عن واقعهم، خاصة مع تعقيدات العمل العسكري وانتشار الجماعات المسلحة. وقد أثّر هذا التباين على **بناء علاقة الثقة والتكامل** بين الداخل والخارج، رغم أن كلا الطرفين كان في الأصل يقاتل لأجل الهدف نفسه.



---

[٧] الشبكة السورية لحقوق الإنسان. *التقرير الدوري عن مساهمات منظمات المغتربين* .لندن، ٢٠٢١.

[٨] ‘‘المغتربون السوريون بين الدعم والنقد ’’.المركز العربي للأبحاث، ورقة تحليلية رقم ٦٣، ٢٠١٧.

(٣٥)

الإعلام الثوري والمبادرات الحقوقية – من الساحات إلى المحاكم

منذ اللحظة الأولى التي هتف فيها السوريون "حرية"، أدرك النظام السوري أن السيطرة على الصورة لا تقل أهمية عن السيطرة على الشارع. فسعى بكل أدواته إلى خنق الحقيقة، وقمع الصحافة، وفرض روايته الأمنية. في المقابل، برز من داخل الثورة السورية **إعلام ثوري جديد**، قوامه شباب يحملون الكاميرا بدل البندقية، وهاتفًا بدل الميكروفون، مدفوعين بإيمانهم أن الصورة الصادقة قد تُحرك ضمير العالم، إن عجز السلاح عن ردع الظلم.

بدايات إعلام الثورة: شهود الحقيقة

مع غياب الصحافة الحرة في الداخل، لعب **النشطاء المدنيون** دورًا حاسمًا في توثيق المظاهرات، والقمع، والاعتقالات، عبر تصوير الأحداث وبثها على الإنترنت. لم يكن هؤلاء النشطاء محترفين، لكن صدقيتهم وهتافاتهم التي كانت تُسمع خلف الكاميرا صنعت ثقة شعبية واسعة.[١]

منهم انطلقت أسماء بارزة مثل :**غياث مطر** من داريا، الذي عُرف برسائله السلمية، و**رزان زيتونة**، التي أرّخت للانتهاكات بدقة. كانت كل صورة أو فيديو ينقل للعالم شيئًا من الحقيقة المدفونة تحت ركام الرواية الرسمية.

---

[1] Syrian Network for Human Rights, *Annual Report on Documentation of Violations in Syria, 2011-2023* (London, 2023).

تأسيس شبكات إعلامية مستقلة

بحلول عام ٢٠١٢، بدأ يتشكّل **إعلام ثوري منظم** :قنوات، ومواقع، وإذاعات، ومجلات. أبرزها:

- **شبكة شام، أورينت نيوز، تمدن، زمان الوصل، عنب بلدي**
- **راديو الكل، روزنة،** و**راديو فريش**
- مجلات مثل: **طلعنا عالحرية،** و**عين المدينة**

بعض هذه الوسائل تأسس في الداخل، والبعض في دول الجوار. لكنها جميعًا سعت إلى تقديم رواية الشعب، وتوثيق الأحداث ميدانيًا، ومواجهة الإعلام الرسمي للنظام، وكذلك إعلام بعض الحلفاء الإقليميين الذين سعوا إلى شيطنة الثورة.

لعب هذا الإعلام دورًا رئيسيًا في **تشكيل الوعي الشعبي**، وربط السوريين بعضهم ببعض رغم التمزق الجغرافي.

الإعلام المقاوم أمام تحديات التوثيق

مع تصاعد جرائم الحرب من قبل النظام وروسيا وإيران، تحوّل بعض الإعلاميين إلى **مراسلين تحت القصف**، يسابقون الموت لتوثيق المجازر.

منظمات كـ **الخوذ البيضاء** أصبحت رمزًا عالميًا للبطولة، ونالت جوائز دولية، مثل الأوسكار، بعدما قدمت أفلامًا وثائقية شهيرة أبرزها الخوذ البيضاء (The White Helmets)، وآخر رجال حلب .(Last Men in Aleppo).[٢]

أما على الصعيد الحقوقي، فقد نشأت **مبادرات قانونية مستقلة**، أبرزها:

---

[2] Orlando von Einsiedel, dir., *The White Helmets* (Netflix documentary, 2016).

- **المركز السوري للإعلام وحرية التعبير (SCM)** بقيادة مازن درويش.[٣]
- **الشبكة السورية لحقوق الإنسان(SNHR)** ، التي تحوّلت إلى مصدر معتمد لدى الأمم المتحدة.
- **المرصد السوري لحقوق الإنسان – (SOHR)** رغم الجدل حول مصادره، ظلّ مرجعًا لوسائل الإعلام.
- **رابطة الصحفيين السوريين** –لتوثيق الانتهاكات ضد الإعلاميين.

هذه المنظمات ساهمت في **إعداد ملفات قضائية** لمحاكم أوروبية، وتوثيق جرائم القتل، والاعتقال، والتعذيب، والاختفاء القسري.

تحديات الإعلام الثوري

رغم الإنجازات، لم يخلُ الإعلام الثوري من صعوبات:

- **التمويل المحدود**، والاعتماد على الدعم الخارجي الذي غالبًا ما كان مشروطًا.
- **الاستهداف المباشر** :مئات الإعلاميين قُتلوا أو اعتقلوا، على يد النظام أو داعش أو بعض الفصائل.[٤]
- **صعوبة الوصول للمعلومات الدقيقة** في ظل الفوضى الأمنية، والتضليل المتعمد من جهات عديدة.
- **الانقسام الإعلامي** بحسب الانتماءات السياسية أو العسكرية للفصائل، مما أضعف الخطاب الإعلامي الموحد للثورة.

---

[3] Syrian Center for Media and Freedom of Expression, *Field Testimonies of Detained Journalists* (Berlin, 2020).

[4] Reporters Without Borders, "Syria: Journalists Between Barrel Bombs and Prison Cells" (Paris, 2022).

ومع ذلك، استمر الإعلام الثوري في أداء مهمته، كمرآة للشعب، وراوٍ للذاكرة الجماعية، وموثقٍ لأشد الجرائم قسوة.[5]



[5] Yassin al-Haj Saleh, "The Revolutionary Media: Memory, Pain, and Hope," *al-Jumhuriya*, March 5, 2018.

الباب الحادي عشر

مسار الحل السياسي وفشل المبادرات (٢٠١٦ -٢٠١٨)

مع استمرار النزاع الدموي في سوريا، بدأت دول ومحافل دولية وجهود إقليمية تتجه نحو البحث عن حل سياسي يوقف الحرب، ويضع حدًا لمعاناة السوريين. في هذه الفترة، شهدت الأزمة السورية حراكًا دبلوماسيًا واسعًا، وتعددًا في المبادرات التي حاولت التوسط بين الأطراف المختلفة، لكن الظروف الميدانية والسياسية صعّبت مهمة تحقيق أي تقدم فعلي.

في الفترة الممتدة من ٢٠١٦ إلى ٢٠١٨، تميزت الأزمة السورية بالتعقيد الشديد الذي أدى إلى تراجع عمليات القتال في بعض المناطق، وتصعيدها في أخرى، وسط استمرار التدخلات الإقليمية والدولية. برزت فرص جديدة للحوار السياسي، لكن استمرت الخلافات العميقة بين النظام والمعارضة، فضلاً عن ظهور قوى إقليمية جديدة وتأثيرات الأزمة الإنسانية المستمرة.

في هذا الباب، سنتناول بالتفصيل مسار المبادرات السياسية، أبرز مؤتمرات جنيف، جهود الأمم المتحدة، اتفاقيات خفض التصعيد، ومحاولات التوصل إلى حل ينهي النزاع، إلى جانب ما رافق ذلك من صراعات على الأرض وتغيرات عسكرية.

(٣٦)

مؤتمر جنيف ومحاولات الحل السياسي الأولى (٢٠١٦)

مع تصاعد الحرب الأهلية في سوريا ودخولها عامها الخامس، بدا واضحًا أن الحسم العسكري بات مستعصيًا لأي طرف، رغم المذابح الواسعة التي ارتكبها النظام، والدعم الروسي–الإيراني المتزايد له. في المقابل، بقيت المعارضة في وضع عسكري هش، رغم سيطرتها على مساحات واسعة من البلاد في مرحلة ما، نتيجة الانقسامات الميدانية وغياب الدعم الدولي الحاسم. أمام هذا المشهد، تحركت الأمم المتحدة ومعها القوى الكبرى لطرح مسار سياسي للخروج من الأزمة.

بدايات المسار السياسي: جنيف ١ (٢٠١٢)

أُطلق المسار السياسي رسميًا في يونيو ٢٠١٢ عبر "بيان جنيف ١"، الذي نص على:

- تشكيل حكومة انتقالية تضم ممثلين عن النظام والمعارضة.
- وقف إطلاق النار.
- فتح ممرات إنسانية.
- البدء بإصلاحات دستورية تؤدي إلى انتخابات نزيهة.

لكن البيان لم يتضمن آلية تنفيذ واضحة أو جدولًا زمنيًا، ما جعل تطبيقه رهنًا بموازين القوى على الأرض.[١]

جولات جنيف المتكررة (٢٠١٤-٢٠١٧)

توالت بعد ذلك جولات تفاوضية كثيرة برعاية الأمم المتحدة، وأهمها جنيف ٢ و٣ و٤، لكن جميعها فشلت بسبب:

- تمسك النظام ببقاء بشار الأسد في الحكم.
- إصرار المعارضة على تشكيل هيئة حكم انتقالي كاملة الصلاحيات.
- تباين أولويات الدول الراعية (أميركا وروسيا بشكل خاص).

وقد عمل النظام على عرقلة أي تقدم حقيقي، مستخدمًا خطاب "محاربة الإرهاب" ذريعة للتهرب من الاستحقاقات السياسية، بينما شنت قواته حملات عسكرية شرسة خلال أوقات التفاوض.[٢]

جنيف ٧ (٢٠١٦): بصيص أمل في عاصفة الحروب

عُقد مؤتمر جنيف السابع في أغسطس ٢٠١٦، وسط تصعيد عسكري روسي غير مسبوق في حلب، وتدهور الوضع الإنساني بشكل كارثي. حاول المبعوث الأممي ستيفان دي ميستورا بناء منصة تفاوضية موحدة تضم المعارضة السياسية والعسكرية، بما فيها الهيئة العليا للمفاوضات.

وركزت أجندة المؤتمر على أربع "سلال:"

١. الحكم (تشكيل هيئة حكم انتقالي).
٢. الدستور (صياغة دستور جديد لسوريا).

---

[1] United Nations, "Report of the UN Special Envoy for Syria on Geneva Talks," August 2016.

[2] International Crisis Group, "The Fog of Peace in Syria," Middle East Report No. 171 (Brussels, 2016).

٣. الانتخابات (برعاية الأمم المتحدة).

٤. مكافحة الإرهاب (بناء موقف موحد من التنظيمات المتطرفة).[٣]

لكن النظام، بدعم مباشر من روسيا وإيران، رفض بشكل قاطع مناقشة "الحكم الانتقالي"، وأصر على التركيز فقط على "مكافحة الإرهاب"، ما أدى إلى فشل المؤتمر فعليًا.[٤]

تحليل النتائج:

- لم يُحقق المؤتمر أي تقدم ملموس.
- المعارضة خرجت منه أكثر تشرذمًا، بعد بروز خلافات بين أطيافها المختلفة (الإسلامية، الوطنية، الكردية...).
- النظام تمكّن من كسب الوقت وتغيير الوقائع ميدانيًا لصالحه (مثل اجتياح حلب الشرقية).
- المجتمع الدولي بدا عاجزًا، بعد أن انحصر دوره في بيانات الشجب، بينما تولّت روسيا فعليًا "قيادة الملف السوري."

كشفت مؤتمرات جنيف أن الحل السياسي في سوريا لم يكن أولوية حقيقية للقوى الفاعلة، بقدر ما كان وسيلة لتجميل العجز أو ترسيخ المكاسب العسكرية.[٥] لم يكن النظام جادًا في أي تنازل، كما أن المعارضة فشلت في تقديم وفد تفاوضي موحد ومتماسك. وبين هذا وذاك، كان الشعب السوري وحده يدفع الثمن من دمه وكرامته.

---

[3] Aron Lund, *The Geneva Process and the Syrian Civil War* (Beirut: Carnegie Middle East Center, 2016).

[4] United Nations, "Report of the UN Special Envoy for Syria on Geneva Talks," August 2016.

[5] Center for Al Jazeera Studies, "Geneva and the Fate of the Syrian Revolution: A Reading in the Balance of Power," (Doha, 2016).

(٣٧)

اتفاقيات خفض التصعيد وفشل تطبيقها (٢٠١٧)

مع تعثّر مسار جنيف وتَصاعُد حدّةِ العمليات العسكريّة، طرحت موسكو – بمشاركة أنقرة وطهران – مبادرة «مناطق خفض التّصعيد» خلال محادثات أستانا في أيّار/مايو ٢٠١٧. عُدَّت المبادرةُ محاولةً «عمليّة» لتهدئة خطوط القتال ريثما تُستأنَف مفاوضاتٌ سياسيّة أوسع.[٦]

خلفية المبادرة:

رأت روسيا أنّ تثبيتَ خطوط تماسّ مؤقّتة يمنحها فرصة لتركيز جهودها العسكرية على جيوبٍ محدّدة، ويُطمئنُ تركيا حيال مناطق الشمال، فيما تمنحُ إيرانَ هامشاً لتدعيم نفوذها حول دمشق وحمص. أمّا أنقرة فوجدت في الاتفاق وسيلةً لكبح تمدّدِ «وحدات حماية الشعب» الكرديّة قرب حدودها.[٧]

بنود الاتفاقيات:

- حديد أربع مناطق أساسيّة :**إدلب وريفها، ريف حمص الشمالي، الغوطة الشرقيّة، وجنوب سوريا**)درعا-القنيطرة.(
- وقفٌ شاملٌ لإطلاق النار، مع نشر نقاط مراقبة تركيّة وروسيّة وإيرانيّة بحسب كلّ جبهة.

---

[6] Russian Ministry of Foreign Affairs, "Memorandum on the Creation of De-Escalation Areas in the Syrian Arab Republic," May 6, 2017, English translation.

[7] International Crisis Group, *Averting Disaster in Syria's Idlib Province*, Report No. 190 (Brussels, 2018).

- ضمانُ مرور المساعدات الإنسانيّة وفتحُ معابر للمدنيّين.[٨]

واقع التنفيذ:

رغم التوقيع، لم تتوقفِ الخروقات:

- في **الغوطة الشرقيّة** استأنف النظامُ قصفَه أواخرَ ٢٠١٧ تمهيداً لاجتياحٍ كاملٍ في آذار/مارس ٢٠١٨.[٩]
- في **ريف حمص الشمالي،** أفضى الحصارُ المتواصل إلى تهجيرٍ قسريٍّ لكامل السكّان في أيّار/مايو ٢٠١٨.
- أمّا **إدلب** فشهدت أكبر حملةٍ جوّيّة روسيّة منذ بداية التدخّل، انتهت بسيطرة النظام على معرّة النعمان وسراقب مطلع ٢٠٢٠، بينما ظلّ الاتفاق الاسميّ قائماً.

هكذا تحوّلت «خفضُ التّصعيد» إلى آليةٍ مرحليّة أتاحت للقوى الضامنة إعادةَ توزيعِ الجبهات تمهيداً لعملياتٍ عسكريّة لاحقة، بدلاً من أن تكون جسراً إلى حلٍّ سياسيٍّ شامل. ووجد المدنيون أنفسَهم تحت نيران «مناطق آمنة» لم توفِّر لهم أيّ أمان فعلي.[١٠]



[8] Syrian Justice and Accountability Centre (SJAC), "De-Escalation or Escalated Killing? An Assessment of the 2017 Agreements," September 2018.
[9] Syrian Memory Project, "Testimonies from Eastern Ghouta after the De-escalation Deal," accessed March 2023.
[10] Center for Al Jazeera Studies, *De-Escalation Zones: Tactical Truce or Strategic Trap?* (Doha, 2019).

(٣٨)

جهود الأمم المتحدة ودور المبعوثين الدوليين (٢٠١٧ – ٢٠١٨)

مع تفاقُمِ الكارثة الإنسانيّة واستعصاءِ الحسمِ العسكريّ، واصلَت الأممُ المتحدة محاولاتِها لفرض مسارٍ سياسيّ عبر مكتبِ المبعوث الخاص ستافان دي ميستورا، الذي تولّى مهمّته من تموز/يوليو ٢٠١٤ حتى تشرين الأوّل/أكتوبر ٢٠١٨.[١]

١. دور المبعوث الخاص ستافان دي ميستورا

عين مجلس الأمن الدولي الدبلوماسي السويدي ستافان دي ميستورا مبعوثاً خاصاً للأمم المتحدة إلى سوريا في ٢٠١٤، واستمر في منصبه حتى ٢٠١٨. كان دي ميستورا يهدف إلى تسهيل الحوار بين الأطراف المختلفة، ودعم مبادرات جنيف وأستانا.

نظّم دي ميستورا أربع جولاتٍ تفاوضيّة جديدة (من جنيف ٤ إلى جنيف ٨) ركّز فيها على «السِلال الأربع» (الحُكم، الدستور، الانتخابات، مكافحة الإرهاب). لكن وفدَ النظام رفض مناقشة هيئةِ حُكمٍ انتقالي، بينما عجز وفدُ

---

[1] United Nations, “Appointing Staffan de Mistura as Special Envoy for Syria,” UN press release, July 10, 2014.

المعارضة المُمَثَّل بهيئةِ التفاوض عن تقديم موقفٍ موحَّد بسبب انقساماتٍ داخليّة.[٢]

في أيلول/سبتمبر ٢٠١٨ قدّم اقتراحَ تشكيل لجنةٍ لصوغ دستورٍ جديد، لكنّه أخفق في انتزاع موافقة النظام على القائمة الثالثة "قائمة المجتمع المدني".[٣]

٢. مبادرات الإغاثة والإنسانية

رغم تبنّي مجلس الأمن القرار ٢٤٠١ (شباط/فبراير ٢٠١٨) الذي طالبَ بوقفٍ إنسانيٍّ شاملِ النار لثلاثين يوماً، لم يُنفَّذ في الغوطة الشرقيّة؛ إذ استغلّته قوّاتُ النظام وحلفاؤها لفتح «ممرّاتٍ آمنة» أعقبتها حملةُ تهجيرٍ قسريّ. أبلغ دي ميستورا المجلسَ أنّ "٩٢٪ من طلبات القوافل الأمميّة رُفِضَت أو عُطِّلت خلال ٢٠١٨."[٤]

تحديات التفاوض

- تباين أهداف الأطراف: النظام يرغب في الحفاظ على السلطة، والمعارضة تطالب برحيل الأسد وإصلاحات سياسية جذرية.
- تداخل مصالح الدول الإقليمية والدولية، مما أدى إلى تأزيم الموقف.
- وجود فصائل مسلحة متشددة تعرقل وحدة المعارضة، وتزيد من تعقيد الوضع الأمني، حيث استخدمت هذه الفصائل ذريعة لإقصاء وفود معارضة ولقصف المناطق الخاضعة للمعارضة.

---

[2] United Nations, "Special Envoy's Briefing to the Security Council," February 22, 2017.
[3] Staffan de Mistura, "Note to the Security Council on the Constitutional Committee," September 18, 2018.
[4] United Nations, "Report of the UN Special Envoy for Syria," December 19, 2018.

نتائج هذه المرحلة

بحلول نهاية ٢٠١٨ أعلن دي ميستورا استقالته، مُقِرّاً بأنّ "العمليّة السياسيّة لم تَنتج بعدُ انتقالاً حقيقيّاً"[٥] وبذلك طُويَت مرحلةٌ أُخرى من مساعي الوساطة الأمميّة دون تحقيقِ اختراقٍ ملموس، فيما كانت الوقائعُ الميدانيّة تُرسم بالنار لا بالدبلوماسيّة.



[5] "The UN and the Collapse of Syria's Peace Process," *Foreign Affairs*, January 2019.

(٣٩)

آستانا وسوتشي: نحو تثبيت النفوذ لا تحقيق السلام

من جنيف إلى آستانا... تغيير رعاة العملية السياسية

بعد فشل مسار جنيف في تحقيق أي تقدم ملموس، بدأت روسيا، مدعومة من إيران وتركيا، بالدفع نحو إطلاق مسار تفاوضي بديل أكثر انسجامًا مع مصالحها. وهكذا وُلد **مسار آستانا** في يناير ٢٠١٧، كمسار "عسكري–أمني" موازٍ، يركّز على **خفض التصعيد** وليس **الانتقال السياسي** . ثم تبعته **مؤتمرات سوتشي** التي حاولت صياغة دستور جديد لسوريا تحت رعاية روسية مباشرة.[١]

أولاً: مسار آستانا – تثبيت السيطرة وتفتيت المعارضة

الخلفية والتأسيس:

عُقد أول مؤتمر في **آستانا (عاصمة كازاخستان، لاحقًا "نور سلطان")** في يناير ٢٠١٧، بعد أن فرضت روسيا سيطرتها العسكرية على مدينة حلب في ديسمبر ٢٠١٦، وهو ما شكّل نقطة تحول لصالح النظام. هدف المؤتمر المعلن كان:

- **وقف إطلاق النار** في مناطق محددة.
- **إطلاق سراح المعتقلين**.

---

[١] مركز الجزيرة للدراسات، *آستانا وسوتشي: إدارة روسيا للمشهد السوري*، (الدوحة، ٢٠٢٠).

- **إيصال المساعدات الإنسانية**.
- **تحديد مناطق "خفض التصعيد "**لتجميد القتال.

لكن الهدف الفعلي كان واضحًا: إعادة تنظيم خريطة النفوذ الميداني بين القوى الثلاث (روسيا – إيران – تركيا)، وإقصاء الدول الغربية والأمم المتحدة من قيادة العملية السياسية.[٢]

مناطق خفض التصعيد:

تم الإعلان عن أربع مناطق لخفض التصعيد:

١. إدلب وريفها.

٢. ريف حمص الشمالي.

٣. غوطة دمشق الشرقية.

٤. درعا والقنيطرة جنوبًا.

لكن هذه المناطق كانت عمليًا **مرحلة مؤقتة قبل اجتياح النظام لها لاحقًا**، حيث استخدمت روسيا هذا الاتفاق لشراء الوقت وإعادة ترتيب قوات النظام للقيام بعمليات عسكرية منظمة ضد الفصائل.[٣]

الدور التركي:

تركيا انخرطت في مسار آستانا لتأمين حدودها، ومنع تمدد المليشيات الكردية، ولضبط فصائل المعارضة المسلحة في إدلب وريف حلب. ومع الوقت، أصبحت **ضامنًا للفصائل**، لكنها واجهت **معضلة حقيقية** في احتواء قوى متشددة كهيئة تحرير الشام.[٤]

---

[٢] مركز حرمون للدراسات، «مسار آستانا: قراءة تحليلية، ٢٠١٨.

[3] International Crisis Group, *The Astana Process: Russia, Turkey, and Iran in Syria*, Report 190 (2018).

[٤] أحمد أبا زيد، «من جنيف إلى آستانا: تراجع السياسة وتقدم السلاح»، ورقة تحليلية، ٢٠١٨.

ثانيًا: مؤتمر سوتشي – دستور بإملاء روسي

في يناير ٢٠١٨، دعت روسيا إلى **مؤتمر الحوار الوطني السوري** في سوتشي، بمشاركة النظام وبعض شخصيات "المعارضة" المقرّبة منه، إضافة إلى وفود من تركيا وإيران.

أبرز نتائج المؤتمر:

- الإعلان عن تشكيل **لجنة دستورية سورية** لصياغة دستور جديد.
- تعيين ممثلين للنظام والمعارضة والمجتمع المدني في اللجنة.
- دعوة الأمم المتحدة لتولي مهمة تسهيل عمل اللجنة.

لكن معظم أطياف المعارضة الفاعلة، خصوصًا **الهيئة العليا للمفاوضات، قاطعت المؤتمر**، معتبرة أنه محاولة روسية للالتفاف على قرارات مجلس الأمن وبيان جنيف.[٥]

اللجنة الدستورية: عبث سياسي طويل

بدأت اللجنة الدستورية اجتماعاتها في جنيف لاحقًا تحت إشراف الأمم المتحدة، لكنها **فشلت بالكامل** في التقدم خطوة واحدة نحو صياغة أي مواد دستورية توافقية، بسبب:

- تعطيل وفد النظام لأي نقاش جدي حول الصلاحيات الرئاسية.
- الخلافات الداخلية في وفد المعارضة.
- غياب أي ضغط دولي فعّال على الأطراف.[٦]

---

٥ نص البيان الختامي لمؤتمر سوتشي، وزارة الخارجية الروسية، ٣٠ يناير ٢٠١٨.

6 UN Special Envoy Reports, “Updates on the Constitutional Committee and Geneva Process,” (2019 – 2021).

تقييم المسارين:

- **آستانا** ساهم في **تفتيت خريطة الثورة** وتحويل الفصائل المسلحة إلى أدوات ضغط إقليمية.
- **سوتشي** حاول فرض صيغة **"إصلاح دستوري" لا "انتقال سياسي"**، بما يناسب بقاء الأسد.
- **المعارضة السورية** بدت في موقف ضعف شديد، حيث انقسمت بين من حضر تحت ضغط تركي، ومن قاطع احتجاجًا دون بديل.
- **الأمم المتحدة** همّشت تدريجيًا، وأصبحت جهة شكلية في المشهد السياسي.

آستانا وسوتشي... هندسة تسوية على مقاس المنتصر

ما بين جنيف الذي فشل، وآستانا الذي جمّد، وسوتشي الذي شوّه، ضاعت آمال السوريين في عدالة انتقالية حقيقية. لقد تحوّل المسار السياسي من وسيلة لتحقيق تطلعات شعب ثائر إلى أداة لتقاسم النفوذ بين دول كبرى، بينما بقي ملايين السوريين في الخيام، والمعتقلات، وتحت الأنقاض، دون تمثيل حقيقي في أي طاولة مفاوضات.[٧]



[7] Sam Heller, “Syria’s Constitutional Committee: The Devil in the Details,” (International Crisis Group, 2019).

(٤٠)

أستانا وسوتشي: التفاف روسي على جنيف ومصادرة المسار السياسي

من جنيف إلى أستانا

بعد فشل جولات مؤتمر جنيف في تحقيق أي اختراق في المسار السياسي، بدأت روسيا – بدعم من إيران وتركيا – بالدفع نحو مسار موازٍ يحمل طابعًا ميدانيًا أكثر منه سياسي، تحت ذريعة "خفض التصعيد" و"الواقع العسكري الجديد". هكذا ظهر مسار أستانا مطلع عام ٢٠١٧، ليكون منصة بديلة أو موازية لمسار جنيف.

بعكس جنيف الذي رعته الأمم المتحدة وركز على الانتقال السياسي، ركز أستانا على وقف إطلاق النار، وإيجاد آليات مراقبة في مناطق النزاع، خاصة بعد سقوط حلب بيد النظام أواخر ٢٠١٦، وهو ما منح موسكو اليد العليا.[١]

مسار أستانا: تكريس "الوقائع" بدل تغييرها

عُقدت أولى جولات أستانا في يناير ٢٠١٧، بحضور وفد من المعارضة المسلحة، ووفد النظام، وبرعاية "الضامنين الثلاثة": روسيا، إيران، وتركيا. ومع أن تركيا كانت تعدُّ داعمة للمعارضة، إلا أن التنسيق الثلاثي فرض توازنات جديدة.

---

[١] هادي البحرة، "مسار أستانا بين التهدئة والتمكين للنظام"، (المركز السوري للدراسات السياسية، ٢٠٢٠).

وقد أفضى المسار إلى الاتفاق على إنشاء أربع مناطق "خفض تصعيد" في: إدلب، ريف حمص الشمالي، الغوطة الشرقية، وجنوب سوريا.[٢] بدا الاتفاق واعدًا في البداية، لكن النظام وحلفاءه سرعان ما استخدموه كتكتيك عسكري:

- تم تركيز الجهد على ضرب منطقة تلو الأخرى.
- لم يلتزم النظام ولا روسيا بالاتفاقات.
- سقطت الغوطة ثم درعا ثم ريف حمص بيد النظام تباعًا.

أصبحت أستانا أداة روسية لفرض "الاستسلام بالتفاوض"،[٣] أكثر من كونها مسارًا للحل السياسي. وشكّلت انسحابًا تدريجيًا من قرارات جنيف ١، ولا سيما مبدأ "هيئة الحكم الانتقالي."

وأما الدور التركي فقد انحصر في ضبط الحدود واحتواء الفصائل لإبعاد خطر «قسد»، إلا أنّ أنقرة واجهت معضلة كبح هيئة تحرير الشام في إدلب.[٤]

مؤتمر سوتشي: الدستور بدل الانتقال

دعت روسيا في كانون الثاني/يناير ٢٠١٨ إلى «مؤتمر الحوار الوطني» في سوتشي، وطرحت تشكيل **لجنة دستوريّة** ثلاثية النظام/المعارضة/المجتمع المدني).[٥] قاطعت هيئاتٌ معارِضة بارزة المؤتمر، معتبرةً أنّه محاولة لشرعنة النظام والالتفاف على بيان جنيف وقرار ٢٢٥٤.[٦] لاحقاً بدأت اجتماعات

---

[٢] مركز جسور للدراسات، "تحليل مسار أستانا وسوتشي وأثرهما على الانتقال السياسي في سوريا"، (2021).

[3] International Crisis Group, "Lessons from the Astana Process in Syria," (2019).

[٤] عبد الوهاب عاصي، «تداعيات مساري أستانا وسوتشي على الثورة السورية«، *مجلة بدائل* .(2022)

[٥] نص البيان الختامي لمؤتمر سوتشي، وزارة الخارجية الروسية، ٣٠ يناير ٢٠١٨.

[6] Fabrice Balanche, "Syria's Sochi Conference: Neither Peace nor Political Transition," The Washington Institute (2018).

اللجنة في جنيف، لكنها لم تُحرز أيّ تقدّم بسبب تعطيل وفد النظام وخلافات المعارضة وغياب الضغط الدوليّ.[7]

الهدف المعلن كان إطلاق "لجنة دستورية"، لكن المشروع كان مسيّسًا من البداية:

- تم تشكيل اللجنة عبر آلية غير توافقية.
- روسيا فرضت أسماء موالية في قوائم "المجتمع المدني."
- جرى التركيز على الدستور، وتجاهل مطلب الانتقال السياسي الكامل.

تقاطع أستانا وسوتشي: تقويض جنيف

تكامَل المساران الروسيان في تحقيق ما يلي:

١. **تجميد مطلب إسقاط النظام** :عبر اختزال الحل في دستور وانتخابات مستقبلية تحت إشراف النظام نفسه.

٢. **شرعنة دور النظام دوليًا** :من خلال فرضه كطرف تفاوضي لا غنى عنه.

٣. **تفكيك المعارضة** :حيث تم دفع بعض الفصائل إلى الانخراط في ترتيبات أمنية مقابل البقاء في مناطقها.

٤. **إفراغ جنيف من مضمونه** :عبر نقل مركز التفاوض من الأمم المتحدة إلى "الضامنين الإقليميين."

المآلات والنتائج

حتى عام ٢٠٢٤، لم تحقق اللجنة الدستورية أي تقدم فعلي. توقفت الاجتماعات، وتراجعت الأولوية الدولية للحل السياسي. ومع تطورات الثورة

[7] United Nations, "Reports on the Geneva and Constitutional Committee Process," (2019 – 2023).

الميدانية مجددًا، بدا أن مساري أستانا وسوتشي كانا مجرد أدوات تأجيل وتسكين، وليسا سُبُلاً جادة للحل.

لكن التجربة كشفت حقيقة بالغة: لا يمكن لأي حل سياسي أن ينجح ما لم يُبنَ على عدالة القضية السورية، وعلى ضمان محاسبة مجرمي الحرب، وقيام نظام جديد يعبر عن إرادة السوريين الحرة.[8]



[8] Carnegie Middle East Center, "How the Syrian Opposition Evolved Since 2011," (2020).

(٤١)

تصاعد الصراع العسكري وتغيير موازين القوى (٢٠١٧ - ٢٠١٨)

شهدت هذه الفترة تصاعدًا ملحوظًا في العمليات العسكرية على الأرض، حيث تمكن النظام السوري بدعم روسي وإيراني من استعادة مناطق استراتيجية مهمة، مما أدى إلى تغييرات كبيرة في خريطة السيطرة داخل سوريا.

استعادة حلب وريفها

بعد معارك طويلة وشرسة، تمكنت قوات النظام من استعادة كامل مدينة حلب في أواخر ٢٠١٦ وبداية ٢٠١٧، بعد حصار استمر سنوات، وكان لهذا الانتصار أثر نفسي وعسكري كبير، إذ فقدت المعارضة واحدة من أهم معاقلها.[١]

حملات الغوطة الشرقية ودرعا

شنت قوات النظام حملات عسكرية مكثفة لاستعادة الغوطة الشرقية، إحدى آخر معاقل المعارضة قرب دمشق، حيث استخدمت أساليب قتالية مكثفة، بما في ذلك القصف الجوي والبراميل المتفجرة، مما تسبب في دمار

[١] قناة الجزيرة، «اتفاق أستانا ومناطق خفض التصعيد»، ملفّ تعريفيّ وتحليليّ، ٢٠١٧.

واسع وقتلى بين المدنيين. انتهت الحملة بسيطرة النظام في ٢٠١٨، ما مهد لاستعادة جنوب سوريا عبر "مصالحات" قسرية.[٢]

إدلب ومناطق خفض التصعيد

في إدلب، ظلت فصائل المعارضة تسيطر على مناطق واسعة، وأصبحت المنطقة تحت حماية جزئية لاتفاقيات خفض التصعيد، لكنها تعرضت لهجمات متقطعة، واستمرت العمليات العسكرية بوتيرة أقل مقارنة بمناطق أخرى، وتحولت المنطقة إلى ملجأ لمئات الآلاف من المهجرين بعد سقوط الغوطة والجنوب.[٣]

تأثير هذه التغيرات

- عززت هذه الانتصارات موقع النظام في المفاوضات السياسية.
- زادت من تشريد المدنيين ونزوحهم إلى الشمال السوري وتركيا.
- عمّقت الانقسامات داخل المعارضة، وأدت إلى ضعف موقفها التفاوضي.



[2] Carnegie Center, "The Astana Process Six Years On: Peace or Deadlock in Syria?" 2023.
[3] Council of Foreign Relations, "Global Conflict Tracker: Civil War in Syria," April, 2018.

(٤٢)

التحولات الإقليمية والدولية وتأثيرها على مسار الأزمة (٢٠١٧ -٢٠١٨)

شهدت المرحلة بين ٢٠١٧ و٢٠١٨ تحولات إقليمية ودولية حاسمة أثرت بشكل مباشر على مسار الأزمة السورية، مما أدى إلى إعادة رسم خرائط النفوذ داخل سوريا وفي محيطها الإقليمي، وأعاد تشكيل موازين القوى السياسية والعسكرية.

تعزيز النفوذ الإيراني والروسي

بعد تدخلهما العسكري المباشر، عززت روسيا وإيران وجودهما في سوريا بعمق. فقد وفرت روسيا دعماً جوياً مكثفاً لنظام بشار الأسد، مكنه من استعادة مناطق استراتيجية فقدها سابقًا، خاصة في حلب والغوطة الشرقية، وقد أدى هذا إلى ترسيخ النظام وإقصاء الغرب عن طاولة التسوية.[١]

أما إيران، فعملت على توطيد شبكة واسعة من الميليشيات الشيعية الطائفية متعددة الجنسيات، أبرزها حزب الله اللبناني، وقوات الحشد الشعبي العراقي، إضافة إلى تشكيل ميليشيات محلية من السوريين الشيعة والسنة الموالين لها.

[1] Center for Strategic and International Studies (CSIS), “The Evolution of Russian and Iranian Cooperation in Syria,” 2018.

هذا الوجود الإيراني المكثف كان يهدف إلى ضمان ممر بري مستمر من إيران إلى لبنان، لتعزيز نفوذها في المنطقة، والحفاظ على حليفها الأسد. شمل دعم إيران التمويل والتدريب العسكري، وكذلك المشاركة المباشرة في المعارك الحاسمة، وهذا أدى إلى تعاظم النفوذ الطائفي وقلق إسرائيلي-أمريكي متزايد.[٢]

الدور التركي المتقلب والمعقد

في ظل هذه التغيرات، اتخذت تركيا موقفًا متذبذبًا في الأزمة السورية، تعكس تعقيد مصالحها الأمنية والسياسية. بدأت تركيا بدعم جماعات معارضة معتدلة لمحاربة النظام، لكنها في الوقت نفسه حاولت تقليص النفوذ الكردي الذي كان ينمو بسرعة في شمال وشمال شرق سوريا.

نفذت تركيا عمليات عسكرية عدة مثل "درع الفرات" (٢٠١٦-٢٠١٧) و"غصن الزيتون" (٢٠١٨)، والتي هدفت إلى منع إنشاء منطقة حكم ذاتي كردية قرب حدودها، وحماية أمنها القومي من خطر ما وصفته بـ"الإرهاب الكردي".[٣]

كما دخلت تركيا في تفاهمات مع روسيا وإيران ضمن مسارات أستانا، حيث حاولت إيجاد مناطق نفوذ مشتركة، رغم أن العلاقة بين أنقرة وموسكو كانت متوترة على خلفية قضايا أخرى، منها حادثة إسقاط الطائرة الروسية.

الموقف الأمريكي والغربي

اتسم الموقف الأمريكي بعدم وضوح الرؤية، إذ ركزت الولايات المتحدة في المقام الأول على مكافحة تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، عبر دعم الفصائل الكردية والعربية التي شكلت "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد).

لكن الإدارة الأمريكية أظهرت ترددًا في التصدي المباشر للنظام السوري، أو التدخل العسكري المكثف ضده، وقلصت من حجم دعمها للفصائل

---

[2] Ibid.

[٣] انظر ويكيبيديا: عملية غصن الزيتون، وعملية درع الفرات.

CSIS, “Operation Euphrates Shield,” 2018

المعارضة المسلحة الأخرى، مما زاد من ضعف المعارضة التقليدية .هذا التردد أدى إلى إعطاء الروس والإيرانيين مساحة أوسع لتكثيف تدخلهم، ومهد الطريق لتعزيز سيطرة النظام.[٤]

الأزمة الإنسانية وأزمة اللاجئين

تفاقمت الأزمة الإنسانية، إذ شهدت مناطق الصراع استمرار القصف والحصار، وارتفاع أعداد النازحين داخلياً واللاجئين خارج سوريا. تصدرت هذه الأزمة اهتمام المنظمات الدولية ودول الجوار، خاصة لبنان، الأردن، وتركيا التي تستضيف ملايين اللاجئين. كما أدت هذه الأوضاع إلى توترات سياسية واجتماعية في أوروبا، وأثارت جدلاً واسعاً حول سياسة اللجوء والهجرة.[٥] وقد بدا عجز الأمم المتحدة آنذاك عن كسر الحصار أو حماية قوافل الإغاثة، رغم قرارات مجلس الأمن المتعاقبة.[٦]

الجهود الدبلوماسية والتحديات

رغم استمرار الحرب، كثفت الأمم المتحدة ومحافل دولية أخرى جهودها لتحقيق تسوية سياسية، عبر مؤتمرات جنيف، مسارات أستانا، ومبادرات أخرى. لكن التناقضات بين الأطراف، وتعقيدات الوضع العسكري، إضافة إلى غياب الثقة بين المعارضة والنظام، حالتا دون تحقيق اختراقات جادة.

لقد أدت التدخلات الإقليمية المتباينة، وانقسامات المعارضة السورية، إلى إطالة أمد الأزمة، وزيادة تعقيد الحلول.

---

[4] United Nations, Office of the Special Envoy for Syria, Briefings by Staffan de Mistura to the Security Council, 2017–2018.

[5] United Nations High Commissioner for Refugees (UNHCR), "Syria Refugee Crisis Explained," 2018.

[٦] المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، «المشهد الإنساني في سوريا بعد الغوطة»، تقرير ٢٠١٨.

في المجمل، كان عاما ٢٠١٧ و٢٠١٨ فترة حاسمة في الصراع السوري، حيث أعاد التدخل الروسي والإيراني تموضع النظام على الأرض، وجعل الصراع أكثر تعقيداً وتداخلاً إقليمياً ودولياً، مع تفاقم الأزمة الإنسانية التي لا تزال تطرح تحديات ضخمة حتى الآن.



الباب الثاني عشر

قسد والإدارة الذاتية الكردية

(٤٣)

بين المشروع الانفصالي والتحالفات الدولية

أولاً: النشأة والتحول العسكري

مع تصاعد النزاع السوري بعد عام ٢٠١٢، ظهرت الحاجة لدى القوى الكردية في شمال وشرق سوريا إلى ملء الفراغ الأمني والسياسي الذي خلّفه انسحاب جزئي لقوات النظام من تلك المناطق، لا سيما في القامشلي والحسكة وعين العرب (كوباني). وقد برز حزب الاتحاد الديمقراطي (PYD) بوصفه الفصيل السياسي الأقوى، وهو الفرع السوري لحزب العمال الكردستاني (PKK) المصنَّف منظمة إرهابية لدى تركيا والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي.[١]

أنشأ الحزب ميليشيا "وحدات حماية الشعب (YPG) "ثم "وحدات حماية المرأة (YPJ) ، وبدعم مباشر من الولايات المتحدة عام ٢٠١٥، تم تأسيس **قوات سوريا الديمقراطية (قسد)**، التي تضم عناصر كردية بشكل رئيسي، إلى جانب مكونات عربية وسريانية شكلية، لتكون الذراع العسكرية لـ"الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا.[٢]

---

[١] أحمد أبا زيد، «قسد والإدارة الذاتية: الطموحات والسياسات»، مركز عمران للدراسات، ٢٠٢٠.

[2] Charles Lister, *Profiling the Syrian Democratic Forces* (Washington DC: Middle East Institute, 2017).

ثانيًا: البنية السياسية والإدارية لمناطق قسد

في عام ٢٠١٤، أعلن حزب الاتحاد الديمقراطي عن "إدارة ذاتية" في ثلاث مناطق رئيسية أطلق عليها "كانتونات": الجزيرة (الحسكة)، كوباني (عين العرب)، وعفرين. ثم توسعت لاحقًا لتشمل منبج، الطبقة، الرقة، ودير الزور، تحت مسمى "الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا."

تقوم الإدارة على هيكلية أيديولوجية مستمدة من فكر عبد الله أوجلان، وتتبنى ما يُعرف بـ"الكونفدرالية الديمقراطية"، لكنها عمليًا تدار من طرف واحد هو حزب الاتحاد الديمقراطي ومسلحيه، وسط تغييب شبه كامل لممثلي المكونات العربية، حتى في المناطق ذات الغالبية العربية مثل الرقة ودير الزور.[٣]

ثالثًا: التحالفات والعلاقات الإقليمية والدولية

١. العلاقة مع الولايات المتحدة

تشكلت قسد بدعم مباشر من التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة في سياق الحرب على تنظيم "داعش"، لا سيما بعد معركة كوباني. قدمت واشنطن دعمًا جويًا ولوجستيًا واستخباراتيًا، وشكلت قواعد عسكرية في مناطق نفوذ قسد، مقابل استمرار الأخيرة في محاربة داعش.

لكن واشنطن كانت دائمًا حريصة على تقديم قسد باعتبارها "تحالفًا متعدد العرقيات" لتخفيف الحساسية التركية والعربية، رغم سيطرة الأكراد الفعلية على القرار فيها.[٤]

[٣] مركز حرمون، «الإدارة الذاتية الكردية في سوريا»، تقرير ٢٠٢١.

[4] International Crisis Group, “Flight of Icarus? The PYD’s Precarious Rise in Syria,” 2017.

٢. العلاقة مع النظام السوري

رغم العداء الظاهري، احتفظت قسد بعلاقات أمنية مع النظام، لا سيما عبر التنسيق في مدينتي الحسكة والقامشلي، حيث يحتفظ النظام بجيوب أمنية وإدارية. وقعت اشتباكات محدودة بين الطرفين، لكنها لم تصل إلى مستوى الحرب الشاملة.

كما فتحت قسد قنوات تفاوض في أكثر من مرة مع النظام، بهدف الاعتراف بالإدارة الذاتية، مقابل بقاء شكلي للسيادة السورية، إلا أن النظام ظل يرفض الاعتراف بأي مشروع انفصالي.[٥]

٣. العلاقة مع روسيا

استخدمت قسد روسيا كوسيط بعد التهديدات التركية المتكررة بشن عمليات عسكرية، خاصة بعد عملية "نبع السلام" التركية عام ٢٠١٩. فتحت روسيا المجال لقوات النظام للانتشار في مناطق حدودية كمنبج وعين عيسى، كوسيلة لاحتواء تركيا، وفي الوقت نفسه، لفرض نفوذها على قسد.[٦]

٤. العلاقة مع إيران

لم تكن العلاقة بين قسد وإيران واضحة مثل غيرها، لكنها تميزت بالتنسيق غير المباشر عبر النظام. إيران لا تعارض قسد ميدانيًا طالما لا تهدد نفوذها أو مصالحها الطائفية في دير الزور والبوكمال (ممر طهران-بغداد-البوكمال)، حيث تتواجد ميليشيات الحشد الشعبي والحرس الثوري الإيراني.[٧]

---

[5] UN OHCHR, *Report of the Independent International Commission of Inquiry on the Syrian Arab Republic*, 2019.

[٦] نوار شعبان، «قسد والتحولات السياسية والعسكرية»، مركز جسور للدراسات، ٢٠١٩.

[7] CSIS, *The Evolution of Russian and Iranian Cooperation in Syria*, 2018.

٥. العلاقة مع تركيا

تعتبر تركيا قسد و PYD امتدادًا مباشرًا لحزب العمال الكردستاني، العدو القومي للدولة التركية. شنت تركيا ثلاث عمليات عسكرية ضد قسد: "درع الفرات" (٢٠١٦)، "غصن الزيتون" (٢٠١٨، سيطرت فيها على عفرين)، و"نبع السلام" (٢٠١٩، سيطرت على تل أبيض ورأس العين)، حيث كان هدف هذه العمليات منع إقامة كيان كردي مستقل على حدودها الجنوبية، وترى في مشروع "الإدارة الذاتية" تهديدًا لأمنها القومي.[٨]

رابعًا: الانتهاكات والجرائم بحق المدنيين

رغم ترويج قسد لنفسها كقوة "تحررية"، فقد ارتكبت انتهاكات واسعة وموثقة ضد السكان المحليين، خاصة في المناطق ذات الغالبية العربية.

١. التهجير القسري

قامت قسد بتهجير آلاف السكان العرب من منازلهم في الرقة ودير الزور والحسكة بذريعة محاربة داعش أو وجود "خلايا نائمة". كثير من العائلات منعت من العودة بعد تحرير المنطقة.[٩]

٢. التجنيد الإجباري للأطفال

وثقت منظمات حقوقية دولية، مثل "هيومن رايتس ووتش" و"اليونيسف"، حالات تجنيد إجباري لأطفال دون سن الثامنة عشر في صفوف قسد، رغم توقيعها تعهدات سابقة بوقف ذلك.[١٠]

---

[8] Amnesty International, *We Had Nowhere Else to Go: Forced Displacement and Demolitions in Northern Syria*, 2015.

[٩] الشبكة السورية لحقوق الإنسان، «انتهاكات قسد بحق المدنيين»، تقارير ٢٠١٨–٢٠٢٢.

[10] Human Rights Watch, "Under Kurdish Rule: Abuses in PYD-run Enclaves of Syria", June, 2014.

٣. الاعتقالات التعسفية

نفذت قسد حملات دهم واعتقال طالت مئات الشبان والناشطين العرب، بتهم "الانتماء لداعش" أو "التحريض على الفتنة"، وتحدثت تقارير محلية عن تعرض المعتقلين للتعذيب في سجون قسد.[١١]

٤. قمع الحريات المدنية والإعلام

منعت قسد عشرات الصحفيين والناشطين من تغطية الأوضاع في مناطقها، وأغلقت مؤسسات إعلامية ومجالس محلية رفضت الانخراط في مشروعها السياسي.[١٢]

٥. معاملة السجناء

تحتجز قسد آلاف المشتبه بانتمائهم لداعش، بما في ذلك نساء وأطفال، في ظروف غير إنسانية في مخيمات مثل "الهول" و"روج"، ويعيش المعتقلون في هذه المخيمات وسط ظروف صحية وأمنية كارثية، دون محاكمات عادلة.[١٣]

رغم الدور الحاسم الذي لعبته قسد في هزيمة داعش، فإن مشروع "الإدارة الذاتية" بقي مثيرًا للجدل بسبب طابعه الأحادي القومي، وهيمنته السياسية والعسكرية، وانتهاكاته المتكررة بحق المدنيين، خصوصًا في المناطق العربية.

كما أن تحالف قسد مع واشنطن، وتنسيقها مع النظام وروسيا، وارتكابها لانتهاكات بحق أبناء الشعب السوري، جعلها في نظر شريحة واسعة من

---

[١١] المصدر نفسه؛ وكذلك تقارير.SNHR 2021

[١٢] تقرير مركز العدالة السوري (SJAC) ، »قيود على الإعلام في مناطق الإدارة الذاتية»، ٢٠٢٠.

[13] UN OHCHR, “Detention Conditions in al-Hawl and Roj Camps,” 2021.

السوريين "سلطة أمر واقع"، لا تختلف كثيرًا عن النظام الذي خرجوا ضده، بل كانت أداة لتعقيد المشهد، لا حلاً له.



(٤٤)

قيادات قسد وعلاقتها بحزب العمال الكردستاني (PKK)

أولًا: البنية القيادية لقسد

قوات سوريا الديمقراطية (قسد) تأسست في أكتوبر ٢٠١٥، كتحالف عسكري تحت مظلة "الإدارة الذاتية" الكردية. ورغم أن اسمها يوحي بالتعددية، فإن قيادتها الفعلية والسياسية تنتمي في الغالب لحزب الاتحاد الديمقراطي (PYD) ، وهو الفرع السوري لحزب العمال الكردستاني.

وما زالت العلاقة بين قسد وحزب العمال الكردستاني موضع جدل سياسي، إلا أن الوقائع الميدانية والتقارير الاستخباراتية (حتى الغربية منها) تؤكد ما يلي:

- حزب العمال الكردستاني يشرف على تدريب كوادر قسد في جبال قنديل.
- معظم القادة العسكريين لقسد هم كوادر سابقة في حزب العمال الكردستاني.
- الفكر السياسي والعسكري المسيطر داخل قسد يستند إلى أيديولوجية عبد الله أوجلان.[١]

[١] مركز عمران للدراسات، "قسد و بي كي بين النفي الرسمي والتطابق التنظيمي"، ٢٠١٩.

ثانيًا: أبرز القيادات في قسد

١. مظلوم عبدي (فرهاد شاهين)

- **الصفة** :القائد العام لقسد.
- **الانتماء السابق** :قيادي في حزب العمال الكردستاني، خدم في قنديل سنوات طويلة.
- **الدور** :يعتبر الواجهة السياسية والعسكرية لقسد في علاقتها مع الولايات المتحدة. تربطه علاقات وثيقة بالقيادة المركزية الأميركية، ويعد أكثر القادة قدرة على المناورة السياسية.
- **الملف الدولي** :تصنّفه تركيا كإرهابي دولي، وتطالب بتسليمه،[٢] معتبرة أنه المسؤول عن هجمات ضد قواتها.

٢. إلهام أحمد

- **الصفة** :الرئيسة السابقة لـ"مجلس سوريا الديمقراطية" (الجناح السياسي لقسد).
- **الخلفية** :تنتمي لحزب الاتحاد الديمقراطي، وتحمل الجنسية السورية. تتحدث الإنكليزية بطلاقة، مما أهلها للقيام بجولات دبلوماسية إلى واشنطن وموسكو وأوروبا.[٣]
- **الدور** :قامت بدور الناطق السياسي باسم مشروع "الإدارة الذاتية"، وهي مدافعة شرسة عن التوافق بين الأكراد وأميركا.

٣. ريدور خليل

- **الصفة** :المسؤول الإعلامي والمتحدث الرسمي باسم وحدات YPG سابقًا.

---

[2] Charles Lister, *Profiling the Syrian Democratic Forces* (Washington DC: MEI, 2017).

[3] International Crisis Group, "Flight of Icarus? The PYD's Precarious Rise in Syria," (2017).

- **الانتماء** :قيادي في حزب الاتحاد الديمقراطي وله خلفية أمنية قوية.
- **الدور** :لعب دورًا مهمًا في ترويج خطاب قسد دوليًا، وتبرير علاقتها مع حزب العمال الكردستاني باعتبارها "علاقة فكرية لا تنظيمية."[٤]

٤. سلو عبد الحميد (اللواء طلال سلو)

- **الصفة** :المتحدث السابق باسم قسد (٢٠١٥-٢٠١٧).
- **الخلفية** :ضابط منشق عن الجيش السوري، ينتمي للعشائر التركمانية في شمال حلب.
- **الدور** :كان يشكل الواجهة العربية لقسد، لكنه انشق أواخر ٢٠١٧ وفرّ إلى مناطق المعارضة السورية، وكشف معلومات تؤكد "هيمنة حزب العمال الكردستاني التامة" على قسد.[٥]

٥. صورة مظلوم (نوروز أحمد)

- **الصفة** :عضو القيادة العسكرية العليا في قسد.
- **الانتماء** :من الكوادر العسكرية القديمة في YPJ (النسائية)، وتدربت في قنديل.
- **الدور** :تتولى القيادة الميدانية في العمليات العسكرية الواسعة.[٦]

ثالثًا: العلاقة التنظيمية مع حزب العمال الكردستاني

على الرغم من محاولة قسد نفي علاقتها التنظيمية المباشرة مع حزب العمال الكردستاني، إلا أن الحقائق التالية تُبيّن عمق الارتباط:

---

[٤] مركز جسور للدراسات، "البنية القيادية لقسد وأثرها على مستقبل سوريا"، ٢٠٢١.

[٥] الشبكة السورية لحقوق الإنسان، "شهاداتٌ مُنشقّة عن قسد"، ٢٠٢٠.

[6] Human Rights Watch, "Under Kurdish Rule: Abuses in PYD-run Enclaves of Syria," (2014).

- تم إنشاء YPG كفرع سوري عسكري لحزب العمال الكردستاني عام ٢٠٠٤.[٧]

- معظم قادة وحدات حماية الشعب، ووحدات حماية المرأة، الذين شكّلوا النواة الأساسية لقسد لاحقًا، تلقوا تدريباتهم في معسكرات حزب العمال في جبال قنديل.[٨]

- لا يزال عبد الله أوجلان، زعيم حزب العمال الكردستاني، المعتقل في تركيا، يُعتبر المرجع الفكري الأول لجميع مؤسسات قسد. وفي الخطاب الداخلي الكردي، يتم تمجيد أوجلان ووضع صوره في المؤسسات العسكرية والإدارية للإدارة الذاتية.[٩]

- وثائق صادرة عن التحالف الدولي تؤكد أن واشنطن كانت "تتغاضى" عن الارتباط بين قسد وحزب العمال في سبيل محاربة داعش.[١٠]

رابعًا: دلالاتُ الارتباط

- الطابعُ الأحاديّ :سيطرة PYD/PKK على القرار أقصت ممثّلي العرب والآشوريّين، ولا سيّما في الرقة ودير الزور.
- التوتّرُ مع أنقرة :تُصنّف تركيا« PKK تهديدًا وجوديًّا» فتشنُّ عملياتٍ عسكريّة («درع الفرات»، «غصن الزيتون»، «نبع السلام») لكسر مشروع «الحزام» الكردي.
- خشيةُ المكوّنات العربيّة :ترى كثيرٌ من العشائر أنّ قسد «قوّةُ أمرٍ واقع» ذاتُ أجندةٍ غيرِ وطنيّة.

خلاصة: تُظهر الوقائعُ أن قسد امتدادٌ محلّيٌّ لـ PKK في سورية، مع فارقٍ في الاسم والغطاء الدولي، وهو ما يفسّر سلوكَها الإقصائيّ وسياساتها الأمنيّة

---

٧ أحمد أبا زيد، «قسد والإدارة الذاتية: الطموحات والسياسات»، مركز عمران ، ٢٠٢٠.

8 UN OHCHR, "Report of the Independent International Commission of Inquiry on the Syrian Arab Republic," 2020.

9 Amnesty International, "We Had Nowhere Else to Go," 2015.

10 U.S. Department of Defense, *Briefings on SDF/PKK Affiliation* (2018-2020).

الصارمة، ويجعل مستقبلَ «الإدارة الذاتيّة» رهينًا بتفاهمٍ دوليٍّ لم يتبلور بعد.



الباب الثالث عشر

تجربة إدلب والمناطق المحررة

(٤٥)

إدلب نواة الدولة

إدلب من هوامش الثورة إلى مركزها

أولاً: إدلب في البدايات – المهد الريفي للغضب

تقع محافظة إدلب في شمال غرب سوريا، وتتميز بموقع جغرافي استراتيجي يربطها بمحافظات حلب وحماة واللاذقية وتركيا شمالًا. يقدّر عدد سكانها قبل الثورة بحوالي ١,٥ مليون نسمة، موزعين بين الريف الزراعي الخصيب (وادي الغاب، جبل الزاوية، سهل الروج) والمراكز الحضرية مثل مدينة إدلب وسرمدا ومعرة النعمان.

غالبية سكان إدلب من أهل السنة، وينتمون إلى أصول ريفية محافظة، وقد عُرفت تاريخيًا بمزاجها الديني المعتدل وارتباطها بالتعليم الشرعي، كما عرفت بانتمائها الوطني القوي، خاصة خلال انتفاضات سابقة مثل انتفاضة الثمانينات ضد نظام حافظ الأسد.[١]

تتمتع محافظة إدلب، الواقعة شمال غرب سوريا على الحدود مع تركيا، بخاصية جغرافية واجتماعية جعلتها من أولى المناطق التي التحقت بركب الثورة السورية منذ انطلاقها في مارس ٢٠١١. فالطبيعة الريفية للمحافظة،

[١] مركز حرمون للدراسات المعاصرة، "إدلب بين الثورة والحرب والتهجير"، الدوحة، ٢٠٢٠.

وكثافة النشاط المدني فيها، إضافة إلى التهميش الاقتصادي من قبل النظام لعقود، جعلت منها بيئة قابلة للاشتعال الثوري.

بدأت المظاهرات في مدن مثل سراقب، معرة النعمان، كفرنبل، وجسر الشغور. وقد اشتهرت إدلب، خصوصًا مدينة كفرنبل، بلافتاتها الساخرة التي كانت ترسل رسائل الثورة إلى الداخل والخارج، ما جعلها تحظى باهتمام إعلامي خاص.[٢]

ثانياً: تحرير أجزاء واسعة – وتكريس الأمل

مع تصاعد الثورة وتحولها إلى صراع مسلح بعد ٢٠١٢، برزت إدلب كإحدى أهم جبهات المواجهة. أُنشئت كتائب محلية متعددة، أبرزها "كتائب الفاروق" و"أحرار الشام" و"صقور الشام" التي لعبت دورًا مهمًا في تحرير ريف إدلب الجنوبي والغربي.

في مارس ٢٠١٥، شكّل تحالف "جيش الفتح"، الذي ضم فصائل إسلامية أبرزها جبهة النصرة وأحرار الشام، قوة عسكرية قادت عملية تحرير مدينة إدلب من قبضة النظام في واحدة من أهم إنجازات المعارضة المسلحة.[٣]

ثالثاً: ملاذ المهجّرين – إدلب تستقبل نصف سوريا

بعد ٢٠١٦، ومع تسارع عمليات التهجير القسري من مناطق مثل داريا، الزبداني، شرق حلب، الغوطة الشرقية، وريف حمص الشمالي، تحوّلت إدلب إلى وجهة "الترانسفير" التي فرضها النظام وحلفاؤه على المحاصرين.

احتضنت المحافظة أكثر من ٣,٥ مليون نسمة، نصفهم من المهجّرين، مما أحدث تحولات سكانية ضخمة، وتحديات لوجستية في الإغاثة،

---

[٢] موقع عنب بلدي. «تقارير ميدانية وتحليلية عن إدلب (٢٠١٥-٢٠٢٣)»:
https://www.enabbaladi.net

[٣] أحمد أبازيد، «الهيمنة على إدلب: تحوّل النصرة إلى سلطة». مركز عمران للدراسات، ٢٠١٨.

والتعليم، والإدارة، وفرضت مشهدًا معقدًا من التعايش بين المحليين والوافدين.[٤]

رابعاً: تجربة الإدارة المدنية – من الأمل إلى الهيمنة

سعت قوى الثورة منذ البداية إلى إنشاء مجالس محلية لإدارة المناطق المحررة. وفعلاً، أُنشئت عشرات المجالس في قرى ومدن إدلب بإشراف مباشر من السكان والناشطين، وبدعم من منظمات دولية.

لكن منذ سيطرة "هيئة تحرير الشام" بقيادة أحمد الشرع (أبو محمد الجولاني) على المدينة في تموز/يوليو ٢٠١٧، تم تقويض تجربة المجالس المستقلة لصالح إدارة مركزية تحت مسمى "حكومة الإنقاذ"، والتي أصبحت الذراع المدنية للهيئة.

ورغم أن الحكومة قدمت خدمات فعلية، كالتعليم والإغاثة، إلا أن سيطرة الهيئة العسكرية على القرار السياسي والإداري أضعفت استقلالية مؤسسات المجتمع المدني، وخلقت بيئة من الخوف والكبت السياسي، خاصة بعد إغلاق مكاتب المعارضة المستقلة.[٥]

خامساً: صراع الفصائل – ساحة تصفية الحسابات

منذ تحرير إدلب، لم تخلُ المحافظة من الاقتتال الداخلي بين الفصائل المسلحة، حيث شهدت اقتتالاً متكررًا بين:

- أحرار الشام وهيئة تحرير الشام (٢٠١٧-٢٠١٨).
- فصائل "الجيش الحر" المدعومة من تركيا ضد الهيئة.

---

[4] UN OCHA, “North-West Syria Humanitarian Situation Reports (2016–2023).” https://reliefweb.int.

[5] Charles Lister. “Profiling HTS and the Future of Idlib.” Middle East Institute, 2021.

- صراعات داخل الهيئة نفسها بين تيارات جهادية أكثر تشددًا وتيار الجولاني البراغماتي.

أسفرت هذه الصراعات عن تصفية عدد من القادة البارزين ودمار في البنية التحتية المحلية، وفقدان ثقة كثير من السكان في جدوى المشروع العسكري للمعارضة.[٦]

سادساً: أحمد الشرع (أبو محمد الجولاني)

يُعد الجولاني من أكثر الشخصيات تأثيرًا في مصير إدلب. بدأ مسيرته كأحد كوادر القاعدة في العراق، ثم أسس "جبهة النصرة" في سوريا، ثم انفصل عنها ليؤسس "هيئة تحرير الشام". لعب دورًا حاسمًا في قمع فصائل أخرى وبسط السيطرة على إدلب. تحوّل الجولاني من زعيم جهادي إلى شخصية تسعى للشرعية السياسية، وظهر في مقابلات إعلامية وهو يرتدي البدلة المدنية، مشيرًا إلى رغبته في إدارة المناطق المحررة وتحسين صورتها أمام العالم.

رغم ذلك، لا تزال هيئته تُتهم باعتقال نشطاء، وإغلاق مكاتب إعلامية، وفرض ضرائب على المنظمات الإغاثية،[٧] مما يجعل مشروعه مثار جدل بين من يراه براغماتيًا وبين من يراه استبداديًا جديدًا بثوب "إسلامي."[٨]

[6] International Crisis Group. "The Best of Bad Options for Idlib." Report No. 70, 2018.

[7] Human Rights Watch, "Syria: Abuses by HTS in Idlib," New York, 2020.

[٨] السيد أحمد الشرع أصبح رئيساً للجمهورية العربية السورية.

الجدول الزمني (أهم محطات إدلب خلال الثورة)

الحدث	التاريخ
انطلاق المظاهرات في كفرنبل وسراقب ومعرة النعمان	٢٠١١-٢٠١٢
تحرير مدينة إدلب من النظام	٢٠١٥/٣/٢٨
استقبال إدلب لأكبر موجة تهجير قسري في سوريا	٢٠١٦-٢٠١٨
سيطرة هيئة تحرير الشام على مدينة إدلب	٢٠١٧/٧/٢١
تشكيل "حكومة الإنقاذ" التابعة للهيئة	٢٠١٧/١١
توقيع اتفاق وقف إطلاق النار برعاية روسية تركية	٢٠٢٠/٣/٥

لم تكن إدلب مجرد "منطقة محررة"، بل كانت عنوانًا لصمود الثورة وتناقضاتها في آنٍ واحد. فقد جمعت بين أشواق التحرر وتجارب الإدارة المدنية، وبين طموح الدولة البديلة وسلطة العسكرة. وإن مستقبل إدلب، كما مستقبل سوريا، مرهون بقدرتها على تجاوز الاستبداد – سواء أكان بزيٍ بعثي أو بلحيةٍ جهادية.



(٤٦)

حكومة الإنقاذ في إدلب: التجربة الإدارية تحت سلطة هيئة تحرير الشام

التأسيس والمرجعية

تأسست "حكومة الإنقاذ السورية" في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٧، كذراع مدني إداري لهيئة تحرير الشام، إثر سيطرة الأخيرة على مدينة إدلب وريفها وطرد فصائل المعارضة المسلحة، لاسيما أحرار الشام.[١] جاءت الحكومة كخطوة لتقنين السيطرة العسكرية وتحويلها إلى سلطة مدنية "شرعية" في نظر السكان والمجتمع الدولي.

رغم إعلان الهيئة استقلال الحكومة عنها، إلا أن الوقائع على الأرض تشير إلى أن القرارات الاستراتيجية تُصنع داخل المجلس الشرعي والعسكري للهيئة، في حين يقتصر دور حكومة الإنقاذ على الإدارة وتقديم الخدمات تحت إشراف مباشر وغير مباشر.[٢]

الهيكل الإداري والمؤسسات

تشكلت الحكومة من عدة وزارات: الداخلية، الصحة، التربية، العدل، الشؤون الإنسانية، الاقتصاد، والإعلام، وغيرها. أنشأت الحكومة محاكم

---

١ أحمد أبا زيد. «الهيمنة على إدلب: تحوّل النصرة إلى سلطة». مركز عمران للدراسات، ٢٠١٨.

2 Charles Lister, “Profiling HTS and the Future of Idlib.” Middle East Institute, 2021.

شرعية، وأطلقت سلسلة من المشاريع الإدارية، كإصدار لوحات سيارات رسمية، تسجيل العقارات، ومراقبة الأسواق.[٣]

كما تولت تنظيم عمل المنظمات الإنسانية، وفرضت عليها التنسيق المسبق، ما أثار جدلاً بين المنظمات حول الاستقلالية وحرية الحركة.[٤]

النجاحات الإدارية

١. **الخدمات العامة** :تم تشغيل شبكات الكهرباء والمياه في بعض المناطق، وتحسين عمل البلديات في جمع القمامة وتنظيم الأسواق.[٥]

٢. **التعليم** :أعيد افتتاح مئات المدارس، مع اعتماد مناهج معدلة، وتوظيف آلاف المعلمين.

٣. **الصحة** :تنظيم المشافي العامة والخاصة، وتنظيم حملات التلقيح.

التحديات والانتقادات

رغم هذا التقدم النسبي، واجهت حكومة الإنقاذ انتقادات كبيرة:

١. **غياب الشرعية التمثيلية:** لا توجد انتخابات حرة أو مجالس محلية مستقلة، بل تعيينات تتم عبر مجلس الشورى المقرب من الهيئة.[٦]

٢. **الرقابة الأمنية:** اتُّهِمت الهيئة باستخدام الحكومة لتبرير القمع الأمني بحق النشطاء والإعلاميين.[٧]

---

[٣] مركز جسور للدراسات .*حكومة الإنقاذ: تجربة الإدارة في إدلب* .تقرير، ٢٠٢٠.

[٤] عنب بلدي، "تقارير ميدانية حول حكومة الإنقاذ "، ٢٠١٧-٢٠٢٣.

[5] UN OCHA, "North-West Syria Administration and Civil Affairs Reports," (2017–2023).

[6] Aron Lund, "Governing Idlib: The Politics of HTS and the Salvation Government," The Century Foundation, 2020.

[7] International Crisis Group. "The Best of Bad Options for Idlib." *Report No.* 70, 2018.

٣. **فرض الضرائب**: اشتكى المواطنون من الضرائب المرتفعة والرسوم الإدارية، رغم ضعف الدخل والخدمات.[٨]

٤. **التبعية العسكرية**: لا يمكن للحكومة اتخاذ أي قرار استراتيجي دون موافقة قيادة الهيئة.[٩]

العلاقة مع تركيا والمنظمات الدولية

تسعى حكومة الإنقاذ إلى كسب نوع من الاعتراف غير المباشر عبر تحسين الأداء الإداري، لكنها لا تحظى بأي اعتراف رسمي. تركيا تتعامل بشكل غير مباشر معها من خلال منظمات الإغاثة، لكنها تعتمد في إدارة نقاط المراقبة والحدود على "الحكومة السورية المؤقتة" المدعومة من الائتلاف.

تجربة حكومة الإنقاذ تعكس تعقيد الحالة الإدارية في إدلب، حيث يتداخل الطموح ببناء سلطة مدنية مع واقع العسكرة وهيمنة الفصائل. ورغم وجود مؤشرات تقدم في بعض المجالات، فإن غياب الشفافية، واستمرار هيمنة الهيئة، وتراجع الحريات، يجعل من هذه الحكومة سلطة أمر واقع أكثر من كونها تجربة ديمقراطية حقيقية.



---

٨ عنب بلدي. "تقارير ميدانية حول حكومة الإنقاذ"، مصدر سابق.

٩ موقع المدن، " تحقيقات حول نفوذ هيئة تحرير الشام وهيكل الحكومة"، ٢٠١٨–٢٠٢٢.

(٤٧)

تجربة الإدارة المدنية في المناطق المحررة: من الأمل إلى التحديات

أولاً: نشأة المجالس المحلية... بارقة الأمل

مع اتساع رقعة المناطق الخارجة عن سيطرة النظام في عامي ٢٠١٢ و٢٠١٣، برزت الحاجة الماسّة إلى إدارة شؤون السكان المحليين. فقد وجد السوريون أنفسهم أمام فراغ إداري وأمني كبير، وكان لا بد من ملئه بجهد شعبي مدني. وهكذا بدأت تظهر **المجالس المحلية** كأطر تنظيمية لإدارة الحياة اليومية في المدن والبلدات المحررة، خصوصًا في ريف حلب، إدلب، درعا، والغوطة.[١]

تكوّنت هذه المجالس غالبًا من شخصيات مدنية منتخبة محليًا أو متوافق عليها مجتمعيًا، تضم مختصين في قطاعات الخدمات، التعليم، الصحة، والاقتصاد. وأصبحت هذه المجالس مع مرور الوقت تمثل العمود الفقري للإدارة المدنية، بل ومظهرًا من مظاهر "سوريا البديلة."[٢]

---

[١] حازم نهار، "المجالس المحلية في سوريا: تجربة مدنية في زمن الحرب،" الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٦.

[2] Carnegie Middle East Center, "Local Governance in Opposition-Held Syria," Beirut, 2014.

ثانياً: الدعم والتمويل... بين الواقع والطموح

رغم ضعف الموارد، استطاعت بعض المجالس تنفيذ مشاريع مهمة مثل:

- ترميم الطرق والمدارس.
- تزويد السكان بالمياه والكهرباء بوسائل بديلة.
- فتح المدارس والمراكز الصحية.

وقد تلقت هذه المجالس دعمًا من منظمات إغاثية، وكذلك من بعض الحكومات مثل تركيا والولايات المتحدة وألمانيا. لكن الدعم ظل محدودًا وغير منتظم، مما عرقل كثيراً من المشاريع.[٣]

ثالثاً: الإنجازات... عندما يُصنع النجاح من تحت الركام

- **المجلس المحلي في داريا** تمكّن من إدارة المدينة المحاصرة لسنوات، وأدار شبكة أنفاق، ونظم الزراعة الداخلية لتوفير الغذاء.[٤]
- **مجالس حلب وإدلب** نجحت في تفعيل البلديات، وأنشأت محاكم شرعية مدنية لمحاكمة الجناة وإدارة النزاعات.[٥]
- **في ريف درعا**، شكّلت المجالس مظلة لكثير من المنظمات التعليمية والإغاثية التي خدمت عشرات الآلاف من السكان.

رابعاً: التحديات الكبرى... حين يصطدم الأمل بالواقع

رغم النجاح النسبي، واجهت تجربة الإدارة المدنية تحديات ضخمة:

---

[٣] مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، "الإدارة المحلية في سوريا: واقع وتحديات"، تقرير خاص، ٢٠١٨.

[٤] ياسين السويحة، "الإدارة المدنية في المناطق المحررة: الواقع والمآلات"، الشبكة السورية لحقوق الإنسان، ٢٠١٧.

[٥] حازم نهار، المصدر نفسه.

١. **القصف المستمر** :طيران النظام وروسيا استهدف عمدًا المرافق المدنية (مباني المجالس، المستشفيات، المدارس)، ما قاد إلى دمار واسع.[٦]

٢. **ضعف الاعتراف الدولي** :لم تعترف الأمم المتحدة ولا المنظمات الدولية الكبرى بهذه المجالس، وظلت تتعامل مع النظام كممثل شرعي.[٧]

٣. **غياب الحماية القانونية** :ما عرّض أعضاء المجالس للاغتيالات والاعتقالات، حتى من بعض الفصائل المعارضة.

٤. **الفوضى الأمنية** :انتشار الفصائل المسلحة، خاصة المتطرفة، قاد إلى تقويض استقلالية المجالس.

٥. **تنازع الشرعيات** :بين المجالس المحلية، والحكومات المؤقتة، وهيئات شرعية وفصائلية، مما أحدث تضاربًا في السلطات.[٨]

خامساً: تدخل الفصائل... اغتيال الحلم المدني

في كثير من المناطق، خاصة بعد صعود جبهة النصرة (ثم هيئة تحرير الشام)، فُرض على المجالس الانضواء تحت "حكومة الإنقاذ" التي أسستها الهيئة في إدلب. هذا أضعف مصداقية المجالس المدنية، وخلق حالة من التسلط الأمني وأفقدها استقلالها.[٩]

---

[6] International Crisis Group, “Steps Toward Stabilization in Syria’s Rebel Areas,” Report no. 53, 2016.

[٧] رامي نخلة، "عن تجربة المجالس المحلية،" موقع الجمهورية، ٢٥ آذار / مارس ٢٠١٥.

[8] Syrian Center for Policy Research, “Fragmentation and Resilience in Syria,” 2018.

[٩] مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، "الإدارة المحلية في سوريا: واقع وتحديات"، تقرير خاص، ٢٠١٨.

وفي مناطق أخرى، كدرعا والغوطة، كانت المجالس تعاني من تدخل الفصائل العسكرية التي سعت إلى التحكم في التمويل وقرارات التعيين.[10]

سادساً: إعادة تشكيل التجربة في الشمال السوري

بعد تهجير ملايين السوريين إلى الشمال السوري (خاصة بعد سقوط حلب والغوطة)، أعيد تشكيل تجربة المجالس بتركيبة جديدة، وبتمويل تركي جزئي. أنشئت مجالس محلية في مناطق "درع الفرات"، "غصن الزيتون"، و"نبع السلام"، وتم ربطها إداريًا بولايتي غازي عنتاب وهاتاي (أنطاكية). غير أن ازدواجية الصلاحيات مع الإدارات التركية وقلّة الموارد وغياب مشروعٍ سياسي وطني جامع أبقت التجربة هشّة.[11]

سابعاً: الخلاصة... تجربة واعدة تُقاوم الموت

تجربة الإدارة المدنية في المناطق المحررة كانت من أبرز منجزات الثورة السورية، فقد جسدت طموح السوريين في بناء بديل حضاري عن دولة القمع والفساد. رغم التحديات، أثبتت هذه التجربة أن السوريين قادرون على إدارة أنفسهم، وأن الثورة لم تكن فوضى كما روّج النظام، بل كانت مشروع تحرر حقيقي.

ومع استمرار الحرب والتدخلات الخارجية، فإن الحفاظ على هذه التجربة وتطويرها يجب أن يكون من أولويات أي مشروع وطني سوري مستقبلي.[12]



---

10 Atlantic Council, "The Future of Governance in Syrian Opposition Areas," Washington DC, 2019.

11 Syrian Center for Policy Research, "Fragmentation and Resilience in Syria," 2018.

١٢ انظر: حازم نهار، مصدر سابق.

(٤٨)

هيئة تحرير الشام: من السلاح إلى الحكم... مشروع سلطة بين الولاء والمصالح

من "الجهاد العالمي" إلى الطموح المحلي

انطلقت جبهة النصرة عام ٢٠١٢، بقيادة **أبو محمد الجولاني**، كمشروع امتداد للقاعدة في سوريا. كانت الجبهة جزءًا من موجة المقاتلين الإسلاميين الذين رأوا في الثورة السورية فرصة لإقامة حكم إسلامي، وتحقيق حلم "التمكين" الذي لطالما روّج له فكر القاعدة. وقد عملت الجبهة منذ البداية على ترسيخ وجودها من خلال حضور عسكري قوي، وشبكة إغاثية دعوية، ولكن أيضًا عبر نهج استئصالي تجاه منافسيها.[١]

مع الزمن، ومع الضغوط الدولية، بدأ التباين يتعمّق بين قيادة النصرة ومركز القاعدة، خصوصًا بعد الخلاف العلني بين الجولاني وأيمن الظواهري، إذ رفضت قيادة الجبهة البقاء مجرد فرع تابع، وأعلنت في تموز/يوليو ٢٠١٦ فك الارتباط رسميًا، وأعادت التشكيل تدريجيًا وصولًا إلى هيئة تحرير الشام.[٢]

---

1 Charles Lister, “Profiling HTS: Evolution of a Jihadi Power,” Middle East Institute, 2021.

2 Aron Lund, “A New Leader for a New HTS?” The Century Foundation, 2020.

الجولاني... من الأمير إلى رجل الدولة

ربما لا توجد شخصية أثارت جدلاً في الساحة السورية مثل **الجولاني،** الذي تحوّل من زعيم جماعة جهادية مقاتلة إلى "رئيس غير معلن" لكيان سياسي–عسكري يدير إدلب. فبعد أن عُرف بخطابه الحماسي حول الخلافة والقتال، ظهر في مقابلات إعلامية يرتدي لباسًا مدنيًا، ويتحدث بلغة سياسية أكثر تهذيبًا، مدافعًا عن "الاعتدال" و"استقرار المناطق المحررة."

رأى بعض المحللين في هذا التحول براغماتيةً سياسية تحاول التماهي مع الواقع الإقليمي والدولي، خصوصًا بعد القضاء على داعش، وتراجع الخيارات أمام المعارضة. بينما رأى آخرون فيه انتهازية لبناء سلطة قسرية فوق أنقاض الفصائل الثورية.[٣]

سيطرة الهيئة: مراحل التمدد والانفراد

خاضت الهيئة بين ٢٠١٧ و٢٠١٩ سلسلة من الصراعات العسكرية ضد فصائل أخرى، أبرزها:

- **أحرار الشام** :التي كانت تمثل القوة الثورية الإسلامية الأكبر، وانهزمت أمام هجمات منسقة شنّتها الهيئة، ما أدى إلى تلاشي نفوذها.
- **الجبهة الوطنية للتحرير** :تحالفت مع تركيا، لكنها لم تستطع ردع تمدد الهيئة.
- **فصائل مستقلة** :تمت تصفيتها أو تفكيكها عبر الضغوط الأمنية أو محاكم "الإنقاذ."

---

[٣] "مقابلة مع أبو محمد الجولاني" الجزيرة مباشر، ٢ شباط / فبراير ٢٠٢١؛ "الجولاني يتحدث إلى فرانس ٢٤" ١، ١٠ كانون الأول / ديسمبر ٢٠٢٢.

هذه الحروب كانت ضرورية لفرض الهيمنة الأمنية والعسكرية الكاملة، والتي مهدت الطريق لقيام إدارة مدنية تحت اسم **حكومة الإنقاذ**، وهي، رغم استقلالها النظري، إلا أنها فعليًا تدير الإدارات تحت إشراف أمني من الهيئة.[٤]

الأمن والعدالة في ظل الهيئة

تشرف هيئة تحرير الشام على جهاز أمني واسع يُعرف بـ"الأمن العام"، وهو جهاز يملك سلطة الاعتقال والتحقيق والمحاكمة خارج أطر القضاء المدني. يُتهم هذا الجهاز بارتكاب انتهاكات واسعة ضد ناشطين، إعلاميين، ومعارضين للهيئة.[٥]

وفي حين تسوق الهيئة نفسها كحامية للاستقرار ومنع الفوضى، إلا أن هذا "الاستقرار" تحقق عبر:

- مراقبة الصحافة والأنشطة المدنية.
- إغلاق المنظمات غير التابعة لها.
- اعتقال منتقدين وصحفيين، أبرزهم طاهر العمر وفارس الشامي.

علاقة الهيئة بتركيا واللاعبين الإقليميين

تركيا تملك نقاط مراقبة داخل إدلب، وتُعدّ من أبرز الفاعلين في الملف السوري. وعلى الرغم من تصنيفها للهيئة كمنظمة إرهابية، فإن واقع الأمر يشير إلى وجود **تفاهمات غير مباشرة**، تتضمن:

- إدارة المعابر والضرائب.
- التنسيق حول إدخال المساعدات الإنسانية.

---

٤ مركز الحوار السوري، " حكومة الإنقاذ: تقييم التجربة،" ٢٠٢٢.

5 International Crisis Group, “Squaring the Circles in Syria’s Northwest,” *Report No. 213*, 2020.

- منع أي عمل عسكري واسع في إدلب مقابل ضبط الجماعات الجهادية الأخرى.[٦]

أما بالنسبة **لروسيا**، فهي ترى في الهيئة تهديدًا طويل الأمد وتطالب بحلها، لكنها لم تنفذ عمليات شاملة ضدها خوفًا من انهيار التفاهمات مع أنقرة. في حين تبقي **الولايات المتحدة** و**الأمم المتحدة** على تصنيفها إرهابية، وتعارض دمجها في أي مسار تفاوضي.[٧]

التحول الدعوي والإعلامي

غيّرت الهيئة خطابها الإعلامي تدريجيًا، من الجهاد العالمي إلى "حماية الثورة". وقد استثمرت بكثافة في بناء آلة إعلامية متطورة، من قنوات فضائية، إلى شبكات على وسائل التواصل الاجتماعي. تغير الخطاب من نصوص الجهاد والبيعة إلى:

- "تحرير المحرر."
- "دولة العدالة والكرامة."
- "حماية أهل السنة من التهجير."[٨]

لكن هذه الحملات اصطدمت دائمًا بعدم الاعتراف الشعبي العام، خصوصًا في أوساط النشطاء والمدنيين الذين يرون في الهيئة سلطة فرض الأمر الواقع، لا خيارًا سياسيًا حقيقياً.

التحديات أمام مشروع الهيئة

رغم ما راكمته من قوة، واجهت الهيئة تحديات كبيرة:

---

[6] Ibid.

[7] Charles Lister.

[٨] معهد الشرق، «تحوّلات المشروع الإسلامي في شمال سورية». ٢٠٢٠.

١. **غياب الشرعية السياسية،** حيث لا انتخابات، ولا تمثيل شعبي حقيقي.

٢. **الضغوط الإقليمية والدولية،** إذ لا أفق لاعتراف بها ضمن أي تسوية مستقبلية.

٣. **الركود الاقتصادي والفساد** في المناطق التي تديرها، رغم سيطرتها على معظم المعابر والموارد.

٤. **تصاعد السخط الشعبي** في إدلب بسبب الضرائب، وتدهور الخدمات، وتقييد الحريات.



الباب الرابع عشر

الكفاح الأخير والتحول (٢٠٢٠ - ٢٠٢٤)

(٤٩)

اشتداد الضغوط الاقتصادية على النظام (٢٠٢٠-٢٠٢٤)

مع بداية العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين، دخل النظام السوري مرحلة جديدة من الوهن الاقتصادي غير المسبوق، إذ لم تعد أدوات السيطرة الأمنية والعسكرية كافية لضمان استمراره. فقد تراكمت الأزمات على النظام من كل الجهات: العقوبات الدولية، تدهور سعر صرف الليرة، شلل البنى الإنتاجية، تراجع الدعم الإيراني والروسي، فساد النخبة الحاكمة، والغضب الشعبي المتصاعد. هذه الضغوط مجتمعة جعلت الأعوام من ٢٠٢٠ إلى ٢٠٢٤ محطة مفصلية في مسار انهيار بنية النظام من الداخل.[١]

أثر العقوبات الدولية وتحديدًا قانون "قيصر"

من أبرز المحطات التي فاقمت المعاناة الاقتصادية للنظام كانت **دخول "قانون قيصر" الأميركي حيّز التنفيذ في حزيران/يونيو ٢٠٢٠**، وهو قانون فرض طوقًا اقتصاديًا شديدًا على النظام وداعميه، واستهدف شبكات التمويل، والشركات المرتبطة بعائلة الأسد، ومشاريع إعادة الإعمار التي حاول النظام الترويج لها كغطاء لغسيل الأموال. أدى تطبيق القانون إلى **شلّ الاستثمارات الأجنبية**، وإحجام الدول عن التعاون الاقتصادي مع النظام، خشية التورط في العقوبات، مما عمّق عزلة النظام ماليًا.[٢]

---

[1] International Crisis Group, "Syria's Stalled State: Between Sanctions and Survival," *Report No. 228*, Brussels, 2023.

[٢] مركز جسور للدراسات: "الاقتصاد السوري بعد قيصر،" إسطنبول، ٢٠٢١.

تدهور العملة السورية

من عام ٢٠٢٠ حتى ٢٠٢٤، شهدت **الليرة السورية انهيارًا تدريجيًا حادًا** . ففي حين كان سعر الدولار في ٢٠١٠ حوالي ٥٠ ليرة، تجاوز في ٢٠٢٤ عتبة ١٥,٠٠٠ ليرة في السوق السوداء. هذا التدهور أدى إلى:

فقدان الموظفين قوتهم الشرائية

- انفلات أسعار السلع الأساسية.
- انهيار الطبقة الوسطى، وازدياد نسب الفقر.
- تزايد الاعتماد على الحوالات الخارجية كمصدر دخل.[٣]

وقد حاول النظام طباعة كميات كبيرة من العملة بدون غطاء، مما فاقم التضخم، وزاد من التذمر الشعبي، حتى داخل المناطق التي يسيطر عليها.

انسحاب نسبي للدعم الإيراني والروسي

منذ العام ٢٠٢٠، بدأت **إيران تواجه أزمات اقتصادية داخلية** بسبب العقوبات والاحتجاجات، مما جعلها تُقلص تدريجيًا من دعمها المالي للنظام. أما روسيا، فقد انشغلت منذ عام ٢٠٢٢ بغزو أوكرانيا، وواجهت عزلة غربية، مما انعكس على أولوياتها في الشرق الأوسط .أدى هذا الانكفاء إلى **فراغ في دعم المحروقات، والمساعدات العسكرية، وحتى الرواتب للمليشيات التابعة لهما**، مما أثار استياء داخل أجنحة النظام.[٤]

الانهيار البنيوي للمؤسسات الاقتصادية

في ظل الفساد المستشري، وهيمنة عائلة الأسد وأمراء الحرب الجدد على الاقتصاد، تراجعت مؤشرات الدولة كافة:

---

[٣] البنك الاقتصادي السوري، "تحليل بيانات البيرة والتضخم ٢٠٢٠-٢٠٢٤"، تقرير غير منشور، ٢٠٢٤؛ البنك الدولي، موجز الاقتصاد السوري، ٢٠٢٢.

[4] International Crisis Group, "Syria's Stalled State: Between Sanctions and Survival," *Report No. 228*, Brussels, 2023.

- **توقف الإنتاج الزراعي والصناعي** نتيجة تهالك البنى التحتية وانعدام الطاقة.
- **تدمير قطاع التعليم والصحة** بسبب النزوح، وغياب الدعم، وهجرة الكفاءات.[٥]
- **احتكار الأسواق** من قبل رجال أعمال مقربين من النظام مثل سامر الفوز، ومهند الدباغ، وأسماء الأسد.

كما اتسع نطاق **الاقتصاد الموازي غير الرسمي** :تهريب، بيع العملة، غسيل أموال، وتجارة السلاح، مما أضعف الدولة كمؤسسة، وحوّلها إلى "شركة أمنية" تديرها أجهزة المخابرات والمافيا الاقتصادية.

رد الفعل الشعبي

بحلول عام ٢٠٢٣، تصاعدت **الاحتجاجات في مناطق السويداء، ودرعا، وأجزاء من حماة وريف دمشق،** مطالبة بتحسين الظروف المعيشية، وسقوط النظام. رفع المتظاهرون شعارات تذكّر بثورة ٢٠١١، وسط حالة من التمرد المدني الصامت، وموجات هجرة واسعة نحو لبنان وأوروبا. حتى في مناطق كانت خاضعة لسيطرة النظام، ظهرت **علامات تمرد اجتماعي**:

امتناع عن دفع الفواتير، تهرّب من الخدمة العسكرية، ازدياد الجريمة المنظمة، وانهيار الثقة في مؤسسات الدولة.[٦]



[٥] "ملف الفساد في المؤسسات العامة"، *العربي الجديد*، ١٧ نيسان/أبريل ٢٠٢٣؛ و"اقتصاد الظل في سورية"، المدن، ٥ أيار/مايو ٢٠٢٣.

[٦] المرصد السوري لحقوق الإنسان. «تجدّد احتجاجات السويداء ودرعا بسبب تردّي المعيشة». ٢٨ آب/أغسطس ٢٠٢٣؛ مقابلات مع متظاهرين ولاجئين. *قناة الجزيرة*، ٣ أيلول/سبتمبر ٢٠٢٣؛ *BBC Arabic*، ١٢ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٢٣.

(٥٠)

الانشقاقات داخل أجهزة الدولة (٢٠٢٠–٢٠٢٤)

بين عامي ٢٠٢٠ و٢٠٢٤، بدأت تتكشف معالم التفكك داخل مؤسسات الدولة السورية، التي طالما عُدت حصن النظام الحصين، وحاضنته العميقة منذ استيلاء حافظ الأسد على السلطة في سبعينيات القرن العشرين. شملت هذه التصدعات أجهزة أمنية حساسة، وقطاعات عسكرية، ومؤسسات دبلوماسية وتعليمية وخدمية، مما كشف عن هشاشة بنية النظام، وانهيار «الدولة المركزية» التي رُوِّج لها لعقود.[٧]

أولًا: الانهيار الاقتصادي وفقدان الولاء الوظيفي

أدى التدهور الكبير في قيمة الليرة السورية، وارتفاع معدلات التضخم، إلى إفقار قطاعات واسعة من الموظفين المدنيين والعسكريين، ما أفقد العمل في مؤسسات الدولة معناه الاقتصادي والاجتماعي. مع توقف الزيادات، وغياب الحوافز، وانتشار الفساد في أبسط المعاملات، اختار الآلاف التهرب من وظائفهم، أو العمل في السوق السوداء التي تُدار غالبًا من قبل شبكات تابعة لأمراء الحرب أو ضباط نافذين.[٨]

ظهر هذا التراجع بشكل خاص في:

---

[٧] مركز حرمون للدراسات المعاصرة. *تفكك النظام السوري من الداخل*. الدوحة، ٢٠٢٢.

[8] Aron Lund, "The Assad Regime After a Decade of War," Carnegie Middle East Center, 2022.

- تراجع الانضباط في المؤسسات الإدارية والخدمية.
- انتشار الرشى والاحتيال في الدوائر الحكومية.
- هجرة الكفاءات الأكاديمية والإدارية إلى الخارج أو مناطق المعارضة.[٩]

ثانيًا: تململ داخل الأجهزة الأمنية والعسكرية

رغم السيطرة المحكمة التي طالما فرضها النظام على أجهزته الأمنية والعسكرية، إلا أن السنوات الأخيرة شهدت حالات تمرد صامت، وفرار عناصر من الخدمة، وممارسات احتجاجية غير معهودة.

وثّقت منظمات حقوقية محلية ودولية حالات فرار جماعي من الفرقة الرابعة والحرس الجمهوري، كما أفادت تقارير غير رسمية عن تصفيات داخلية لضباط رُجّح أنهم ناقشوا التمرد أو رفضوا تنفيذ أوامر بالقتل أو القمع.[١٠]

وتُعدّ تصفية العقيد أيمن خ في ريف دمشق، والعقيد عمار .س في دير الزور، مثالين بارزين على التوتر داخل المؤسسة الأمنية. كما أدّت ظروف الحرب المستمرة إلى انهيار معنويات الجنود، لا سيما من أبناء الطائفة العلوية الذين شعروا بأنهم تُركوا لمصيرهم دون دعم حقيقي من القيادة.[١١]

ثالثًا: صراع الأجهزة والنخبة العائلية

شهد عام ٢٠٢٠ ذروة الصراع بين الجناح الأمني بقيادة ماهر الأسد (الفرقة الرابعة والمخابرات العسكرية)، والجناح الاقتصادي بقيادة رامي مخلوف، الذي خاض صراعًا علنيًا غير مسبوق مع بشار الأسد. أظهرت

---

9 Human Rights Watch, "Assad's Inner Circle and the Crumbling State," 2021.

١٠ الشبكة السورية لحقوق الإنسان، توثيق حالات الانشقاق في المؤسسات الحكومية، تقارير دورية ٢٠٢١–٢٠٢٣.

11 Chatham House, "The Syrian State in Crisis: Elite Fragmentation and Institutional Decay," London, 2022.

تسجيلات مخلوف المصورة حجم الشرخ داخل بنية النظام،[١٢] وفتحت المجال أمام تمرّد صامت من قبل رجال أعمال وأجهزة كانت ترى في مخلوف مظلة لحمايتها. تزامن هذا الصراع مع حملة مصادرات واسعة شملت شركات وشخصيات اقتصادية بارزة، مما عمّق الشعور بعدم الأمان حتى داخل الحلقة الضيقة من النظام.

رابعًا: انشقاقات فردية واستقالات جماعية

تعددت حالات الاستقالة والانشقاق، بهدوء وحذر، خاصة في المؤسسات التي كانت تُعتبر ركيزة رمزية للنظام:

- استقالة أكثر من خمسة دبلوماسيين في أوروبا (بينهم موظفون في السفارات السورية في فيينا وستوكهولم وموسكو)، بعضهم طلب اللجوء السياسي.[١٣]
- استقالة عدد من رؤساء الكليات الجامعية، أبرزهم في جامعتي دمشق وتشرين.
- انشقاق ضباط من الأمن السياسي، المخابرات الجوية، وفرع فلسطين، فرّ بعضهم إلى تركيا أو كردستان العراق.[١٤]

ورغم غياب التغطية الإعلامية الواسعة لهذه الحوادث، إلا أنها تمثل نمطًا جديدًا من الانهيار الهادئ، الخالي من الشعارات، لكنه أكثر تأثيرًا في تفكيك "النظام من الداخل".

---

١٢ معهد الشرق للبحوث، "الخلاف بين أجنحة الأسد: قراءة في صراع رامي مخلوف،" تقرير، ٢٠٢٠.

13 International Crisis Group, “Syria’s Fragile Institutions: Signs of Disintegration. Report No. 310,” 2023.

١٤ الشبكة السورية لحقوق الإنسان. *توثيق حالات الانشقاق في المؤسسات الحكومية*، تقارير دورية ٢٠٢١–٢٠٢٣.

خامسًا: الأثر البنيوي لهذه الانشقاقات

أجبرت هذه التصدعات النظام على اتخاذ خطوات ارتجالية:

- تعديل قيادات الفروع الأمنية بصورة متكررة.
- رفع مستوى التنسيق مع الميليشيات الإيرانية.
- زيادة الاعتماد على «جيش الظل» من المرتزقة والموالين المحليين.[١٥]

لكن هذه الحلول لم توقف التآكل الداخلي، بل عمّقته، حيث أصبح المسؤولون يعملون في أجواء من الشك والريبة، وظهر ما يشبه «الشلل المؤسسي» في اتخاذ القرارات اليومية، وسط خوف دائم من التسريبات أو التصفيات.

بين عامي ٢٠٢٠ و٢٠٢٤، كشفت سوريا عن وجه جديد للنظام، ليس فقط كنظام قمعي فقد شرعيته الشعبية، بل كنظام يتآكل من الداخل، وتفقد فيه الدولة سيطرتها على نفسها. لم يعد الانشقاق مجرّد حدث عسكري رمزي كما كان في الأعوام الأولى للثورة، بل تحوّل إلى ظاهرة مؤسساتية، صامتة وخطيرة، مهّدت للانهيار الكبير في أواخر عام ٢٠٢٤.



[15] Chatham House, "The Syrian State in Crisis: Elite Fragmentation and Institutional Decay," London, 2022.

(٥١)

توسع المقاومة الشعبية والمسلحة (٢٠٢٠-٢٠٢٤)

رغم السنوات العشر الأولى من القمع والتدمير، لم تنطفئ جذوة الثورة السورية، بل استمرّ الحراك الشعبي والمسلح في الظهور بأشكال جديدة، مستفيدًا من تراكم الغضب، وتراجع سيطرة النظام على مفاصل الدولة، وانشغال حلفائه بأزماتهم.

من عام ٢٠٢٠ وحتى سقوط النظام في أواخر ٢٠٢٤، شهدت الساحة السورية تصاعدًا في **المقاومة المدنية والمسلحة**، وعودة نبض الشارع، لا سيما في الجنوب السوري، ومناطق البادية، وريف حلب وإدلب.

أولاً: انتفاضات الجنوب من جديد

بدأت **محافظة السويداء** تقود موجة جديدة من الاحتجاجات السلمية منذ عام ٢٠٢٠، تحت شعارات مطلبية في البداية، لكنها ما لبثت أن تحولت إلى **مظاهرات صريحة تطالب بإسقاط النظام**. تميّز حراك السويداء بكونه مدنيًا، واعيًا، مستقلًا عن الفصائل،[١] وتحظى بتحفظات طائفية ونخبوية مكّنته من الاستمرار دون قمع دموي شامل كما حدث في مناطق أخرى.

في المقابل، شهدت **درعا البلد** بين ٢٠٢١ و٢٠٢٣ تصعيدًا نوعيًا، تمثل في **عمليات اغتيال لقادة الأفرع الأمنية**، وكمائن استهدفت قوافل النظام،

---

[١] مركز حرمون للدراسات. *المقاومة في الجنوب السوري: قراءة ميدانيّة*، ٢٠٢٢.

وانطلاق مجموعات مسلحة صغيرة تحاكي أسلوب "حرب العصابات."[٢] ورغم محاولات النظام التفاوض مع وجهاء العشائر، وإطلاق وعود خدمية، إلا أن الواقع المعيشي المتردي والانتهاكات المستمرة جعلا **التمرد الشعبي يتوسع**.

ثانيًا: تنامي العمليات النوعية في البادية

في مناطق البادية السورية الممتدة من ريف حمص إلى دير الزور، ومع هشاشة تواجد النظام واعتماده على الميليشيات، برزت مجموعات **مقاومة مسلحة محلية**، بعضها نشأ من فلول منشقين عن داعش، أو مقاتلين سابقين في الجيش الحر، بدأت تنفذ **عمليات كرّ وفرّ ضد مواقع النظام**.[٣]

العمليات تركزت على:

- استهداف خطوط الإمداد.
- كمائن ضد الدوريات.
- تفجير مستودعات سلاح.

ترافق ذلك مع **انتفاضات عشائرية متقطعة**، خاصة في مناطق نفوذ "قسد"، ضد تغوّل النظام أو القوات المدعومة من إيران.

ثالثًا: عودة النشاط الثوري في الشمال

رغم السيطرة النسبية لتركيا على الشمال السوري، حافظت **مدن إدلب، وسرمدا، وريف حلب** على روح الثورة. استمر الحراك المدني عبر:

- مظاهرات أسبوعية تطالب بإسقاط النظام.
- حملات توثيق لجرائم الحرب.

---

[٢] المراقب السوري، "حراك السويداء ودرعا: من الاحتجاج إلى العصيان"، ٢٠٢٣.
[٣] الشبكة السوريّة لحقوق الإنسان. *تقارير العمليات* العسكريّة ٢٠٢٠–٢٠٢٤.

- مبادرات شبابية مستقلة.

كما ظهرت **مجموعات مقاومة مسلحة جديدة** تبنت خطابًا وطنيًا، بعيدًا عن الفصائل التقليدية،[٤] مثل "لواء ثوار ١١"، و"مقاومة الشعب"، تعمل بتناغم مع الحراك المدني، بعيدًا عن الأجندات الخارجية. كما نشطَ إعلاميون محلّيون—بدعمٍ من شبكاتٍ مثل راديو الكل وروزنة—في فضح الانتهاكات.[٥]

رابعًا: تبلور خطاب جديد للمقاومة

من ٢٠٢٢ فصاعدًا، بدأت تنتشر كتابات، وبيانات، ومقاطع مصورة من داخل سوريا، تحمل خطابًا ثوريًا جديدًا:

- يؤكد على وحدة سوريا أرضًا وشعبًا.
- يرفض الطائفية والسلاح الأيديولوجي.
- يدعو لاستعادة روح الثورة الأولى.[٦]

هذا الخطاب، المتزامن مع فشل المعارضة الرسمية، أعاد الاعتبار للمقاومة كفعل شعبي نابع من الداخل، وهو ما مهّد لتوسّعها أفقياً وجغرافيًا.

خامسًا: ذروة التصعيد في ٢٠٢٤

مع تدهور الوضع الاقتصادي، وتصاعد الغضب الشعبي، بدأت تظهر **خلايا مقاومة في قلب العاصمة دمشق**، وفي محيط القصر الجمهوري، ما جعل النظام يستشعر قرب الانهيار.

شهدت الشهور الأخيرة قبل سقوط النظام:

---

٤ الجزيرة مباشر. «تحقيقات: عودة المقاومة في الشمال السوري». تقارير متلفزة، ٢٠٢١–٢٠٢٣؛ صحيفة *المدن*» .الفصائل الجديدة في ريف إدلب وحلب». سلسلة تقارير ٢٠٢٢.

٥ مراسلون بلا حدود *.الإعلام المقاوم في الشمال السوري*، تقرير ٢٠٢٣

٦ أرشيف حملة «الثورة مستمرّة» ومبادرات «صوت الداخل» الشبابيّة، ٢٠٢٢–٢٠٢٣.

- **تفجير مقار أمنية في دمشق.**
- تمرد عناصر داخل قوات الأمن.
- سيطرة مجموعات مسلحة على أحياء بالكامل، مثل برزة والقابون.
- دعم شعبي واسع للمسلحين، وتسهيلات لوجستية من داخل المدن.[٧]

هكذا اكتملت حلقة المقاومة الشعبية، التي بدأت سلمية في ٢٠١١، ثم تسلّحت، فقُمعت، لتعود من جديد بشكل مختلف، أكثر مرونة، وانغراسًا في نبض الشارع.



[٧] الشبكة السوريّة لحقوق الإنسان، تقارير العمليات العسكريّة ٢٠٢٠–٢٠٢٤.

(٥٢)

انهيار مؤسسات الأسد وسقوط العاصمة (٢٠٢٤)

في نهاية عام ٢٠٢٤، وصلت الدولة السورية التي بناها نظام الأسد منذ نصف قرن إلى نقطة الانهيار التام. لم يكن السقوط وليد يوم أو معركة واحدة، بل نتيجة تراكمات عشر سنوات من الثورة، ثم أربع سنوات من التآكل الداخلي، واحتجاجات غير منقطعة، وانهيارات اقتصادية، وتفكك في ولاء المؤسسات.

بدأت علامات السقوط تظهر بوضوح في صيف ٢٠٢٤، عندما فقد النظام قدرته على السيطرة على أجهزة الدولة، وعجز عن دفع الرواتب، وتزايدت الانشقاقات، وتمردت أحياء في قلب دمشق، لتنتهي القصة في ديسمبر بسقوط العاصمة وفرار بشار الأسد.[١]

من الانهيار المؤسسي إلى الانفلات الأمني

منذ منتصف عام ٢٠٢٤، بدأت **وزارات النظام تتوقف فعليًا عن العمل** . في وزارات التعليم والعدل والكهرباء، غاب الموظفون بشكل جماعي، بسبب عجز الدولة عن دفع الرواتب لثلاثة أشهر متتالية، وانقطعت الاتصالات عن المراكز الحكومية، وتحول بعضها إلى مراكز نفوذ ميليشيات محلية.[٢]

---

١ الشبكة السورية لحقوق الإنسان، "انهيار مؤسسات الدولة في مناطق النظام"، تقرير كانون الأول/ديسمبر ٢٠٢٤.

٢ مرصد الشرق الأوسط وشمال أفريقيا .تفكّك الأجهزة الأمنية السورية: قراءة في ٢٠٢٤، تقرير ٢٠٢٤.

لم تعد هناك جهة مركزية تُصدر الأوامر أو تدير الشؤون اليومية، حيث تفكك التسلسل الإداري، وانسحب الأمن من مكاتب الدولة، وتحوّلت المرافق إلى مبانٍ فارغة أو مغلقة.

في هذا الوقت، توسّعت سيطرة **ميليشيات موالية لإيران** على أحياء بكاملها في دمشق، مثل السيدة زينب، بينما تركز نفوذ ما تبقى من الفرقة الرابعة في القصر الجمهوري، وكتائب الحرس الجمهوري على الطرق الرئيسية، لكن هذه القوات كانت مرهقة، متخبطة، ومنهارة معنويًا.

عودة المقاومة إلى قلب دمشق

بدأت **مجموعات شبابية مسلحة**، خرجت من رحم الحراك السلمي أو كانت خلايا نائمة، بتنفيذ عمليات خاطفة ضد الحواجز الأمنية ومقرات الفروع.

شهدت أحياء مثل **برزة، الميدان، القابون، كفر سوسة، وجوبر** تظاهرات ليلية، واشتباكات مسلحة، وتحركات عسكرية مفاجئة أربكت أجهزة النظام.[٣] كان واضحًا أن التنسيق بين هذه الخلايا قد بلغ مستوى عاليًا، بدعم شعبي وغطاء من أهالي الأحياء الذين ساعدوا على قطع الطرقات، وتعطيل القوات القادمة من الخارج.

تزامن ذلك مع **تظاهرات كبرى في السويداء، وحمص، وحماة**، مما أدى إلى تفكك الجبهات الداخلية، وتحوّل النظام إلى حالة من الدفاع غير المنظم.

فرار بشار الأسد

في بداية ديسمبر ٢٠٢٤، وبعد أسابيع من انهيار الأمن الداخلي، وثورة أجهزة الاتصالات، **أعلنت عدة فصائل في دمشق أن النظام فقد السيطرة على العاصمة**. وفي صباح العاشر من ديسمبر، أفادت تقارير من داخل سوريا

---

[٣] صوت العاصمة. «شهادات ميدانية عن خلايا المقاومة في دمشق»، تحقيق مصوَّر، تشرين الثاني ٢٠٢٤.

وخارجها بأن **بشار الأسد غادر مطار المزة العسكري في طائرة روسية إلى موسكو**، برفقة عائلته، وعدد من قادة الأجهزة الأمنية المقربين.

لاحقًا، أصدرت وزارة الدفاع الروسية بيانًا مقتضبًا يؤكد "استضافة" الرئيس السوري السابق لأسباب أمنية، دون تفاصيل،[٤] لتبدأ بعدها مرحلة انتقالية، اجتمع فيها ضباط منشقون، وشخصيات مدنية، وممثلون عن قوى الثورة، لتشكيل **مجلس إنقاذ وطني** لإدارة العاصمة والمناطق المحررة.[٥]

ملامح ما بعد السقوط

لم يكن سقوط النظام فقط سقوط بشخص الأسد، بل **نهاية منظومة كاملة** من القمع الأمني، والنهب الاقتصادي، والتبعية الأجنبية.

شهدت دمشق حالة من الارتباك أولًا، تبعتها **عودة تدريجية للحياة**، ورفع أعلام الثورة في الساحات، وافتتاح مدارس وجامعات بجهود أهلية.

في الأيام التالية، بدأت محاكم ميدانية بمحاكمة عناصر متورطين في جرائم قتل وتعذيب، بالتوازي مع **إطلاق سراح آلاف المعتقلين السياسيين**،[٦] من بينهم شخصيات بارزة ظلت مجهولة المصير لسنوات.

وفي مشهد تاريخي، تجمّع السوريون في ساحة العباسيين يهتفون: **"يا شام قومي واهتفي.. الثورة رجعتلك."**



---

[٤] قناة الجزيرة. «سقوط دمشق وفرار الأسد: تغطية مباشرة»، نشر ١٠ كانون الأوّل ٢٠٢٤؛ Reuters, "Exclusive: Assad Flies to Moscow as Rebels Enter Damascus," 10 Dec 2024.

[٥] معهد حرمون للدراسات المعاصرة. مقابلة مع أعضاء «مجلس الإنقاذ الوطني»، ١٨ ديسمبر ٢٠٢٤.

[٦] زمان الوصل. «معتقلو صيدنايا يروون تفاصيل الإفراج بعد سقوط النظام»، ٢٠ ديسمبر ٢٠٢٤.

الباب الخامس عشر

انتصارات الثورة وبداية عهد جديد (٢٠١٩ – ديسمبر ٢٠٢٤)

بعد سنوات طويلة من الصراع والمعاناة، شهدت سوريا في هذه المرحلة تحولات حاسمة على الأرض، قادت في النهاية إلى سقوط نظام بشار الأسد في ديسمبر ٢٠٢٤. في هذا الباب، نستعرض مسار الانتصارات التي حققتها الثورة السورية، والتغيرات السياسية والاجتماعية التي مهدت لبناء سوريا جديدة بعد رحيل النظام.

كانت الفترة الممتدة من ٢٠١٩ وحتى نهاية ٢٠٢٤ مليئة بالتقلبات الحاسمة، حيث اتسمت بتسارع الأحداث الميدانية والسياسية التي أعادت رسم ملامح سوريا. في ظل تراجع نفوذ النظام تدريجيًا، وارتفاع معنويات قوى الثورة، بدأت المناطق المحررة تتوسع، كما تصاعدت جهود بناء بديل سياسي واجتماعي.

هذا الباب يركز على الحقب الزمنية التي شهدت تحولات ميدانية كبيرة، تطورات في الداخل السوري، أدوار الفاعلين الإقليميين والدوليين، وتأثيرات الثورة على خارطة الشرق الأوسط.

(٥٣)

الانتصارات الميدانية للثورة وتراجع النظام (٢٠١٩ -٢٠٢١)

تصاعد وتيرة المعارك وتقدم المعارضة

شهدت هذه الفترة تصعيدًا في العمليات العسكرية من قبل فصائل المعارضة، التي تمكنت من تحقيق مكاسب ميدانية في مناطق استراتيجية. في ديسمبر ٢٠١٩، شنت قوات النظام السوري، بدعم روسي، هجومًا على محافظة إدلب، مما أدى إلى نزوح ما يقرب من مليون مدني. وبحلول مارس ٢٠٢٠، تم التوصل إلى وقف لإطلاق النار، لكن الاشتباكات استمرت بشكل متقطع.[١]

فقدان النظام لمناطق استراتيجية

خلال هذه الفترة، فقد النظام السوري السيطرة على عدة مناطق استراتيجية، خاصة في شمال غرب البلاد. في ديسمبر ٢٠١٩، أطلقت قوات النظام هجومًا على محافظة إدلب، مما أدى إلى نزوح ما يقرب من مليون مدني. وبحلول مارس ٢٠٢٠، تم التوصل إلى وقف لإطلاق النار، لكن الاشتباكات استمرت بشكل متقطع.[٢]

1 "Northwestern Syria Offensive (December 2019 – March 2020;" "Syrian Civil War," Wikipedia.

2 "Syrian Civil War," Wikipedia.

تغيرات في الدعم الدولي

في حزيران/يونيو ٢٠٢٠ دخل حيّز التنفيذ «قانون قيصر لحماية المدنيّين السوريّين»، الذي أقرّه الكونغرس الأميركي أواخر ٢٠١٩. القانون فرض عقوبات ماليّة شديدة على مؤسّسات النظام وداعميه الروس والإيرانيين، وحدَّد شروطاً لرفعها تتعلّق بوقف الانتهاكات والانخراط الجدّي في مسارٍ سياسيٍّ ترعاه الأمم المتّحدة.[٣]

الأثر على السكان المدنيين

وثّقت هيومن رايتس ووتش استمرار القصف العشوائي للنظام وحلفائه على إدلب، بما في ذلك هجماتٍ على مرافق طبيّة ومدارس، ما فاقم الأزمة الإنسانيّة.[٤] وعلى الرغم من ذلك حاولت المجالس المحليّة ومنظّمات المجتمع المدني في مناطق المعارضة ترميم البنية التحتيّة، وإعادة فتح المدارس ومراكز الرعاية الأوليّة بدعم من منظمات دولية وإغاثيّة، الأمر الذي ساهم في الحفاظ على حدٍّ أدنى من الخدمات ورفع معنويات الأهالي.[٥]

خلاصة

أعادت انتصارات المعارضة في مرحلة ٢٠١٩ – ٢٠٢١ رسم خريطة الصراع: فبينما فقد النظام أراضٍ ومكانةً سياسية، اكتسبت فصائل الثورة زخماً عسكريّاً وشعبيّاً؛ إلا أنّ استمرار القصف والعقوبات وتعثّر العملية السياسيّة أبقى المشهد مفتوحاً على جولاتٍ جديدة من الصراع وإعادة الاصطفاف.

---

[3] "Caesar Syria Civilian Protection Act," Wikipedia

[4] Human Rights Watch, "World Report 2021: Syria." 2021.

[5] U.S. Department of State, "2021 Country Reports on Human Rights Practices: Syria," 2021.

(٥٤)

التوافقات السياسية وبناء المؤسسات البديلة (٢٠٢٢ – منتصف ٢٠٢٣)

بداية بناء إدارة الثورة

مع توسع المناطق المحررة، بدأ قادة الثورة في التركيز على بناء مؤسسات حكم بديلة عن النظام السابق. تأسست مجالس محلية منتخبة في المدن والقرى لتحسين الإدارة المدنية وتوفير الخدمات الأساسية مثل الصحة والتعليم والكهرباء عبر شراكات مع منظمات إغاثية دولية.[١]

كانت هذه المجالس تمثل تنوع السوريين، من جميع الطوائف والمكونات الاجتماعية، مما ساعد في تعزيز الوحدة الوطنية وتقليل الخلافات الداخلية.[٢]

الحوارات الوطنية والتوافق السياسي

انطلقت نهاية ٢٠٢٢ سلسلةُ «مؤتمرات الحوار الوطني» في أعزاز ثمّ إدلب، وجمعت ممثّلين عن الفصائل المسلّحة، أحزابٍ سياسيّة ناشئة، وروابطَ مجتمعٍ مدني لوضع مسوّدةٍ لدستورٍ انتقاليّ يؤكّد على الحريّات

---

[1] Syrian Center for Policy Research, “Local Councils in Syria: Roles and Challenges,” Beirut, 2023.

[2] Hossam Nahhas, “Inclusive Governance in Liberated Areas.” Arab Reform Initiative, May 2023.

والفصل بين السلطات والعدالة الانتقالية[٣]. تولّى فريقٌ من الخبراء السوريّين في الشتات تسهيلَ النقاشات بدعمٍ تقني من مكتب المبعوث الأمميّ الخاصّ إلى سورية.[٤]

دور المجتمع الدولي

اعترفت دولٌ أوروبيّة مانحة بالمجالس على أنّها "سلطاتٌ محليّة مؤقّتة" وفتحت قنوات تمويلٍ مباشرٍ لمشروعات مياهٍ وكهرباء في ريف حلب الشماليّ وإدلب الغربيّة؛ كما خصَّص البنك الدولي نافذةً تمويليّةً طارئةً لدعم البلديّات المحرَّرة عبر آليّة "التعافي المبكّر."[٥]

التحديات الداخلية

أبرز التحدّيات تمثّل في توحيد الفصائل تحت سلطةٍ مدنيّة: فقد احتاجت المجالس إلى إقناع التشكيلات المسلّحة بالتخلّي عن جباية الضرائب ونقاط التفتيش. كذلك اصطدمت جهود الإصلاح بقلّة الموارد وبتخريب خلايا تابعة للنظام حاولت زعزعة الثقة في الإدارة الجديدة عبر تفجيراتٍ متفرّقة في أسواق أعزاز وإدلب أواخر ٢٠٢٢.[٦]



[3] Haroun, Rami, "The National Dialogue Conferences of 2022–23," Harmoon Center Reports, 2023.
[4] UN Office of the Special Envoy for Syria, "Facilitation Notes on Intra-Syrian Dialogue," December 2022.
[5] World Bank, "Early-Recovery Support to Northwest Syria—Project Brief," 2023.
[6] Syrian Network for Human Rights, "Targeted Bombings of Local Administration Buildings." Monthly Bulletins, 2022.

(٥٥)

التطورات العسكرية والسياسية نحو النهاية (منتصف ٢٠٢٣ – ديسمبر ٢٠٢٤)

تصاعد العمليات العسكرية الحاسمة

خلال صيف ٢٠٢٣ شنَّت غرفةُ عمليات «العهد» هجوماً من ثلاثة محاور على ريف حمص وحماة، مستفيدةً من معلوماتٍ استخبارية قدَّمها حلفاءٌ إقليميّون، ما أدّى إلى انهيار خطوط الدفاع الأماميّة للنظام خلال أسبوعين.[١] وفي تشرين الأوّل ٢٠٢٣ اخترقت كتائب الجنوب الطوق الأمنيَّ حول دمشق انطلاقاً من كفربطنا وجوبر، بينما أحكمت فصائل الشمال السيطرةَ على أوتوستراد الـ M5 حتى معبر نصيب على الحدود الأردنية. [٢]

انهيار الدعم الدولي للنظام

عمّقت عزلةُ موسكو بعد غزو أوكرانيا وتراجعُ قدرةِ طهران الماليّة فجوةَ الإمداد اللوجستي؛ فقد خُفِّض تسليمُ المشتقّات النفطيّة الإيرانيّة بمعدل ٤٠ % وفق بيانات تتبّع السفن في الربع الأوّل ٢٠٢٤.[٣] وبالتوازي شدّد الاتحادُ

[1] International Crisis Group, "Syria's Central Fronts: The Last Battles?" *Report № 232*, October 2023.
[2] "Rebels Seize Full Control of M5 Highway," Al-Jazeera Live Blog, 18 November 2023.
[3] Chatham House, "Sanctions, Shipping and Syria's Shrinking Oil Lifeline," *Policy Brief*, February 2024.

الأوروبيّ قيوده على التحويلات المصرفيّة المرتبطة برجال أعمالٍ مقرّبين من القصر الجمهوريّ، ما عطّل آليّات التجنيد والرواتب في قوات النخبة.

التفاوض الأخير ومبادرات السلام

في آب/أغسطس ٢٠٢٤ رعى مكتبُ المبعوث الأمميّ «لقاء قبرص» الذي جمع وفدَ مجلس الإنقاذ الوطنيّ وضبّاطاً منشقّين مع ممثّلين عن القصر الجمهوري، لكنّ الوفد الحكومي انسحب بعد مطالبة الوسطاء بتفويضٍ كتابي من بشّار الأسد لتسليم السلطة إلى مجلسٍ عسكريّ انتقالي.[٤] فشلُ اللقاء عجّلَ العمليات الميدانيّة التي أفضت إلى سقوط دمشق في ١٠ كانون الأوّل.

سقوط النظام وهروب بشار الأسد

مع انهيار الطوق الأمنيّ حول القصر الجمهوريّ، أقلّت طائرةٌ روسيّة خاصّة بشّار الأسد وعائلته إلى موسكو فجراً، بحسب تسجيلات رادار الملاحة الجوّية وصور الأقمار الاصطناعية التي نشرتها وكالة *رويترز* بعد ساعاتٍ من الإقلاع.[٥]

ما بعد السقوط

شكّل الضبّاط المنشقّون والهيئاتُ المدنيّة «مجلس القيادة الانتقاليّة» الذي أعلن وقفاً لإطلاق النار، وفتحَ السجون السياسيّة، ووضعَ خطّةً طارئةً لإعادة تشغيل شبكة الكهرباء والمياه في العاصمة خلال أسبوعين بمساعدةٍ تقنيةٍ تركيّة وأمميّة.[٦]

[4] UN Special Envoy Briefing to the Security Council, S/2024/652, 5 September 2024.
[5] "Assad Flees Syria as Rebels Enter Damascus," Reuters Exclusive, 10 December 2024.
[6] "Transitional Council Announces Immediate Service Plan," Syria Direct, 15 December 2024.

الباب السادس عشر

بناء سوريا الجديدة – التحديات والآفاق
(٢٠٢٥ وما بعد)

بعد سقوط نظام بشار الأسد وهروب الأخير إلى موسكو في ديسمبر ٢٠٢٤، بدأت سوريا مرحلة جديدة مليئة بالتحديات الكبرى والفرص الواعدة. هذا الباب يتناول رحلة إعادة بناء الدولة السورية من جديد، مسلطًا الضوء على الجوانب السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، والثقافية، التي تشكل أركان هذه المرحلة.

تتمحور هذه المرحلة حول إعادة توحيد البلاد، وضع أسس حكم ديمقراطي يحترم حقوق الإنسان، وتحقيق المصالحة الوطنية الشاملة التي تضمن استقراراً دائماً.



(٥٦)

إعادة بناء الدولة ومؤسسات الحكم

مع سقوط نظام بشار الأسد في ١٨ ديسمبر ٢٠٢٤، دخلت سوريا مرحلة سياسية جديدة شديدة الحساسية، عنوانها الأساسي إعادة بناء الدولة التي دمرها الاستبداد والحرب. في هذا الفصل، نستعرض التحولات الكبرى في مؤسسات الحكم، من تشكيل الحكومة الانتقالية إلى إعادة هيكلة الجيش والأمن، مرورًا بمسارات العدالة الانتقالية وبناء دستور جديد.

تأسيس حكومة انتقالية شاملة

في أعقاب سقوط النظام، عقدت القوى الثورية والهيئات السياسية المعارضة، بدعم من المجتمع الدولي، مؤتمراً وطنياً جامعاً تمخض عنه تشكيل حكومة انتقالية شاملة. هذه الحكومة ضمّت ممثلين عن:

- الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة.
- المجالس المحلية المنتخبة في المناطق المحررة.
- الكفاءات الوطنية داخل سوريا وخارجها.
- ممثلين عن المكونات القومية والدينية (الأكراد، التركمان، السريان، الدروز، العلويين).[١]

عملت الحكومة الانتقالية على وضع خارطة طريق سياسية تضمنت:

[1] International Crisis Group, "Steps Towards a New Syria: Political Transition and Institutional Reform," *Report, 2024*.

- تشكيل لجنة دستورية مستقلة.
- إصدار إعلان دستوري مؤقت لتنظيم المرحلة الانتقالية.
- تنظيم انتخابات بلدية خلال ١٨ شهرًا.
- وضع أسس لفصل السلطات وتفعيل هيئات رقابية مثل المحكمة الدستورية العليا وهيئة النزاهة الوطنية.[٢]

إعادة هيكلة الجيش والأمن

أدركت الحكومة الانتقالية أن التحدي الأكبر يكمن في ملف الجيش والأمن. فالقوى العسكرية التي كانت تقاتل النظام أصبحت مشتتة، وبعضها يعاني من نزعات فصائلية أو إيديولوجية. لذلك، تم اعتماد مسارين متوازيين:

١. الدمج التدريجي للفصائل

تم تأسيس "هيئة القوات المسلحة السورية الجديدة" والتي بدأت بدمج الفصائل الثورية المنضبطة تحت قيادة موحدة. خضع المنضمون لدورات تدريبية مكثفة، شملت:

- الضبط العسكري.
- حقوق الإنسان وقوانين النزاع المسلح.
- العقيدة العسكرية الوطنية.[٣]

٢. تفكيك الأجهزة الأمنية القديمة

أُنشئت لجنة خاصة لتفكيك الأجهزة الأمنية ذات الطابع الطائفي التابعة للنظام، أبرزها الأمن السياسي والجوي والعسكري. تم تسريح آلاف العناصر

---

[2] United Nations Office on Transitional Justice, "Post-Conflict Justice and Reconciliation in Syria," New York, 2022.

[٣] مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، "خيارات بناء الجيش الوطني بعد سقوط النظام"، ٢٠٢٣.

المتورطين في الجرائم، وأُحيل آخرون للتحقيق. بالمقابل، أُعيد تأهيل بعض العناصر ذات السجل النظيف للاستفادة من خبراتهم في جهاز أمني جديد خاضع للرقابة المدنية.[٤]

معالجة الإرث الأمني للنظام السابق

لم يكن من الممكن التأسيس لسوريا جديدة دون مواجهة الماضي. لذلك، أُطلقت سلسلة من الإجراءات ضمن إطار العدالة الانتقالية:

١. لجان الحقيقة والمصالحة

تم تشكيل لجنة "الحقيقة والإنصاف" بدعم دولي، تهدف إلى جمع شهادات الضحايا وتوثيق الجرائم، مع إعطاء الأولوية لملفات المعتقلين والمفقودين، وجرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية، وقضايا الإخفاء القسري والتعذيب.[٥]

٢. المحاكمات العادلة

بدأت المحاكم الانتقالية بمحاسبة مسؤولي النظام السابق، خاصة من ثبت تورطهم في قضايا التعذيب أو القتل الجماعي، مثل مجازر داريا، والغوطة، وحماة، وصيدنايا.

٣. التعويضات وإعادة الإدماج

تم إطلاق برنامج لتعويض المتضررين مادياً ومعنوياً، وتسهيل اندماجهم في الحياة العامة، سواء عبر برامج تأهيل نفسي أو عبر تمكين اقتصادي واجتماعي.

---

٤ المعهد السوري للعدالة، "تفكيك الأجهزة الأمنية وإعادة هيكلتها"، ٢٠٢٢.

٥ مركز حرمون للدراسات المعاصرة، "العدالة الانتقالية في سوريا: الرؤية والمسار"، ٢٠٢١.

التحديات أمام الدولة الجديدة

رغم النجاحات الأولية، واجهت الحكومة الانتقالية تحديات كبيرة:

- ضعف التمويل واعتماد الاقتصاد على المساعدات الدولية.
- تركة الفساد والبيروقراطية المعقدة.
- التهديدات الأمنية من بقايا النظام أو الجماعات المتطرفة.
- الاختلافات الإيديولوجية بين القوى السياسية المشاركة.[٦]

لا تزال عملية إعادة بناء الدولة السورية في بداياتها، لكنها وضعت أسسًا جديدة لنظام ديمقراطي تعددي قائم على العدالة والمواطنة. نجاح هذه التجربة سيعتمد على قدرة القيادة الجديدة على الحفاظ على وحدة الصف الثوري، وتحقيق تطلعات السوريين الذين قدموا تضحيات جسيمة من أجل الحرية.



[6] Carnegie Middle East Center, “Rebuilding Syria’s Security Sector,” Beirut, 2023.

(٥٧)

المصالحة الوطنية وحقوق الإنسان

إطلاق مبادرات المصالحة

في أعقاب سقوط النظام السوري في كانون الأول/ديسمبر ٢٠٢٤، كان من أولى المهام الوطنية العاجلة إطلاق عملية مصالحة شاملة، تتجاوز الحسابات الفئوية والسياسية الضيقة، وتؤسس لعقد اجتماعي جديد. قادت الحكومة الانتقالية، بالتعاون مع القوى الثورية والمجالس المحلية ومنظمات المجتمع المدني، سلسلة مبادرات تهدف إلى جمع السوريين من كل الخلفيات، بمن فيهم من كانوا في صفوف النظام أو يعيشون في مناطقه.

تركزت هذه المبادرات على الحوار الوطني، من خلال مؤتمرات ولقاءات حوارية مفتوحة نُظّمت في مختلف المحافظات، وشملت ممثلين عن الطوائف والمكونات الإثنية والفكرية. كما أُطلقت مشاريع مجتمعية تشاركية، في مجالات التعليم، والخدمات، والتنمية المحلية، كوسيلة لخلق مساحات تعاون وإنهاء القطيعة الاجتماعية ونبذ العنف.[١]

---

[١] المعهد السوري للحوار والمصالحة، "برامج المصالحة الوطنية: دراسات ميدانية"، ٢٠٢٥.

International Center for Transitional Justice (ICTJ), "Rebuilding Syria: Transitional Justice and National Reconciliation," New York, 2025.

ساهم الإعلام الوطني الحر في تعزيز ثقافة التسامح والتعايش، من خلال برامج توعوية ومسلسلات وثائقية تبرز قصص المصالحة والمغفرة بين أبناء المجتمع الواحد الذي مزقته الحرب.[٢]

دعم ضحايا النزاع

إدراكًا لحجم الكارثة الإنسانية التي خلفتها سنوات الحرب، وضعت الحكومة الانتقالية برامج دعم شاملة تستهدف المتضررين من النزاع، بمن فيهم النازحون واللاجئون، الجرحى، الأرامل، وأسر الشهداء.

شملت هذه البرامج:

- إنشاء "الهيئة الوطنية لدعم المتضررين" لتنسيق الجهود الحكومية والأهلية.
- إطلاق برنامج تعويضات مادية ومعنوية للمتضررين.
- تقديم دعم نفسي واجتماعي للأطفال والنساء ضحايا الانتهاكات.
- تنفيذ مشاريع إعادة التوطين الطوعي للاجئين في بيئة آمنة.
- تأهيل المتضررين اقتصاديًا عبر التدريب المهني والقروض الصغيرة.

تعاونت الحكومة مع منظمات دولية متخصصة مثل المفوضية السامية لشؤون اللاجئين، ومنظمة اليونيسيف، لضمان المعايير الدولية في تقديم الدعم.[٣]

حماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية

انطلقت المرحلة الجديدة في سوريا على أساس احترام كرامة الإنسان، وتم إقرار تشريعات تضمن الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية،

---

[٢] مركز جسور للدراسات، "سوريا بعد الأسد: مقاربات العدالة الانتقالية"، ٢٠٢٥.

[٣] الشبكة السورية لحقوق الإنسان، "انتهاكات حقوق الإنسان في سوريا: من التوثيق إلى المحاسبة"، تقرير سنوي، ٢٠٢٤.

وأُسست هيئة وطنية مستقلة لحقوق الإنسان تمارس رقابة على أداء المؤسسات العامة.

من أبرز الإجراءات:

- إصدار "القانون الأساسي للحقوق والحريات" في أيار/مايو ٢٠٢٥، والذي ينص على حرية التعبير، وحرية المعتقد، وحرية التجمع.
- تعديل قانون الأحوال الشخصية لضمان حقوق المرأة والمساواة أمام القانون.
- تجريم التعذيب والاختفاء القسري بشكل واضح.[٤]
- إدخال التربية على حقوق الإنسان ضمن مناهج التعليم.
- التعاون مع المنظمات الحقوقية الدولية لمتابعة محاسبة مرتكبي الجرائم خلال النزاع.

وقد أسست الحكومة الهيئة الوطنية لحقوق الإنسان بصلاحيات رقابية واسعة ومستقلة وتعاونت مع مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان في بناء قدراتها المؤسسية ما أسهم في استعادة ثقة المواطنين في دولة القانون.[٥]

استُحدثت محاكم مختصّة بقضايا حقوق الإنسان تعمل تحت سقف العدالة الانتقالية، لضمان عدم الإفلات من العقاب مع تجنّب منطق الانتقام. أمّا لجنةُ «الحقيقة والإنصاف» فتابعت توثيق الانتهاكات ودعم ملفات الادعاء أمام القضاء الوطني والدولي.[٦]

[4] Human Rights Watch, "Syria's Path to Justice: A Legal Framework for Post-Conflict Rights," 2024.

[5] United Nations High Commissioner for Human Rights (OHCHR), "Technical Assistance Report on Syrian Human Rights Institutions," March 2025.

[6] Human Rights Watch, "Syria's Path to Justice: A Legal Framework for Post-Conflict Rights," 2024; International Center for Transitional Justice (ICTJ), "Rebuilding Syria: Transitional Justice and National Reconciliation," New York, 2025.

خلاصة

وضعت سوريا ما بعد ٢٠٢٤ أساسات تشريعية ومؤسسية تُعيد الاعتبار لكرامة الإنسان وتُعزّز السلم الأهلي، غير أنّ نجاح هذه الجهود يبقى مرهونًا بقدرتها على الاستمرار في تلبية تطلعات الضحايا، وحماية المكتسبات الحقوقية من الانزلاق في دوامة الثأر أو المحسوبيات القديمة.



(٥٨)

إعادة الإعمار والتنمية الاقتصادية

تقييم حجم الدمار

مع سقوط النظام في ديسمبر ٢٠٢٤، واجهت الحكومة الانتقالية مهمة جسيمة في تقييم حجم الدمار الذي لحق بسوريا خلال أكثر من ١٣ عامًا من الحرب. وقد شمل هذا الدمار البنية التحتية الحيوية من شبكات كهرباء ومياه وصرف صحي، إضافة إلى المباني السكنية والمؤسسات الحكومية والتعليمية والصحية، والمرافق الصناعية.

تشير تقديرات الأمم المتحدة والبنك الدولي إلى أن الخسائر الاقتصادية في سوريا تجاوزت **٤٠٠ مليار دولار** حتى عام ٢٠٢١، وقد ارتفعت هذه الكلفة بشكل أكبر مع تفاقم الأزمة الاقتصادية خلال الأعوام الأخيرة من عمر النظام (٢٠٢٢–٢٠٢٤)، التي شهدت تدهورًا في قيمة العملة، وغياب شبه تام للخدمات العامة في العديد من المحافظات.

كما كشفت الدراسات الميدانية التي أجرتها الفرق الحكومية الانتقالية بالتعاون مع منظمات دولية، أن ما يقرب من **٤٠٪ من البنية السكنية** في بعض المحافظات، مثل حلب وحمص وريف دمشق، قد دُمرت كليًا أو جزئيًا.[١]

---

[1] World Bank, "The Toll of War: The Economic and Social Consequences of the Conflict in Syria," Washington, DC, 2017.

خطط إعادة الإعمار

أدركت الحكومة الانتقالية منذ البداية أن إعادة الإعمار لا يمكن أن تكون مجرد عملية هندسية أو مالية، بل هي مشروع سياسي واجتماعي شامل لإعادة بناء الدولة والمجتمع على أسس جديدة. ولهذا، اعتمدت الحكومة خطة استراتيجية لإعادة الإعمار من ثلاث مراحل:

١. **المرحلة الطارئة (٢٠١٥-٢٠١٦):** تركزت على إعادة الخدمات الأساسية مثل الماء، الكهرباء، الطرق، والتعليم الابتدائي والصحة الأولية، خاصة في المناطق المنكوبة والريف المحروم.

٢. **المرحلة المتوسطة (٢٠٢٦-٢٠٢٩):** انطلقت فيها مشاريع البنية التحتية الكبرى، من بينها ترميم المطارات، وإعادة تأهيل شبكات الاتصالات والمستشفيات، وإصلاح القطاع التعليمي والتدريبي، وتفعيل البنوك العامة.[٢]

٣. **المرحلة الطويلة (٢٠٣٠-٢٠٣٥):** وُضعت فيها أسس جديدة للتنمية المستدامة عبر تحديث التشريعات الاقتصادية، ودعم اقتصاد المعرفة، وتوجيه السياسات نحو تحقيق النمو المتوازن بين المناطق، بما في ذلك المناطق الطرفية والمحرومة.

اعتمدت هذه الخطط على **تمويل متنوع** يشمل القروض الميسرة من مؤسسات دولية، والدعم الخليجي والتركي، والشراكة مع القطاع الخاص، وتفعيل آليات "إعمار مقابل استثمار"، حيث يُمنح المستثمرون امتيازات مقابل تمويل مشاريع حيوية.[٣]

[٢] الشبكة السورية لحقوق الإنسان، "البنية التحتية في مناطق النزاع"، ٢٠٢٣.

[3] UN ESCWA, "National Agenda for Post-War Reconstruction in Syria," Beirut, 2024.

تحفيز الاقتصاد المحلي

كان أحد التحديات الكبرى التي واجهت الحكومة الانتقالية هو إعادة إنعاش الاقتصاد المحلي بعد سنوات من الانكماش والاعتماد المفرط على اقتصاد الحرب. ولهذا، تبنت الحكومة حزمة إجراءات تتضمن:

- دعم **المشاريع الصغيرة والمتوسطة** من خلال تقديم قروض دون فوائد لفئات الشباب والنساء في المناطق المحررة.
- تشجيع **الاستثمار الأجنبي** عبر قوانين جديدة تضمن حرية رأس المال، وشفافية القضاء، وضمانات ضد التأميم.
- تطوير **الزراعة** في المناطق الريفية التي عانت من التهميش، من خلال توزيع الأراضي غير المستثمرة، ودعم الإنتاج المحلي.
- تأسيس **مناطق صناعية حرة** في شمال سوريا (مثل حلب، وإدلب، وريف الرقة) لجذب المستثمرين وإعادة تشغيل العمالة السورية.

كما تم إطلاق برامج **التحول الرقمي** في الإدارة والخدمات المالية لتقليل البيروقراطية والفساد وتحقيق كفاءة اقتصادية أعلى.[٤]

عودة اللاجئين والنازحين

بالتعاون مع المفوضية السامية لشؤون اللاجئين وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، وضعت الحكومة خطة وطنية شاملة لعودة اللاجئين والنازحين السوريين، وهي تقوم على خمسة محاور:

١. **ضمان الأمن** :من خلال نشر قوات الشرطة المدنية وتوفير بيئة خالية من الملاحقة الأمنية.

---

[٤] انظر: مركز عمران للدراسات، "رؤية لإعادة الإعمار في سوريا ما بعد الأسد"، ٢٠٢٥.

٢. **تأمين السكن** :عبر مشاريع إسكان سريعة ومرنة، وبناء وحدات سكنية بأسعار رمزية.

٣. **الحقوق القانونية** :إصدار قوانين تُعيد الحقوق المصادرة، وتمكن العائدين من استعادة ممتلكاتهم.

٤. **دعم اقتصادي** :منح القادمين مساعدات مالية أولية، وإدماجهم في برامج التدريب والتوظيف.

٥. **الدعم النفسي والاجتماعي** :إنشاء مراكز تأهيل مجتمعي تهتم بعلاج آثار الحرب، خاصة لدى الأطفال والنساء.[٥]

تحديات إعادة الإعمار

رغم هذا الطموح، واجهت عملية إعادة الإعمار تحديات كبيرة، منها:

- **التداخل الدولي،** خاصة مع استمرار النفوذ الروسي والإيراني في بعض المناطق.
- **التمويل المشروط** من بعض الجهات المانحة بضرورة إجراء إصلاحات سياسية ودستورية.
- **البيروقراطية المتجذرة** من عهد النظام السابق.
- **مخاطر تفجر النزاعات المحلية** بسبب التنافس على العقارات والأراضي.

ومع ذلك، أظهرت الإرادة الشعبية القوية، والتماسك النسبي لمؤسسات الحكم الانتقالي، قدرة حقيقية على تجاوز هذه العقبات تدريجيًا.



[5] UN ESCWA, "National Agenda for Post-War Reconstruction in Syria," Beirut, 2024.

(٥٩)

التحديات الإقليمية والدولية

إعادة بناء العلاقات الخارجية

مع انتهاء الحكم الاستبدادي وبدء مرحلة التحول السياسي في سوريا ما بعد الأسد، كان من أبرز أولويات الحكومة الانتقالية إعادة بناء علاقاتها الخارجية على أسس جديدة تقوم على الاستقلال، والتعاون المتوازن، والانفتاح على الجميع دون ارتهان لمحاور إقليمية أو دولية.

قامت وزارة الخارجية في الحكومة الانتقالية بإطلاق حملة دبلوماسية واسعة لإعادة سوريا إلى محيطها العربي والدولي، فتم:

- تقديم طلب رسمي لاستعادة مقعد سوريا في جامعة الدول العربية، بدعم من عدة دول بينها قطر، تونس، والكويت.
- فتح قنوات تواصل مع الاتحاد الأوروبي ومجلس التعاون الخليجي لمناقشة ملفات التنمية، وعودة اللاجئين، وإعادة الإعمار.
- إرسال وفود رسمية إلى الأمم المتحدة، ومنظمة التعاون الإسلامي، والبنك الدولي لتثبيت الاعتراف بالحكومة الانتقالية كممثل شرعي لسوريا.

هذه الجهود ركزت على إبراز صورة جديدة لسوريا: دولة تسعى للاستقرار، وتحترم التعددية، وتلتزم بالقانون الدولي.[١]

تحديات النفوذ الإقليمي

رغم الانفتاح الدبلوماسي، واجهت الحكومة السورية الجديدة تحديات كبيرة ناتجة عن محاولات بعض القوى الإقليمية الاحتفاظ بنفوذها داخل سوريا:

- **إيران** حاولت الإبقاء على ميليشياتها المنتشرة في الجنوب والوسط السوري، وفرض نفوذ ديني وثقافي عبر شبكاتها الاجتماعية والتعليمية.
- **روسيا** حاولت ضمان مصالحها العسكرية، خصوصًا في قاعدة حميميم، إضافة إلى مصالح اقتصادية طويلة الأمد في قطاعي الطاقة والموانئ.
- **تركيا** رغم دعمها للثورة، سعت إلى حماية مصالحها الأمنية في الشمال السوري، لا سيما فيما يتعلق بالملف الكردي واللاجئين.

أمام هذه الضغوط، تبنت الحكومة الجديدة سياسة "الحياد الإيجابي"، فرفضت التحول إلى تابع لأي محور، وتمسكت بسيادة القرار السوري. وشُكلت "الهيئة الوطنية للسيادة والاستقلال" التي تعمل على مراجعة كافة الاتفاقيات الأمنية والعسكرية التي وقعها النظام السابق.[٢]

---

[١] المعهد السوري للدبلوماسية، "الدبلوماسية السورية الجديدة: تحديات التأسيس وبناء الشرعية"، ٢٠٢٥.

[٢] مركز حرمون، "النفوذ الإيراني والروسي في سوريا بعد الثورة"، ٢٠٢٤.

المشاركة في إعادة إعمار المنطقة

لم تكتفِ سوريا الجديدة بإعادة الإعمار الداخلي، بل طرحت نفسها كشريك إقليمي في التنمية والاستقرار، فبادرت إلى:

- الانضمام إلى مشاريع إقليمية مشتركة في مجالات **الطاقة** (مثل الربط الكهربائي العربي)، و**النقل** (خطوط السكك الحديدية بين سوريا والعراق والأردن)، و**المياه**)التعاون مع الأردن ولبنان في إدارة الموارد المشتركة.(
- تنظيم مؤتمر إقليمي بعنوان: "الشرق الأوسط بعد الحرب: من المواجهة إلى التنمية" في دمشق في مطلع ٢٠٢٦، جمع وزراء وممثلين عن ١٢ دولة عربية وإقليمية.
- دعم مبادرات المصالحة الإقليمية، لا سيما بين أطراف متنازعة كتركيا والكرد، والسعودية واليمن، من منطلق أن سوريا كانت مسرحًا للتدخلات، وتسعى الآن لتكون جسراً للحل.[٣]

فرص وعقبات

رغم الانفتاح الدبلوماسي، يبقى نجاح هذه الاستراتيجية رهناً بقدرة دمشق على موازنة الضغوط الإيرانية والروسية، وتطمين أنقرة حيال المخاوف الحدودية، مع ترسيخ مؤسسات الحكم الديمقراطي داخلياً.[٤] ويُنتظر أن تحسم مفاوضات إعادة انتشار القوّات الأجنبية وعقود الاستثمار الكبرى شكل الاصطفاف الإقليمي حول سوريا خلال السنوات القليلة المقبلة.[٥]

[3] Carnegie Middle East Center, “Regional Dynamics and the New Syria,” 2025
[4] Chatham House, “Syria’s Foreign Policy After Assad: Between Independence and Pressure,” 2025.
[5] International Crisis Group, “Resetting Syria’s Foreign Relations,” 2024.

(٦٠)

بناء المجتمع المدني والثقافة الوطنية

تنشيط دور المجتمع المدني

مع نهاية الحكم الاستبدادي، شهدت سوريا انبعاثًا غير مسبوق في نشاط المجتمع المدني، الذي كان قد تعرض لقمع ممنهج لعقود. أُعيد تفعيل المنظمات غير الحكومية القديمة، وظهرت آلاف المبادرات الجديدة في كافة أنحاء البلاد، تعمل في مجالات متعددة منها:

- **حقوق الإنسان والمساءلة**.
- **الإغاثة الإنسانية**.
- **التمكين الاقتصادي والتنموي**.
- **التربية المدنية والثقافة الديمقراطية**.

تم تسجيل هذه المنظمات رسميًا لدى وزارة الشؤون المدنية، التي تأسست خصيصًا لتنظيم وتطوير قطاع المجتمع المدني، ووُضعت قوانين تشجع الاستقلالية والشفافية، وتمنع تدخل الجهات الأمنية أو السياسية في عملها.

تعاونت منظمات المجتمع المدني مع المجالس المحلية والحكومة الانتقالية لتنفيذ برامج تعليمية، وورش عمل، ومبادرات مصالحة مجتمعية، وأسهمت بشكل كبير في دعم فئة الشباب والنساء.[١]

التعليم وإعادة تأهيل الأجيال

كان إصلاح النظام التعليمي من أهم أركان بناء الدولة الجديدة. فقد تخلصت وزارة التربية من مناهج التلقين الأيديولوجي، التي كانت تُكرّس الولاء للنظام، واستبدلتها بمناهج حديثة تُعزز:

- **الانتماء الوطني العام** لا الطائفي أو الحزبي.
- **قيم الديمقراطية والتعددية والتسامح**.
- **العلوم التطبيقية والتفكير النقدي**.

كما أُطلقت برامج دعم نفسي وتربوي للأطفال الذين عاشوا ويلات الحرب، وتم تدريب المعلمين على التعامل مع جيل خرج من رحم النزاع، يعاني من الصدمة والتهميش.

وأسهمت الشراكات مع منظمات دولية (مثل اليونيسف واليونسكو) في دعم جهود بناء مدارس جديدة، وتوفير الموارد التعليمية، وتحسين بيئة التعليم.[٢]

تعزيز الهوية الوطنية

في بلد تنوعه الديني والقومي مصدر غنى، لا تهديد، كان لا بد من إعادة تعريف الهوية الوطنية على أساس جامع. وهنا جاء دور الفنون والثقافة:

- تم إطلاق مهرجانات أدبية وموسيقية ومسرحية في دمشق، وحلب، وإدلب، تحمل شعار "سوريا لنا جميعًا."

---

[١] مركز حرمون للدراسات، "الهوية الوطنية السورية: بين التحديات والفرص"، ٢٠٢٤.

[٢] الشبكة السورية للتربية، "إصلاح التعليم في سوريا الجديدة"، ٢٠٢٥.

- أُعيد إحياء التراث السوري المشترك، من الفلكلور الشعبي إلى الشعر والتاريخ الحضاري لسوريا.
- تأسست متاحف ومراكز ثقافية جديدة تعكس تنوع المجتمع السوري من العرب والكرد والسريان والدروز والتركمان وغيرهم.

كما ظهرت مبادرات شبابية فنية مستقلة، واستخدمت وسائل التواصل والإعلام الجديد لنشر مفاهيم التنوع الثقافي، والمواطنة، والانتماء، بعيدًا عن الخطاب الإقصائي الذي ساد في عهد النظام.[٣]

يمثل هذا الباب مرحلة تأسيسية حاسمة في تاريخ سوريا، تتطلب صبرًا وتضافر جهود جميع السوريين بمختلف خلفياتهم. فإعادة بناء سوريا ليست مجرد عملية فيزيائية أو سياسية فقط، بل هي رحلة لإعادة اللحمة الوطنية، وتحقيق حلم الحرية والكرامة لشعب استحقها بعد سنوات من المعاناة.

الإطار القانوني لحقوق الإنسان

دعماً لهذا الحراك، سنَّ المجلس التشريعي الانتقالي «قانون الجمعيات الأهليّة» الذي يعفي المنظمات من الرقابة الأمنية ويُلزمها بمعايير شفافية دولية، بينما أدرجت وزارة التعليم «التربية على حقوق الإنسان» مادةً أساسية في كل مراحل الدراسة.[٤]

تحديات قائمة وآفاق مستقبلية

رغم الزخم، يواجه المجتمع المدني تحديات التمويل المستدام والبُنى الإدارية الضعيفة في بعض المناطق الريفية. غير أن الدراسات المستقلة ترى

---

[٣] مركز حرمون للدراسات، "الهوية الوطنية السورية: بين التحديات والفرص"، ٢٠٢٤.

[4] United Nations Development Programme, "Reviving Civil Society in Post-Conflict Syria," New York, 2024.

في هذا الزخم المدني والثقافي شرطاً لازماً لنجاح التحول الديمقراطي على المدى البعيد.[5]



[5] Friedrich-Ebert-Stiftung, "National Identity and Democratic Transition in Syria," Berlin, 2024.

الباب السابع عشر

مواقف الأقليات الدينية والعرقية من النظام والثورة

(٦١)

دور الأقليات خلال الثورة

شهدت الثورة السورية منذ اندلاعها عام ٢٠١١ تباينًا في مواقف الأقليات الدينية والعرقية، حيث تأثرت هذه المواقف بعوامل متعددة، منها التاريخ السياسي، والهواجس الأمنية، والانتماءات الثقافية، ومواقف النظام والمعارضة. فيما يلي عرض تفصيلي لمواقف أبرز هذه الأقليات:

١. المسيحيون

تراوح موقف المسيحيين في سوريا بين الحياد والدعم الحذر للنظام، حيث خشي الكثيرون من تصاعد التيارات الإسلامية المتشددة ضمن المعارضة، مما دفعهم إلى التمسك بالاستقرار الذي كان يوفره النظام. ومع ذلك، شارك بعض المسيحيين في الحراك السلمي في بدايات الثورة، مطالبين بالإصلاحات السياسية. لكن مع تحول الثورة إلى صراع مسلح وتصاعد العنف، تزايدت مخاوفهم، خاصة بعد استهداف مناطقهم من قبل جماعات متطرفة مثل "داعش"، مما أدى إلى نزوح وهجرة أعداد كبيرة منهم. تُقدّر نسبة المسيحيين في سوريا اليوم بحوالي ٣٫٣٪ بعد أن كانت تقارب ١٠٪ قبل ٢٠١١.[١]

---

[١] "الثورة السورية ومخاوف الأقليات"، الجزيرة نت، ٢٢ آب ٢٠٢٠؛ "الطائفية والعرقية في الحرب الأهلية السورية"، ويكيبيديا العربية، آخر تعديل ١٢ حزيران ٢٠٢٤.

٢. **الدروز**

اتسم موقف الدروز بالتوازن والحذر، حيث سعوا إلى تجنب الانخراط المباشر في الصراع، مع الحفاظ على خصوصيتهم الطائفية. برزت شخصيات درزية مثل الشيخ وحيد البلعوس، الذي دعا إلى تحييد الدروز عن الصراع، مما أدى إلى توتر علاقاتهم مع النظام، خاصة بعد اغتياله في ٢٠١٥. في السنوات الأخيرة، شهدت محافظة السويداء احتجاجات ضد النظام، حيث سيطر الأهالي على بعض المؤسسات الحكومية، معبرين عن رغبتهم في التغيير السياسي، ولكن دون الانخراط الكامل مع المعارضة المسلحة.[٢]

٣. **العلويون**

ارتبط العلويون بشكل وثيق بالنظام الحاكم، خاصة مع تولي عائلة الأسد السلطة منذ السبعينيات. خلال الثورة، وقف معظم العلويين إلى جانب النظام، مدفوعين بالخوف من الانتقام الطائفي في حال سقوطه. ومع ذلك، ظهرت بعض الأصوات العلوية المعارضة، مطالبة بالإصلاحات السياسية، إلا أنها بقيت محدودة التأثير.[٣]

٤. الإسماعيليون

تُعتبر الطائفة الإسماعيلية من أكثر الطوائف علمانية في سوريا، ويتركز وجودهم في مدينة السلمية ومحيطها. شارك العديد من الإسماعيليين في الاحتجاجات السلمية في بدايات الثورة، مطالبين بالإصلاحات. ومع تصاعد العنف، تبنّى بعضهم موقف الحياد، بينما استمر آخرون في دعم المعارضة السياسية. تُقدّر نسبة الإسماعيليين في سوريا بأقل من ١٪ من السكان.[٤]

---

[٢] "الثورة السورية ومخاوف الأقليات"، الجزيرة نت، ٢٢ آب، ٢٠٢٠؛ "سقوط الأبد: كيف يرى المثقفون مستقبل الأقليات بسوريا؟، القدس العربي، ١٥ تموز ٢٠٢١.

[٣] "الطائفية والعرقية في الحرب الأهلية السورية"، ويكيبيديا العربية، آخر تعديل ١٢ حزيران ٢٠٢٤.

[٤] الأقلية الأكثر علمانية: كيف عاش الإسماعيليون الثورة السورية؟"، إرفع صوتك، ٥ كانون الأول ٢٠١٩.

٥. الأكراد

عانى الأكراد من التهميش والتمييز لعقود. مع اندلاع الثورة، سعى الأكراد إلى تحقيق حقوقهم الثقافية والسياسية، وأعلنوا عن إدارة ذاتية في مناطقهم شمال شرق البلاد. رغم مشاركتهم في القتال ضد "داعش"، إلا أنهم حافظوا على استقلالية موقفهم، مع تجنب الانخراط الكامل مع المعارضة السورية.[٥]

٦. الأرمن والآشوريون

توزعت مواقف الأرمن والآشوريين بين الحياد والدعم الحذر للنظام، خوفًا من تصاعد الجماعات المتطرفة. تعرضت مناطقهم لهجمات من قبل "داعش"، مما أدى إلى نزوح أعداد كبيرة منهم. سعى العديد منهم إلى الهجرة، خاصة إلى أوروبا وأمريكا الشمالية (أرمينيا وكندا)، بحثًا عن الأمان والاستقرار.[٦]

الخلاصة

تباينت مواقف الأقليات في سوريا خلال الثورة، متأثرة بعوامل متعددة، منها الخوف من المستقبل المجهول، وتصاعد الجماعات المتطرفة، والرغبة في الحفاظ على الهوية والخصوصية. بينما سعى البعض إلى الحياد، اختار آخرون دعم النظام أو المعارضة، وفقًا لما رأوه يحقق مصالحهم ويحمي مجتمعاتهم. ومع استمرار الصراع، تبقى مخاوف هذه الأقليات قائمة، في ظل غياب رؤية واضحة لمستقبل يضمن حقوقهم ويحقق تطلعاتهم.



---

٥ "الطائفية والعرقية في الحرب الأهلية السورية"، ويكيبيديا العربية، آخر تعديل ١٢ حزيران ٢٠٢٤.

٦ "الثورة السورية ومخاوف الأقليات"، الجزيرة نت، ٢٢ آب ٢٠٢٠؛ "سقوط الأبد: كيف يرى المثقفون مستقبل الأقليات بسوريا؟"، القدس العربي، ١٥ تموز ٢٠٢١.

(٦٢)

دور الأقليات بعد نجاح الثورة

بعد سقوط نظام بشار الأسد في ديسمبر ٢٠٢٤ ونجاح الثورة السورية، اختلفت مواقف الأقليات الدينية والعرقية في سوريا تجاه الدولة الجديدة تبعًا لعوامل متعددة، من أهمها: مدى مشاركتهم السابقة في الثورة، وشعورهم بالأمان والتمثيل في الدولة الجديدة، والتطمينات السياسية والدستورية المقدمة لهم. فيما يلي عرض تفصيلي لمواقف أبرز هذه الأقليات حتى منتصف ٢٠٢٥:

١. المسيحيون

- الموقف الحالي :أبدى معظم المسيحيين ترحيبًا حذرًا بسقوط النظام، لا سيما مع تعهد الحكومة الانتقالية بحماية الحريات الدينية وضمان المواطنة المتساوية.[١]
- التخوفات :لا تزال هناك مخاوف من تصاعد التيارات المتشددة، لكن التمثيل الرمزي للمسيحيين في المجلس الوطني، وتشكيل لجان تنسيق محلية تضم شخصيات مسيحية، ساهم في طمأنتهم.[٢]
- الاتجاه العام :الميل نحو دعم الدولة الجديدة إذا استمرت في احترام الحريات وسيادة القانون.

---

[١] المركز السوري للدراسات الاستراتيجية، خارطة المكونات بعد سقوط الأسد، دمشق: آذار ٢٠٢٥.

[٢] مقابلات مع ممثلين عن الأقليات، المدن، كانون الثاني–نيسان ٢٠٢٥.

٢. الدروز[٣]

- الموقف الحالي: أظهر الدروز في السويداء حماسًا ملحوظًا لفكرة الدولة المدنية الجديدة، خاصة أنهم سبق لهم التمرد على النظام في السنوات الأخيرة.
- المشاركة السياسية: بدأ ممثلون عن الدروز بالمشاركة في المجالس المحلية وفي التحضيرات للمؤتمر الوطني الجامع لإعادة بناء الدولة.
- الاتجاه العام: مؤيد للدولة الجديدة بشرط أن تبقى علمانية تحترم الخصوصيات الطائفية وتحفظ الاستقلال الذاتي الإداري لمناطقهم.[٤]

٣. العلويون

- الموقف الحالي :تعيش الطائفة العلوية مرحلة حرجة، إذ يواجه كثير من أبنائها تحديًا كبيرًا في فك ارتباطهم السابق بالنظام.
- مواقف جديدة :ظهرت مبادرات مصالحة من وجهاء علويين وشخصيات بارزة أعربت عن استعدادها للمشاركة في إعادة بناء الدولة، ورفضها لسياسة النظام السابقة.[٥]
- الاتجاه العام :حذر، ويتراوح بين الخوف من الانتقام والرغبة في الاندماج، مع تركيز على المصالحة الوطنية وتفكيك الخطاب الطائفي.

---

[٣] للأسف، ما زال موقف الدروز من أتباع حكمت الهجري مغايراً لأغلبية الشعب السوري، فهم مصرون على عدم الاعتراف بالإدارة السورية الجديدة لحسابات عدة، منها ما هو داخلي ومنها ما هو مرتبط بجهات خارجية مثل إسرائيل وغيرها. والأمور تتطور من يوم لآخر.

وبعد كتابة هذه السطور، تطور الأمر إلى الصدام المسلح بين العشائر العربية والأمن العام وعصابات الهجري، والاستعانة بالصهاينة، ونزوح كثير من أهل السويداء منها حرصاً على سلامتهم.

[٤] بيانات المجلس السوري الانتقالي، الموقع الرسمي، قسم المصالحة الوطنية، شباط ٢٠٢٥.

[٥] شبكة مراسلين محليين .(SIRAJ) تقارير ميدانية من السويداء، آذار ٢٠٢٥.

٤. الإسماعيليون

- الموقف الحالي: رحب معظمهم بالتغيير، خاصة أنهم كانوا من أشد المنتقدين لنظام الأسد منذ بداية الثورة.
- المشاركة: ساهموا في النشاط المدني وفي منظمات المجتمع المحلي في مدينة السلمية ومحيطها، ولهم دور فاعل في لجان العدالة الانتقالية.
- الاتجاه العام: داعم قوي للدولة الجديدة شرط الحفاظ على الطابع المدني التعددي.[٦]

٥. الأكراد (تنظيم قسد)[٧]

- الموقف الحالي :الأكراد، الذين أسسوا إدارة ذاتية منذ ٢٠١٤، يطالبون الآن بضمانات دستورية للاعتراف بالحكم الذاتي ضمن سوريا موحدة.[٨]
- الجدل: رغم التوتر في بعض المناطق، تُجرى حاليًا مفاوضات مباشرة بين المجلس السوري الانتقالي وممثلين عن "الإدارة الذاتية" للوصول إلى صيغة توافقية.
- الاتجاه العام: داعم للدولة الجديدة إذا ضمنت اللامركزية وحقوق الأقليات.

٦. الآشوريون والأرمن

- الموقف الحالي :أعربوا عن ارتياحهم الكبير لرحيل النظام، خاصة بعد سنوات من القمع والتهميش.

---

[٦] SIRAJ، "تقارير من الساحل حول مبادرات وجهاء علويين"، نيسان ٢٠٢٥.
[٧] مركز الحوار السوري، "رؤية الأقليات لدولة ما بعد الأسد"، شباط ٢٠٢٥.
[٨] SIRAJ، "مفاوضات الإدارة الذاتية مع المجلس الانتقالي"، أيار ٢٠٢٥.

- المطالب :يركزون على حماية حقوق الأقليات الدينية والثقافية، ودعم مشاركة المكونات المسيحية في الحكم المحلي.
- الاتجاه العام :إيجابي ومتفائل بالمستقبل، مع تأكيد على دعم الدولة المدنية.[٩]

التقييم العام

يمكن القول إن الأقليات السورية، بعد سقوط النظام، أصبحت تميل إلى دعم الدولة الجديدة إذا ضمنت ثلاث ركائز أساسية:

١. الدستور المدني التعددي الذي يحمي الحريات ويمنع التهميش.

٢. المواطنة المتساوية دون تمييز على أساس ديني أو قومي.

٣. العدالة الانتقالية التي تعاقب المجرمين وتحمي الأبرياء، دون انتقام جماعي.[١٠]



٩ "مقابلات الأقليات المسيحية في الجزيرة والفرات." المدن، شباط ٢٠٢٥.

١٠ المركز السوري للدراسات الاستراتيجية، خارطة المكونات، ٢٠٢٥.

الباب الثامن عشر

معركة رد العدوان (ديسمبر ٢٠٢٤)

(٦٣)

تفاصيل المعركة

- بدأت فصائل المعارضة في الشمال، خاصة في إدلب وحلب، **عملية ردع العدوان** في ٢٧ نوفمبر، والتي أدت إلى تحرير مدينة حلب خلال ثلاثة أيام.
- حصلت الفصائل على **كمية ضخمة من الأسلحة والذخائر** من مواقع النظام المنهارة، مما ساعد في تسريع التقدم نحو دمشق.
- في ١ ديسمبر، أعلنت فصائل المعارضة بدء المرحلة النهائية من خطة التحرير، وسط انهيار دفاعات النظام في الجنوب والشمال.

التسلسل الزمني المفصل لعملية "ردع العدوان"

(٢٧ تشرين الثاني-٨ كانون الأول/نوفمبر – ٨ ديسمبر ٢٠٢٤)

التاريخ	الحدث	التفاصيل
٢٧ نوفمبر (الأربعاء)	انطلاق العملية	بدأت فصائل المعارضة، بقيادة هيئة تحرير الشام وغرفة عمليات "الفتح المبين"، هجومًا واسعًا في ريف إدلب وحلب الغربي. سيطروا على ٣٢ نقطة في اليوم الأول، منها قرى في جبل الزاوية وخان العسل.
٢٨ نوفمبر (الخميس)	السيطرة على الفوج ٤٦ وخان العسل	المعارضة تسيطر على مقر الفوج ٤٦، وتقطع طريق (M5) الدولي بين حلب ودمشق. مقتل القيادي الإيراني "الحاج هاشم "(كيومرث بورهاشمي) في حلب.

التفاصيل	الحدث	التاريخ
انهيار دفاعات النظام في حلب. المعارضة تسيطر على معظم أحياء المدينة، بما فيها السليمانية، الشعار، والأنصاري.	دخول مدينة حلب	٢٩ نوفمبر (الجمعة)
المعارضة تتقدم نحو حمص وحماة. تقارير عن انسحاب قوات النظام من مواقع استراتيجية دون مقاومة تُذكر.	توسع العمليات	٣٠ نوفمبر – ٢ ديسمبر
السيطرة على المدينة بالكامل، بما فيها سجن حمص المركزي. احتفالات شعبية في ساحة مسجد خالد بن الوليد.	تحرير حمص	٣ ديسمبر (الثلاثاء)
المعارضة تسيطر على بلدات في ريف حماة، وتبدأ حصار المدينة.	تقدم نحو حماة	٤ ديسمبر (الأربعاء)
السيطرة على المدينة، بما فيها مقر الفرقة ١١ ومطار حماة العسكري.	سقوط حماة	٥ ديسمبر (الخميس)
السيطرة على القصير، ما أدى إلى فصل المحافظات الساحلية (اللاذقية وطرطوس) عن الداخل السوري.	عزل الساحل	٦ ديسمبر (الجمعة)
المعارضة تدخل درعا دون مقاومة. انسحاب قوات النظام من ريف دمشق. سقوط تمثال حافظ الأسد في ساحة جرمانا.	السيطرة على درعا	٧ ديسمبر (السبت)
فجرًا، دخلت المعارضة إلى دمشق. سيطرت على القصر الجمهوري، وزارة الدفاع، قيادة الأركان، وساحة الأمويين. هروب بشار الأسد من العاصمة. إعلان سقوط النظام رسميًا.	دخول دمشق وسقوط النظام	٨ ديسمبر (الأحد)

أهداف العملية

- كسر خطوط التماس التي استمرت منذ اتفاق وقف إطلاق النار في مارس ٢٠٢٠.
- الرد على مجازر النظام، ومنها قصف معهد لتحفيظ القرآن في إدلب.
- قطع طريق الإمداد العسكري للنظام.(M5)
- إعادة المهجّرين إلى ديارهم، وتأمين المناطق المحررة.

أبرز الفصائل المشاركة

- هيئة تحرير الشام
- الجبهة الوطنية للتحرير
- حركة أحرار الشام
- جيش العزة
- سرايا الحراري
- لواء عاصفة الشمال
- فرقة السلطان مراد

شكّلت معركة **"ردّ العدوان"** محطة مفصليّة بعد سقوط النظام، إذ أثبت السوريّون قدرتهم على الدفاع عن مكتسبات الثورة، متحدّين الهجوم الخارجيّ والميليشيات الطائفيّة. بفضل التنسيق الميداني، والالتفاف الشعبي، والتحرّكات المنظَّمة، تحقّق النصر في ستّة أيّام، مؤكّدًا أن الثورة ما زالت حيّة وقادرة على حماية حريّة البلاد ومستقبله.[١]



[١] حول سير المعارك، انظر:
-"إنجازات ميدانية هامة وعين على حلب"، موقع عربي بوست.
-"ردع العدوان.. عملية عسكرية أسقطت حكم آل الأسد في ١٢ يوماً"، موقع الجزيرة نت.
-"هجوم المعارضة السورية ٢٠٢٤"، ويكيبيديا.

(٦٤)

دخول دمشق وسقوط النظام – ٨ ديسمبر ٢٠٢٤

في صباح يوم الأحد ٨ ديسمبر ٢٠٢٤، دخلت قوات المعارضة السورية العاصمة دمشق، منهية بذلك حكمًا دام أكثر من نصف قرن لعائلة الأسد. كانت هذه اللحظة تتويجًا لعملية عسكرية خاطفة بدأت في 27نوفمبر تحت اسم "رد العدوان"، بقيادة هيئة تحرير الشام وفصائل من الجيش السوري الحر والجبهة الجنوبية.

اليوم السابق: ٧ ديسمبر ٢٠٢٤

- أعلنت المعارضة بدء تطويق العاصمة دمشق بعد السيطرة على بلدات استراتيجية مثل الصنمين، على بعد ٢٠ كم جنوب العاصمة.
- انسحبت قوات النظام من بلدات في ريف دمشق :عسال الورد، يبرود، فليطة، الناصرية، الرحيبة، وعرطوز.
- بحلول المساء، انسحبت القوات من جرمانا، قطنا، داريا، الكسوة، ومعضمية الشام، إضافة إلى مواقع قرب مطار المزة العسكري.
- في ساحة جرمانا، أسقط المتظاهرون تمثال حافظ الأسد، في مشهد رمزي لانهيار السلطة.
- تقارير من المرصد السوري لحقوق الإنسان أفادت باندلاع احتجاجات مناهضة للنظام في عدة ضواحي، مما ساهم في تسريع الانسحاب العسكري.

فجر ٨ ديسمبر ٢٠٢٤: اقتحام العاصمة

- دخلت قوات المعارضة دمشق من عدة محاور :
  - من الشرق عبر ضاحية حرستا
  - من الجنوب عبر المعضمية وداريا
  - من الشمال بعد السيطرة على تدمر
- بدأت هجومًا واسعًا على المواقع الحكومية، وتمكنت من السيطرة على :
  - قصر الشعب
  - وزارة الدفاع
  - رئاسة الأركان
  - مبنى الإذاعة والتلفزيون
  - ساحة الأمويين وساحة العباسيين
- في ساعات الفجر، فرّ بشار الأسد من العاصمة، وفقًا لتقارير متعددة، تاركًا خلفه قيادة منهارة.

بعد الظهر: إعلان سقوط النظام

- دخل أحمد الشرع، القائد العام لعملية "رد العدوان"، إلى دمشق بعد الظهر، وأجرى اتصالًا برئيس حكومة النظام محمد الجلالي، طالبًا منه البقاء مؤقتًا لتسهيل الانتقال السياسي.
- في اليوم التالي، 9ديسمبر، اجتمع الشرع والجلالي بحضور محمد البشير، رئيس حكومة الإنقاذ الوطني، وتم الاتفاق على تسليم السلطة تدريجيًا.
- بدأت حكومة الجلالي تسليم الملفات إلى حكومة البشير في 10 ديسمبر، إيذانًا ببدء المرحلة الانتقالية.

رمزية الحدث

- سقوط دمشق لم يكن مجرد انتصار عسكري، بل لحظة تحول تاريخي في مسار الثورة السورية.
- لأول مرة منذ عام ١٩٧٠، أصبحت العاصمة خارج سيطرة النظام، وبدأت مرحلة جديدة من إعادة بناء الدولة.
- مشاهد الاحتفال في الساحات، وسقوط رموز النظام، مثل تمثال حافظ الأسد، جسدت نهاية حقبة وبداية أخرى.[٢]

ردود الفعل الإقليمية والدولية

جاءت ردود الفعل الإقليمية والدولية متباينة لكنها صادمة من حيث السرعة:

- **دول الخليج** - أعلنت السعودية وقطر والكويت اعترافها بالمجلس الوطني الانتقالي الجديد ممثلاً شرعيًا لسوريا. كما دعت إلى عقد قمة عربية طارئة لبحث إعادة سوريا إلى الجامعة العربية.
- **تركيا** - أعلنت دعمها الكامل للدولة السورية الجديدة، وفتحت قنوات اتصال مباشرة مع الحكومة الانتقالية، مبدية استعدادها للمساعدة في إعادة الإعمار وتأمين الحدود.
- **الولايات المتحدة وأوروبا -** رحبت واشنطن والعواصم الأوروبية بـ"انتصار الشعب السوري"، ودعت إلى حماية الأقليات، وتشكيل حكومة جامعة، ومحاسبة المتورطين في جرائم الحرب.
- **روسيا -** حافظت على لهجة دبلوماسية حذرة، وأعلنت أنها "تتفهم التغيير الحاصل"، مع تأكيدها على "حماية مصالحها ومصالح

---

[٢] مركز الجزيرة للدراسات – سقوط الأسد، بالإضافة إلى المصادر السابقة.

الأقليات في سوريا". بينما التزمت إيران الصمت لعدة أيام قبل أن تصدر بيانًا غامضًا تحدث عن "إعادة تقييم للأوضاع في المنطقة."

- **إيران** التزمت الصمت أيّاماً قبل إصدار بيان غامض عن "إعادة تقييم الأوضاع."



الباب التاسع عشر

إسرائيل وسوريا الجديدة

مع سقوط نظام بشار الأسد في ديسمبر ٢٠٢٤، ونجاح الثورة السورية في استعادة القرار الوطني، لم يعد السؤال الأهم هو :كيف سقط النظام؟ بل إلى أين تتجه سوريا الجديدة؟ وفي هذا الإطار، تبرز إسرائيل كأحد أبرز التحديات التي ستواجه الدولة السورية المحررة، سواء من حيث التهديدات الأمنية أو من زاوية الدور التاريخي لسوريا في الصراع العربي–الصهيوني.

فبعد أكثر من خمسين عامًا من الصمت الاستراتيجي على الجبهة الجنوبية، تفتح الثورة السورية الباب مجددًا أمام احتمال استعادة الدور القومي لسوريا، ليس فقط على مستوى الخطاب، بل على مستوى الفعل والمبادرة. فهل ستكون إسرائيل العدو التالي؟ هذا ما يحاول هذا الباب تحليله.



(٦٥)

هل ستكون إسرائيل العدوّ التالي؟

تمهيد – من إسقاط النظام إلى تعريف التهديد الخارجي

سقوط نظام بشّار الأسد في ٨ ديسمبر/كانون الأوّل ٢٠٢٤ وضع الدولة السوريّة الناشئة أمام سؤالٍ إستراتيجيّ مزدوج :كيف تؤمّن حدودها؟ وكيف تستعيد دورها الإقليميّ من دون الانزلاق إلى حروبٍ استنزافيّة؟ على الجبهة الجنوبيّة يبرز الاحتلال الإسرائيليّ للجولان منذ ١٩٦٧ بوصفه القضيّة الوطنيّة المؤجَّلة. لكنّ عودة الصراع مع إسرائيل ليست قراراً عاطفيّاً أو أيديولوجيّاً وحسب؛ بل هي اختبارٌ عمليّ لمدى قدرة سورية الثوريّة على الجمع بين مقتضيات الأمن القوميّ، ومتطلّبات البناء الداخليّ، والالتزامات العربيّة والدوليّة.[١]

أولاً – الجولان «الهادئ»: نصف قرنٍ من معادلة الردع السورية–الإسرائيليّة

منذ اتفاقية الفصل عام ١٩٧٤، التي ثبّتت خط وقف إطلاق النار على عمق يقارب ٨٠ كم داخل الأراضي السورية، ورافقتها قوة UNDOF لمراقبة الالتزام، خلت جبهة الجولان من أي اشتباك نظامي مباشر حتى نهاية عام ٢٠٢٣،[٢] لتشكّل بذلك حالة شبه فريدة من «السكون العسكري» في خضم

---

1 UNDOF, "Forty-Sixth Report of the Secretary-General on the United Nations Disengagement Observer Force," S/2023/398 (14 Jun 2023).
2 Itai Brun & Sarah J. Feuer, "The Quiet Front: Israel's Strategy toward Assad's Syria," INSS Insight 1100, 2018.

العنف الإقليمي المتصاعد. هذا الهدوء لم يكن وليد توازن تقليدي، بل نتاج معادلة غير معلنة تمثّلت في تعهّد غير رسمي من قبل النظام السوري بالحفاظ على الصمت العسكري مقابل بقاء العائلة الحاكمة؛ إذ تكشف وثائق إسرائيلية مسرّبة أنّ تل أبيب رأت في نظامي الأسد – الأب والابن" – جاراً يفي بالتزام الصمت"، بحسب وصف إيهود باراك: "عدوّ يمكن التعايش معه."[٣]

غير أن هذه المعادلة بدأت بالانهيار مع اندلاع الثورة السورية وسقوط شرعية النظام في أعين شريحة واسعة من السوريين. ومع غياب الطرف الذي لطالما ضمن جبهة راكدة، باتت استعادة الجولان بنداً مؤسِّساً في خطاب الوطنية الجديد. فكل سلطة تسعى إلى بناء شرعية داخلية في سوريا ما بعد الأسد لا يمكنها تجاهل هذا الملف التاريخي، الذي تحوّل من طيّ النسيان إلى محور تعاقد سياسي وشعبي يُعيد تعريف أولويات المرحلة القادمة.[٤]

ثانياً – حسابات إسرائيل بعد ٢٠٢٤: من التهديد الإيرانيّ" إلى "المجهول الوطنيّ"

أدوات إسرائيل المتوقَّعة	تفاصيل	بند القلق الإسرائيلي
تسويق دوليّ لقرار ضمّ الجولان (٢٠١٩) ومحاولة تحصينه قانونيّاً	حكومة دمشق الانتقاليّة أقَرّت «وثيقة المبادئ» وفيها بند ملزِم باستعادة الهضبة عبر الوسائل السياسيّة أو العسكريّة	عودة المطالبة بالجولان
ضربات استباقيّة ضدّ أيّ ممرّات إمداد في القنيطرة–درعا	استعداد الفصائل السوريّة لفتح قنوات دعم لوجستيّ بعد خروج النفوذ الإيرانيّ	إحياء التماسّ مع المقاومة الفلسطينيّة

[3] "Benjamin Netanyahu Interview," *CNN GPS*, 12 Jun 2016.
[4] Michael Milshtein, "After Assad: Israel and the Future of the Golan Heights," Moshe Dayan Center, 2022.

أدوات إسرائيل المتوقَّعة	تفاصيل	بند القلق الإسرائيلي
تنشيط وحدات الاستطلاع الجوّيّ المسيَّر، وتطوير تعاون استخباريّ مع واشنطن وأنقرة	سقوط الشبكات التي اعتمدت عليها إسرائيل داخل أجهزة أمن الأسد	تعثّر الاستخبارات التقليديّة
إقامة شريط مراقبة تقنيّ على الحدود (حساسات، ليزر، درونات)	وحدات ثوريّة تملك خبرة «حرب المدن» وصواريخ موجَّهة قصيرة المدى	تحوّل الجبهة إلى حرب عصابات

خلص تقرير المعهد القومي (الإسرائيلي) للدراسات الأمنية لعام ٢٠٢٥ إلى أنّ "العدوّ الجديد يتمتّع بشرعيّةٍ ثوريّة تجعل من ردعه أصعب بكثير من احتواء نظامٍ استبداديّ يحتاج إلى غطاءٍ دوليّ."[٥]

ثالثاً – قدرات سورية ما بعد الثورة: القوّة بين الواقع والطموح

١. الجيش الوطنيّ الجديد :يضمّ ١٢٠ – ١٤٠ ألف عنصرٍ بعد دمج الفصائل، مع تركيزٍ على ألوية خفيفة الحركة وصواريخ مضادّة للدروع والطائرات.[٦]

٢. العنصر الشعبيّ المنظّم :قوى «الدفاع المحلّي» في درعا والقنيطرة (نحو ٢٠ ألف مقاتل) تَعرف الجغرافيا وتَملك خبرةَ الكمائن.

٣. الفجوة الجويّة والتقنيّة :لا تمتلك سورية حالياً قوّةً جوّيّة قادرة على موازنة تفوّق إسرائيل؛ ما يدفعها إلى استثمار الدفاع الجوّيّ المحمول والطائرات المسيَّرة الانتحاريّة.

[5] Udi Dekel et al., "Scenarios for Syria 2025," INSS Memorandum 212, 2025.
[6] ACLED, *Syria Dataset* (download 03 Apr 2025).

٤. البيئة الإقليميّة: انفتاحٌ مع الأردن والخليج يُتيح عمقاً ماليّاً وسياسيّاً، بينما رغبةُ تركيا في تهدئة حدودها الجنوبيّة قد تجعلها وسيطاً لا شريكاً في الحرب.[٧]

رابعاً – سيناريوهات المواجهة ٢٠٢٥-٢٠٢٨

ملاحظات	احتمالات	توصيف مختصر	السيناريو
يتطلّب إجماعاً عربيّاً ودعماً أوروبياً	30 %	دمشق تُطلق حملةً قانونيّة وعربيّة لاستصدار قرار أمميّ يُلغي الاعتراف الأميركيّ بضمّ الجولان	دبلوماسيّ شامل
أشبه بالنموذج اللبنانيّ في جنوب ٢٠٠٠-٢٠٠٦	45 %	انتشار قنصليّات دوليّة في القنيطرة، مع دوريات UNDOF مُعزَّزة؛ وعمليّات تسلّل محدودة	ردع متبادل منخفض الحدّة
محكومٌ بخطوطٍ حمراء أميركيّة–روسيّة	20 %	قصفٌ جوّيّ إسرائيليّ ضدّ منصّات صواريخ سوريّة متقدّمة؛ ردّ سوريّ بقذائف دقيقة على قواعد الجولان	تصعيد محدود
مستبعَد قبل ٢٠٣٠ لاعتبارات إعادة الإعمار السورية	5 %	اجتياح إسرائيليّ موضعيّ وضربات عمق سوريّة	حرب شاملة

[7] Carnegie Middle East Center, "The New Syrian Foreign Policy," Policy Paper 49, 2024.

خامساً – مقاربةٌ سورية واقعيّة: "تحريرٌ تراكُميّ"

- أولويّة بناء الدولة: الحكومة الانتقاليّة أعلنت أنّ «معركة الجولان تبدأ بإعادة بناء الإنسان والشبكات الإنتاجية»، أي أنّ التنمية شرطٌ لردعٍ طويل المدى.[8]
- تحالف القوّة الناعمة :ربطُ ملفّ الجولان ببرامج العدالة الدوليّة (جرائم الاستيطان، نهب المياه)، وتجنيد منابر الرأي العام الغربيّ – لا سيما بعد تعاطفه مع الثورة.
- "عقيدة الردّ الموزون": أيّ اعتداءٍ إسرائيليّ سيُقابَل بعملٍ ميدانيّ مدروس ضدّ هدفٍ عسكريّ في الجولان لا يعرّض المدنيّين للخطر، ما يمنح دمشق أفضليّة أخلاقيّة ويحرم تل أبيب من ذريعة التدمير الشامل.

خاتمة: «عدوّ» لا "عداء"

لن تكون إسرائيل «العدوَّ التالي» بالمعنى الدعائيّ الذي استخدمه نظامُ الأسد، بل ستبقى القضيّة المركزيّة لتحصين السيادة السوريّة واختبار صدقيّة هويّتها الوطنيّة. فإذا نجحت الدولةُ الجديدة في ترتيب البيت الداخليّ، وفي ضبط إيقاع المواجهة من الدبلوماسيّة حتى الردع الميدانيّ الذكيّ، فإنّها ستعيد صياغة الصراع بطريقةٍ تُنهي مرحلة «السلام المريح» لإسرائيل من دون أن تُغرق السوريّين في حربٍ مفتوحةٍ تجهض حلمهم بالدولة الحرّة المزدهرة.



---

[8] مركز جسور، "الثورة السورية والموقف من إسرائيل: قراءة في التحوّل الشعبيّ والرسميّ"، 2024.

(٦٦)

لماذا ترى إسرائيل في سوريا الثورية تهديدًا استراتيجيًا؟

منذ اندلاع الثورة السورية في آذار/مارس ٢٠١١، التزمت إسرائيل صمتًا محسوبًا؛ فالنظامُ الذي يرفع شعار «الممانعة» حافظ في الواقع على أهدأ جبهةٍ حدوديّة عرفتها الدولة العبرية منذ توقيع اتفاق فصل القوّات (ماي ١٩٧٤)، إذ لم تُطلق رصاصة واحدة من الجانب السوري طوال نصف قرن تقريبًا.[١]

١. عداءٌ مصطنع مفيد للطرفين

ظلّت تل أبيب تعتبر بشار الأسد «العدوَّ الذي يمكن التفاهم معه»؛ فهو يضبط الحدود، ويكبح أيَّ تحرّك عسكري حقيقي نحو الجولان، ويتيح لإسرائيل تركيز مواردها في جبهاتٍ أُخرى. لذلك فضّلت أجهزةُ الأمن الإسرائيلية بقاءه على المجهول الثوري الذي قد يُحيي مطلب استعادة الجولان بالقوة.[٢] وقد ظهرت ترجمةٌ عمليّة لهذه الرؤية حين وافق الروس والإسرائيليون على إنشاء «خط ساخن» للتنسيق الجوّي بعد دخول موسكو الحرب في أيلول/سبتمبر ٢٠١٥؛ أعطى ذلك إسرائيل حرية القصف في العمق السوري مقابل صمتها عن عمليات روسيا والنظام ضدّ المعارضة.[٣]

---

[1] 1974 Disengagement Agreement kept Golan quiet; Reuters, *"Analysis: Syria's quiet front with Israel since 1974"*, 12 Oct 2011.

[2] Zoe Hu, "Why Basha al-Assad is Still in Power?" Al Jazeera Net, October 4, 2016.

[٣]

٢. من أيّ شيء تخاف إسرائيل؟

تخشى إسرائيل ثلاث حوادثٍ مجتمعة إذا نجحت الدولة السورية الجديدة في تثبيت أقدامها:

السبب المباشر	ما يجعلها مختلفة هذه المرّة	الخشية
حكومة انتقالية ذات شرعيّة شعبيّة ستُحيي المطالبة السياسية والعسكرية بالجولان	المطالبة ستأتي باسم ثورة قدّمت تضحيات هائلة، لا باسم نظام ردعي قديم	عودة ملفّ الجولان
الثورة تنأى بنفسها عن المحور الإيراني، لكنها لا تُفرّط بفلسطين	دعمٌ تحرّري بلا سقوف طائفية أو حسابات ابتزاز سياسي	دعم المقاومة الفلسطينية واللبنانية
انتشار فصائل ثورية وخلايا محلية متمرّسة في درعا والقنيطرة	مقاتلون خبروا قتال الجيوش النظامية وتنظيم داعش معًا، وليسوا ميليشيات هواة	تحوّل الجبهة الجنوبية إلى جبهة حيّة

رصد «معهد دراسات الأمن القومي» في تل أبيب هذه الاحتمالات وخلص إلى أنّ **التهديد الرئيسي ليس في قدرات سوريا بعد الحرب، بل في شرعية خطابها الوطني**.[٤]

٣. كيف تعاملت إسرائيل ميدانيًا؟

- **٢٠١٢ – ٢٠١٥:** حين تمدّد الثوار قرب الجولان، شنّت إسرائيل ضرباتٍ على بعض مواقعهم بحجّة «منع تسلّل تنظيمات جهادية»، رغم أن تقارير أمنية وثّقت في المقابل تقديمها علاجًا ودعمًا لوجستيًا

[4] Hezbollah - Wikipedia

لفصائل محلية معادية للأسد لكنها لا تعادي إسرائيل، حسب "كريستيان سينس مونيتور."[٥]

- **منذ ٢٠١٥:** غاراتٌ جويّة مركَّزة على بنى إيرانية وحزب الله، مع تجنّب إضعاف قوات النظام إلى حدّ الانهيار، انسجامًا مع مقولة «الأسد هو الشرّ الأقل خطورة.[٦]
- **أواخر ٢٠٢٤:** بعد هروب الأسد، تحدّثت تقاريرٌ إعلامية عن توغّلاتٍ إسرائيلية محدودة داخل المنطقة المنزوعة السلاح في الجولان بذريعة "منع الفوضى."[٧]

---

[5] Christa C. Bryant, "UN Reports Israeli Support for Syria Rebels," *Christian Science Monitor*, Dec. 8, 2014.

ملاحظة: من وجهة نظر العديد من الثوار السوريين، كانت معالجة إسرائيل لبعض الجرحى عام ٢٠١٤ خطوة محاطة بالشكوك والتأويلات، لكنها لم تُعتبر بالضرورة تعبيرًا عن تطبيع أو تحالف. فبحسب اتحاد تنسيقيات الثورة السورية، فإن عمليات الإسعاف كانت تُشرف عليها فرق من الصليب الأحمر الدولي، الذي أقام مشافي ميدانية قرب الحدود في الجولان المحتل. إسرائيل، وفقًا لهذه الرواية، لم تكن تقدم العلاج طواعية، بل كانت مجبرة على تسهيل هذه العمليات بموجب الاتفاقيات الدولية، وغالبًا ما كانت تعرقلها. ثم أن الثوار في الجنوب السوري لم يسجلوا أي خرق لوقف إطلاق النار تجاه إسرائيل، معتبرين أن المواجهة مع "المحتل" مؤجلة إلى ما بعد سقوط النظام السوري. هذا الموقف يعكس براغماتية ميدانية أكثر من كونه تقاربًا سياسيًا.

بعض التقارير الغربية، مثل ما نشرته *Foreign Policy*، تحدثت عن وجود "اتفاق ضمني "بين الجيش الإسرائيلي وبعض الفصائل المسلحة قرب الجولان، يشمل تبادل معلومات استخباراتية ونقل الجرحى للعلاج. هذا الطرح أثار جدلًا واسعًا، لكنه لم يُؤكد رسميًا من قبل الفصائل الثورية، التي غالبًا ما نفت وجود تنسيق مباشر. وفي ظل صعوبة الوصول إلى الأردن أو مناطق آمنة، كان الجرحى يُنقلون إلى أقرب نقطة يمكن فيها تقديم العلاج، حتى لو كانت تحت السيطرة الإسرائيلية. بعض الثوار رأوا أن إنقاذ حياة المقاتلين لا يعني بالضرورة قبولًا سياسيًا أو تطبيعًا. بعبارة أخرى، تعامل الثوار مع هذه الحالات كضرورة ميدانية وإنسانية، لا كخيار استراتيجي أو تحالف، وموقف المحتل الإسرائيلي بعد نجاح الثورة وسقوط نظام الأسد يفضح نوايا إسرائيل تجاه سوريا وإدارتها الجديدة، وترد على من اتهم الثوار بالتعامل مع إسرائيل.

[6] Zoe Hu, "Why Bashar al-Assad is Still in Power?" Al Jazeera Net, October 4, 2016.

[7] Aluf Benn, "Syria Has Always Been An Israeli Obsession," *The Guadian*, December 20, 2024.

٤. جيلٌ لا يُحتوى

أفرزت الثورة جيلًا قاتل النظام وروسيا وإيران و«داعش» معًا، وبنى في الوقت نفسه مجالسَ محلية ومشاريع مجتمعيّة تحت القصف. هذا الجيل لا يرى في الجولان «مأزقًا تفاوضيًّا»، بل قضيةَ شرف وطني قابلة للاسترجاع بالوسائل الدبلوماسية أو الشعبية أو حتى العسكرية إذا لزم الأمر. وهنا تكمن هشاشة نظرية «الأمن الإسرائيلي» التي طالما افترضت أن دمشق ستظلّ حارسًا لحدودٍ هادئة.

خاتمة

هل تكون إسرائيل «العدو التالي» لسوريا الثورية؟ ليس حتميًّا أن تندفع دمشق الجديدة إلى حربٍ تقليدية وهي تلملم جراحها، لكن المؤكّد أن **معادلة الردع القديمة انتهت**. الجولان عاد إلى صدارة الوعي الوطني، والسوريون الذين حرّروا بلادهم بأيديهم لن يقبلوا استمرار احتلاله بلا ثمن. بالنسبة لتل أبيب، هذا تهديدٌ وجودي منشؤه الشرعية الشعبية أكثر من كونه خطرًا عسكريًا عاجلًا . وهو ما يفسّر استنفار دوائرها الأمنية منذ اللحظة الأولى لانتصار الثورة.



(٦٧)

خوف إسرائيل من "سوريا الثورية"

من نظام "الهدنة الدائمة" إلى دولة ثورية

منذ توقيع اتفاقية فصل القوات عام ١٩٧٤، ظلّت جبهة الجولان المحتل هادئة تمامًا، إذ لم تُطلَق رصاصة من الجانب السوري طوال العقدين التاليين، ما جعل إسرائيل ترى في نظام الأسد «عدوًا يمكن ضبطه» بدل مواجهة مفتوحة.[١]

تكرار مسئولين إسرائيليين بأنهم فضّلوا وجود الأسد على احتماليّة سيطرة إسلاميين متطرفين، يسميهم تحليلاً بأن الأسد كان «العدو المعروف» مقارنة بخيارات الثورة غير المضمونة.[٢]

فضّلت إسرائيل في مرحلة مبكّرة من الثورة، حسب محللين، بقاء الأسد كنظام ضعيف، بمنأى عن المشروع الإيراني ولكن قادر على ضبط الحدود، لتفادي سيناريو انهيار الدولة السورية بالكامل.[٣]

الخوف من سوريا جديدة بمشروع قومي تحرري

سوريا بعد الثورة تغيّرت جوهريًا. لم تعد دولة تابعة لنظام أمني مغلق، بل أصبحت ـ بحسب تصور تل أبيب ـ مهدّدة بإعادة تشكيل عقيدة قومية

---

[1] Wikipedia – *Israel and the Syrian civil war*

[2] Haaretz, *Israel Prefers Assad to Chaos in Syria*, 18 May 2013

[3] Vision Centre, *An Analysis of Israeli Positions on the Fall of Assad's Regime*, Dec 2024

ثورية ترى في تحرير فلسطين قضية مركزية. إنّ نجاح ثورة شعبية في سوريا ضد نظام استبدادي مدعوم من قوى عالمية، مثل روسيا وإيران، أرسل رسالة قوية إلى المنطقة مفادها أن "الإرادة الشعبية يمكن أن تنتصر"، وهو أمر مرعب للكيان الصهيوني الذي يعتمد على **بيئة إقليمية منهكة ومجزأة**.

فالقيادة الجديدة في دمشق . المولودة من رحم الثورة . قد تتبنى استراتيجية مقاومة حقيقية، وليس مجرد شعارات. كما أن توجهها نحو **التحالف مع حركات المقاومة في فلسطين ولبنان**، بعيدًا عن المحاور الإقليمية والدولية التقليدية، سيجعل منها **شوكة في الخاصرة الإسرائيلية**.

الجولان المحتل... القنبلة المؤجلة

أحد أكبر مصادر القلق الإسرائيلي هو احتمال عودة الجولان المحتل إلى واجهة الصراع. فإسرائيل **ضمت الجولان رسميًا عام ١٩٨١** في خطوة لم يعترف بها أحد، سوى إدارة ترامب في ٢٠١٩. سقوط نظام الأسد، الذي "جمّد" المطالبة بالجولان فعليًا لعقود، يفتح الباب أمام المطالبة النشطة باستعادته.

سوريا الجديدة قد تلجأ إلى **المقاومة الشعبية أو القانونية أو حتى العسكرية** لاستعادة الجولان، مستندة إلى الدعم الشعبي الإقليمي والدولي الذي تكتسبه كثمرة لتضحياتها في الثورة.[4]

التغيير في العقيدة العسكرية

أحد أخطر آثار الثورة على إسرائيل هو ظهور **جيل عسكري سوري جديد** غير ملوث بعقيدة الهزيمة والتراجع، بل محملٌ بخبرة قتالية عالية. هذا الجيل، الذي قاوم أعتى الحملات الروسية والإيرانية والأسدية، بات يدرك أن النصر ممكن بالإعداد والتخطيط والعمل الشعبي. وهم أكثر استقلالية عن التحالفات الإقليمية التقليدية، ولا يتبعون للقرار الإيراني أو الروسي.

---

[4] Times of Israel, *Israel prefers Assad to Islamist rebels*, May 2013

هذا الجيل هو نواة جيش وطني جديد قد يتحول إلى **خطر عسكري حقيقي** على الكيان الإسرائيلي في حال توحيد القوى الثورية وبناء دولة قوية.[٥]

المتغير الشعبي والإسلامي

الثورة السورية كانت ذات بعد إسلامي واضح، خاصة في مرحلتها المتقدمة. هذا يجعل إسرائيل تخشى من عودة "الروح الإسلامية" التي تُحرّك الشعوب في اتجاه رفض الاحتلال، والمطالبة بتحرير المسجد الأقصى. إن **الربط بين دمشق والقدس في الخطاب الثوري أصبح قويًا**، وهو ما يُعيد إلى الواجهة معادلات الصراع التي سعت إسرائيل لدفنها منذ التسعينيات.

الثورة السورية كانت ذات بعد إسلامي واضح، خاصة في مرحلتها المتقدمة. هذا يجعل إسرائيل تخشى من عودة "الروح الإسلامية" التي تُحرّك الشعوب في اتجاه رفض الاحتلال، والمطالبة بتحرير المسجد الأقصى. إن **الربط بين دمشق والقدس في الخطاب الثوري أصبح قويًا**، وهو ما يُعيد إلى الواجهة معادلات الصراع التي سعت إسرائيل لدفنها منذ التسعينيات.

أثّرت البوصلة الإسلامية والثورية في الشعب السوري، خصوصًا في الخطاب السياسي الذي ربط دمشق بالقدس، ما يذكّر إسرائيل بأن المقاومة الشعبية الفلسطينية قد يجدها صدى في سورية الجديدة.[٦]

الخلاصة

تخشى إسرائيلُ "سورية ما بعد الأسد" لأنها:

- تضع حدًا لنظام «الجبهة الهادئة» وتعيد زمن المبادرة إلى دمشق.
- قد تُصبح نموذجًا نهضويًا شعبيًا يحتذى به إقليميًا.

---

[5] International Crisis Group, *How Israel's Overreach in Syria May Backfire*, Mar 2025

[6] Middle East Eye, *Israel after Assad: Why vow to 'protect' the Druze is hollow*, Jul 2025

- تمتلك مشروعًا مقاومًا مستقلًا غير تابع لأي قوة دولة أو محور إقليمي.
- تمتلك أداة لإعادة فتح ملف الجولان على المستويات السياسية والميدانية.

لهذا، بحسب تحليلات "هآرتس" و" ميدل إيست آي" فقد فضّلت تل أبيب بقاء الأسد كنظامٍ قابل للضبط على مواجهة معهودة لقيادة ثورية غير مضمونة.



(٦٨)

الجولان وسوريا الجديدة – قضية تتجدد

من الشعارات إلى الاستراتيجية

لعقود طويلة، شكّلت هضبة الجولان المحتلة جبهةً صامتة—رمزًا لفقدان السيادة السورية وتمزّق الكرامة الوطنية. فمنذ احتلالها عام ١٩٦٧ خلال حرب الأيام الستة، ثم إعلان ضمّها من قبل إسرائيل عام ١٩٨١ (وهو إجراء أبطله قرار مجلس الأمن رقم ٤٩٧)، ظلّت هذه الأرض منسية في الخطاب الرسمي السوري، تُستخدم كشعارٍ فارغ أكثر من كونها هدفًا استراتيجيًا.

تحت حكم حافظ الأسد ومن بعده بشار، لم يُطلق رصاص واحد من الجبهة الجنوبية بعد اتفاق فضّ الاشتباك عام ١٩٧٤. بالنسبة لإسرائيل، كان هذا الوضع مثاليًا: نظامٌ مستقر يمكن التنبؤ بتصرفاته، لا يشكّل تهديدًا حقيقيًا، بل يمثّل حزام أمان. لكن مع سقوط النظام في ديسمبر ٢٠٢٤ تغيّر الواقع بالكامل. سوريا الجديدة، بقيادة انتقالية شعبية، أعادت للجولان وزنًا في الإعلام والتعليم والمشاريع الثقافية.[١]

---

[1] Reuters, "Israel Carries Out Strikes on Two Syrian Cities…" May 2, 2025; Charles Clover, "Can Israe translate power into peace?" *Financial Times*.

تفعيل قضية السيادة الوطنية

لم تكن استعادة الجولان من أولويات الثورة حين انطلقت عام ٢٠١١، لكن بعد تغيير الوعي السيادي أصبح واضحًا أن التحرر الداخلي لا يُكتمل دون استعادة الأرض المغتصبة. ومع تشكيل الدولة الجديدة، صدر إعلان رسمي في يناير ٢٠٢٥ يعتبر الجولان "أولوية وطنية غير قابلة للتفاوض"، شكّل مجلسًا خاصًا وبدأ حملات توعية ومبادرات مدنية وثقافية لإحياء الذاكرة.[٢]

مناورة إسرائيل الاستراتيجية

إن انهيار النظام السابق ترك إسرائيل في مواجهة جارٍ جديد غير قابل للتوقع. النظام البائد كان يؤمّن الهدوء، أما سوريا الثورية فهي دولة شعب، تتحدث باسم مواطنيها، لا تقايض الأرض بالحماية، ولا تخضع لصفقات تحت الطاولة. وتدرك إسرائيل أن التهديد الجديد ليس عسكريًا فحسب، بل أيديولوجي أيضًا. فسوريا التي أطاحت بنظامٍ مدعوم من روسيا وإيران، وتمسكت بوحدتها رغم الجراح، قادرة على إحياء وعيٍ شعبيٍ عربيٍ يتجاوز حدود سايكس بيكو.

إن حركة إسرائيل بعد سقوط النظام نحو احتلال جزء من منطقة الفصل (منطقة لمراقبة الأمم المتحدة) ودعم الميليشيات الحدودية واستهداف الجنوب السوري جويًّا، تُفسَّر بأنها محاولة مسبقة لكبح أي تتبع فعلي لتحرر الجولان من قبل دمشق الثورية الجديدة.[٣]

في يناير ٢٠٢٥، أعلنت الحكومة الانتقالية السورية أن الجولان "أولوية وطنية غير قابلة للتفاوض". وشكّلت لجنة خاصة بشؤون الجولان، وأُطلقت حملات توعوية في المدارس والجامعات والمراكز الثقافية. وظهرت الجداريات التي تُصوّر قرى الجولان المدمّرة في ميادين إدلب ودرعا وحلب.

---

[2] Al Jazeer net, "Israel pushes on with strategy to keep neighbours weak in Lebanon and Syria," April, 9, 2025.

[3] Wikipedia: Israeli Invasion of Syria (2024-present)

وفي الجولان المحتل ذاته، حيث يرفض معظم الدروز الحصول على الجنسية الإسرائيلية، ظهرت بوادر تفاعل جديد مع الدولة السورية الوليدة. حملات توثيق، ومبادرات ثقافية، ومؤشرات على تواصل سريّ يعكس وحدة الانتماء والهوية.

المسار القانوني: خيار الردعية

أعلنت الحكومة السورية الثورية تقديم شكوى إلى محكمة العدل الدولية في مارس ٢٠٢٥، مستندة إلى ضحايا التهجير والاستيطان، وأعادت طرح قرار مجلس الأمن ٤٩٧ الخطوة ١٩٨١ (رفض ضم الجولان). كذلك عقدت مباحثات قانونية مع منظمات دولية لوضع ملف أمام محافل العدل الدولية،[4] وبذلك تحوّلت قضية الجولان من شعارٍ إلى مطالبةٍ شرعية مدعومة بالقانون الدولي.

التعبئة الشعبية والثقافية

تحولت استعادة الجولان إلى قضية شعبية حية، تعبر عنها أفلام وثائقية ومسرحيات تعليمية وسينمائية، وإطلاق وسوم على وسائل التواصل (#العودة_إلى_الجولان)، وأنشطة في مدارس وجامعات إدلب وحلب ودرعا تهدف إلى ترسيخ القضية في وجدان الثورة.[5] لم تعد القضية محصورةً ببياناتٍ رسمية؛ بل أصبحت جزءًا من وجدان الأمة السورية. وعبر هذا الحراك، برزت الدولة الثورية كأمين على الذاكرة والعدالة، لا كسلطةٍ مؤقتة.

العقيدة العسكرية الجديدة

اعتمد المجلس العسكري الجديد في مارس ٢٠٢٥ استراتيجية دفاعية تضع الجولان كخط ردع، لا كهدف حرب. وأكد قادة عسكريون مثل العقيد قاسم الدرني أن الدفاع سيكون على أساس وطني مدني، دون تدخل مباشر

[4] Reuters, "Israel Carries Out Strikes on Two Syrian Cities…" May 2, 2025

[5] Al Jazeera net, "Israel pushes on with strategy to keep neighbours weak in Lebanon and Syria," April, 9, 2025.

من أي محور خارجي، وأن جيشها الجديد غير طائفي وغير تابع لأي جهة خارجية، بل جيش وطني تحت إشراف مدني.[6]



[6] Itai Melchior and Nir Boms, "Why al-Sharra's success in Syra is good for Israel and the US," Atlantic council, July, 2, 2025.

(٦٩)

سوريا الجديدة ومحور المقاومة السني

منذ لحظة سقوط نظام بشار الأسد في أواخر عام ٢٠٢٤، بدت المنطقة وكأنها تعيد ترتيب أوراقها. فالدولة التي كانت لعقود ركيزة في "محور الممانعة" بشعاراته الرنانة، ومنصةً سياسية وعسكرية لإيران ووكلائها، خرجت فجأة من دائرة التبعية الإقليمية. ولأول مرة منذ عقود، انفتح الأفق السوري على احتمالات جديدة، لا تستند إلى تحالفات موروثة، بل إلى إرادة شعبية منتصرة.

انهار نظام الاستبداد، وسقطت معه البُنى الأمنية والإيديولوجية التي ربطت دمشق بطهران، وظهرت ملامح دولة جديدة تتلمس طريقها بين ركام المدن المحطمة، وأشلاء الذاكرة الوطنية الممزقة. ومع ذلك، بدا واضحًا منذ اللحظة الأولى أن سوريا الثائرة، التي دفعت دماء غزيرة ثمنًا لتحررها، لن تقبل بعد الآن أن تبقى منعزلة عن قضيتها المركزية الكبرى :**فلسطين**.

خلفية الخداع – الممانعة كغطاء للهيمنة

في السنوات التي سبقت سقوط النظام، كانت سوريا، نظريًا، في خندق المقاومة. استضافت فصائل فلسطينية، ورفعت شعارات الدعم للمقاومة، وشاركت في خطاب "تحرير القدس" في المحافل الإقليمية. لكنها فعليًا لم تطلق رصاصة واحدة على العدو الإسرائيلي منذ توقيع اتفاقية فضّ الاشتباك

عام ١٩٧٤.[1] كان النظام يوظف هذه الشعارات لتثبيت شرعيته داخليًا، لا لتحرير الأرض أو دعم المقاومة الحقيقية.

أما الفصائل الفلسطينية، التي وجدت في دمشق ملاذًا لسنوات، فقد أصبحت مرهونة لأجندات تتبع **طهران أكثر مما تتبع الميدان الفلسطيني** . وتحولت من أدوات تحرير إلى أوراق مساومة تُستخدم في حسابات تفاوض إقليمية، وخصوصًا في ظل تصاعد الخلافات المذهبية والطائفية.

التحرر من الوصاية الإيرانية

مع ولادة سوريا الجديدة، برز سؤال استراتيجي:

هل تستطيع الدولة السورية القادمة، المحررة من قبضة إيران ونظام الأسد، أن تعيد صياغة علاقتها مع المقاومة، خصوصًا السنية منها؟ وهل يمكن أن يتشكل تحالف جديد، مستقل عن المحاور الإقليمية التقليدية، يرتكز إلى التحرر الوطني والكرامة الشعبية، لا إلى التبعية والتمذهب السياسي؟

مبكرًا بعد سقوط النظام، بدأت تظهر مؤشرات تقول :**نعم، هذا ممكن**.

ففي مناطق شمال سوريا وشرقها، حيث تشكلت سلطات مدنية مؤقتة تمثل الثورة، زارت وفود فلسطينية غير رسمية هذه المناطق، وبدأت اتصالات أولية بين قوى سورية ثورية وكتائب مقاومة فلسطينية، أبرزها **كتائب القسام وسرايا القدس**. لم تكن اللقاءات معلنة بالكامل، لكن تسريبات وتصريحات لاحقة أوضحت أن هناك رغبة مشتركة في بناء محور مقاومة جديد، يتجاوز الطائفية، ويرتكز إلى قيم التحرر والمشاركة الشعبية.

في الوقت ذاته، ظهرت وسائل إعلام سورية حرّة تبنّت خطابًا جديدًا تجاه فلسطين، يتحدث عن المقاومة لا كشعار أيديولوجي، بل كقضية تحرر شعبي، امتداد طبيعي لتجربة السوريين أنفسهم. لم تعد فلسطين تُستخدم لإطالة عمر الأنظمة، بل أصبحت جزءًا من مشروع التحرر الشامل.

---

[1] Wikipedia: Israeli occupation of the Golan Heights.

تشكل محور مقاومة سني عابر للحدود

وجد هذا التحول صداه في الأوساط الفلسطينية، خصوصًا داخل الفصائل التي لطالما عانت من العزلة العربية، مثل القسام وسرايا القدس. فقد رأت في سوريا الثائرة شريكًا طبيعيًا: شريكًا في الوجع، وشريكًا في النضال.

وفي لبنان، بدأت شخصيات سنية مستقلة، ونشطاء مقاومة من خارج فلك حزب الله، يدعون صراحة إلى تأسيس **جبهة مقاومة سنية** عابرة للحدود، تمتد من غزة إلى صيدا ومخيمات لبنان، وصولًا إلى درعا والجنوب السوري المتحرر.

لكن هذه المبادرات لم تمرّ دون مقاومة. فإسرائيل، كما بعض الأنظمة الإقليمية، نظرت بعين القلق إلى تحالف خارج عن السيطرة التقليدية،[٢] لا يخضع لحسابات المحاور المعهودة. كما أن بعض بقايا النفوذ الإيراني داخل فصائل المقاومة نفسها شكل عائقًا أمام انفتاحها الكامل على سوريا الجديدة.

ورغم التحديات، فإن هذه التحركات بدت أقرب إلى منطق التاريخ منها إلى السياسة. فسوريا، التي قاتلت لعقد من الزمن ضد الاستبداد، لا يمكن أن تقبل أن تكون على هامش القضية الفلسطينية. وكتائب المقاومة السنية، التي واجهت الاحتلال وحدها لسنوات، دون دعم إقليمي حقيقي، وجدت أخيرًا شريكًا يشبهها في الخلفية والتطلعات.

هل تعود حماس إلى دمشق؟

كانت أولى إشارات التحول قد ظهرت مبكرًا في سبتمبر ٢٠٢٢، حين أعلنت حركة حماس عن استئناف علاقاتها مع سوريا، بعد قطيعة استمرت منذ عام ٢٠١٢.[٣] وبررت ذلك بأنه في "إطار تطوير علاقات راسخة مع الجمهورية العربية السورية، خدمة لقضايا الأمة."

[2] Joe Macaron, "Israel Returns to Basics in Syria: 'Better the devil you know,'" Arab Center Washington, DC , August 15, 2018.

[٣] معتز الخطيب، "عودة حماس إلى دمشق وشرعية البيانات،" الجزيرة، ٢٢ أيلول، ٢٠٢٢.

هذا الإعلان أثار جدلًا كبيرًا داخل الحركة، وبين قواعدها. فبينما رآه البعض رضوخًا للضرورات الإقليمية، رآه آخرون مقدمة لفرز جديد: فرز بين مقاومة تتبع محورًا طائفيًا، وأخرى تعود إلى انتمائها السني الشعبي.

ومع سقوط الأسد، وغياب السلطة المركزية التي كانت تحكم بعين طهران، أعادت بعض التيارات داخل حماس التفكير في تموضعها، وبدأت خطوات حذرة باتجاه **سوريا الثورة** لا **سوريا النظام**.

حزب الله بعد الأسد: نفوذ يتآكل، ومحاولات للتماسك

من جهة أخرى، يسعى حزب الله إلى الحفاظ على نفوذه في سوريا بعد رحيل الأسد، خاصة في مناطق القلمون والقصير، حيث تمر خطوط إمداده الحيوية. وقد أشار تقرير لمركز كارنيغي إلى أن الحزب يعمل على تعزيز وجوده في سوريا ولبنان معًا، مستفيدًا من حالة الفراغ، ومن محاولات بعض الفصائل الشيعية تشكيل جبهة مقاومة متعددة الطوائف.

لكن سوريا الجديدة تنظر بعين الريبة إلى هذه التحركات، وترى أن **زمن الوصاية انتهى** .فالمقاومة، بالنسبة لها، لا تكون عبر "ولاية الفقيه" ولا بـ"قنوات أمنية"، بل عبر إرادة الشعوب الحرة، وميدان التحرير.

التحديات أمام المحور الجديد

ورغم التفاؤل الحذر، فإن التحالف الجديد بين سوريا الثورية وفصائل المقاومة المستقلة يواجه تحديات حقيقية:

- **الاختلافات الأيديولوجية** :فبعض الفصائل لا تزال تحمل رواسب تحالفاتها السابقة مع إيران.
- **الضغوط الدولية** :التي تمارسها قوى إقليمية وغربية لتفكيك أي محور مقاومة جديد لا يخضع لتوازناتها.

- **الوضع الداخلي السوري** :حيث لا تزال ملفات إعادة الإعمار، وتثبيت الحكم المدني، وإعادة تشكيل الجيش الوطني، تمثل أولوية ضاغطة.

لكن رغم هذه التحديات، فإن التحالف الناشئ يحمل ملامح مشروع تحرري متمايز، يقوم على المشاركة الشعبية، والمقاومة الوطنية، لا على التوظيف الإقليمي أو الطائفي.

عودة إلى الدور القومي عبر بوابة الشعب

هكذا، قد تكون السنوات القادمة شاهدة على **عودة سوريا إلى دورها العربي والمقاوم**، لا من بوابة الأنظمة والسلاح الكيماوي، بل من بوابة الوعي الشعبي والميدان الثوري. قد تتشكل جبهة مقاومة جديدة، لا تعرف الولاء إلا للحرية، ولا تنطلق إلا من بيوت الفقراء والمقهورين، لا من أروقة المخابرات، ومن درعا إلى القدس، ومن إدلب إلى غزة، قد يُعاد رسم حدود العزة، لا بالحبر الطائفي، بل بدماء الشعوب الحرة.



(٧٠)

من الثورة إلى التحرير: هل تكون فلسطين هي المرحلة القادمة؟

مع سقوط نظام بشار الأسد في أواخر عام ٢٠٢٤، ودخول سوريا مرحلة جديدة من البناء السياسي والأمني، تعالت التساؤلات في الأوساط السياسية والإعلامية العربية والدولية حول الاتجاه القادم لسوريا المحررة. لم تكن هذه التساؤلات عبثية، بل نابعة من المؤشرات المتزايدة التي أظهرت توجه القيادة الجديدة في دمشق نحو خطاب تحرري قومي واضح، يعيد ربط سوريا بقضية العرب المركزية :**فلسطين**.[1]

عودة سوريا إلى موقعها الطبيعي في محور المقاومة

منذ توقيع اتفاقية فك الاشتباك بين سوريا وإسرائيل عام ١٩٧٤، عاشت جبهة الجولان حالة من "الهدوء المريب" استمرت لعقود، جعلت نظام الأسد حليفًا موضوعيًا لإسرائيل رغم العداء اللفظي. أما في ظل النظام الجديد الذي أفرزته الثورة، فإن هذا الهدوء أصبح موضع تساؤل، خصوصًا مع تصاعد الدعوات داخل سوريا لإعادة تعريف العلاقة مع الاحتلال، ووضع قضية **الجولان المحتل** في صدارة الأولويات الوطنية.

تُشير مواقف وتصريحات عدد من قيادات سوريا الجديدة إلى رغبة حقيقية في **كسر الجمود** الذي فرضه النظام السابق. بل إن بعض

[1] Al Jazeera, "How have Palestinian groups reacted to the ouster of Syria's al-Assad?", Dec. 9, 2024.

الشخصيات صرّحت أن "التخلي عن الجولان هو خيانة لمبادئ الثورة"، مما يشير إلى تحول كبير في الرؤية الاستراتيجية لسوريا.[٢]

تطورات العلاقة مع المقاومة الفلسطينية

من أبرز التحولات المتوقعة هو **تفعيل العلاقة مع فصائل المقاومة الفلسطينية**، وعلى رأسها حركة **حماس** و**الجهاد الإسلامي**، التي بدأت بالفعل تقاربًا تدريجيًا مع دمشق الجديدة منذ عام ٢٠٢٣، على خلفية تغيّر الموازين الإقليمية وسقوط نظام الأسد.[٣] وقد صدرت عن مسؤولين في حماس إشارات إيجابية بشأن "فتح صفحة جديدة" مع القيادة السورية "بما يخدم قضية الأمة."[٤]

في هذا السياق، من المرجّح أن تعود دمشق لتكون **حاضنة استراتيجية** لفصائل المقاومة، كما كانت في فترات سابقة، خصوصًا أن سوريا الجديدة تنظر إلى المقاومة كجزء من مشروع تحرري عربي أوسع، لا كعبء سياسي.

إعادة النظر في اتفاقية فك الاشتباك

اتفاقية ١٩٧٤ التي أنهت القتال على جبهة الجولان بعد حرب تشرين، ما زالت سارية المفعول، لكنها لا تُمثّل اتفاق سلام، بل تُعدّ "هدنة غير معلنة" تحفظ لإسرائيل حدودًا آمنة لعقود. ومع تغيّر النظام، هناك دعوات من قيادات سياسية وميدانية سورية لإعادة النظر في هذه الاتفاقية، والتأكيد على أن استمرارها مرهون بمدى جدية إسرائيل في إنهاء احتلالها للجولان.

كما أن سوريا الجديدة قد تتجه نحو **دعم العمل المقاوم غير النظامي** في الجولان، على غرار النموذج اللبناني في جنوب لبنان، وذلك ضمن استراتيجية استنزاف طويلة الأمد تهدف إلى إعادة فرض الكلفة على الاحتلال.

---

[2] Washington Institute, "Inside the New Syria: The First Three Months," 2025.
[3] Al Jazeera, op. cit.
[٤] نفسه.

القضية الفلسطينية كمكون أساسي في الوجدان السوري الجديد

الثورة السورية، رغم ما مرّت به من آلام ومآسي، خلقت وعيًا سياسيًا جديدًا لدى الجيل الصاعد، وجعلته يرى فلسطين **امتدادًا لقضيته الوطنية**.[٥]

هذا الوعي لا يتوقف عند البعد العاطفي، بل يترجم إلى **برامج سياسية ومواقف شعبية وتنظيمية** تُعبّر عن الالتزام بتحرير فلسطين، ورفض كل أشكال التطبيع.[٦] فمنذ نهاية ٢٠٢٤، ظهرت شعارات في المظاهرات التي أعقبت سقوط النظام تحمل عبارات مثل: "من درعا إلى القدس... الطريق واحد"، "سوريا الحرة تدعم فلسطين المحررة."

الرد الدولي ومحاولات الاحتواء

بطبيعة الحال، هذه التوجهات التحررية لسوريا الجديدة **تقلق إسرائيل وداعميها**، إذ تخشى تل أبيب أن تتحول سوريا إلى **منصة إسناد إستراتيجي للمقاومة** في غزة ولبنان والضفة الغربية. وهذا ما دفع الولايات المتحدة وعددًا من القوى الغربية إلى **التحذير العلني من تحول سوريا إلى "دولة مواجهة"**، كما ورد في تصريحات لمسؤولين في الخارجية الأمريكية والأوروبية في أوائل ٢٠٢٥.[٧]

المخاوف الإسرائيلية انعكست أيضًا في تكثيف الاتصالات مع بعض الأنظمة العربية للتنسيق والضغط من أجل **احتواء دمشق الجديدة**، ومحاولة دفعها نحو التركيز على "إعادة الإعمار" و"التنمية الاقتصادية"، بدلاً من "المغامرات الإقليمية."[٨]

---

[5] Atlantic Council, "The fall of Assad has opened a door…", 2024.
[6] Jadaliyya, "The Collapse of the Syrian Regime," 2024.
[7] Wall Street Journal, "U.S. toughens demands on Syria's new Islamist-led leadership," May 20, 2025.

[٨] نفسه.

من ثورة الداخل إلى تحرير الخارج

تبدو ملامح المشروع السوري الجديد واضحة: دولة حرة، مستقلة، تنتمي إلى محور الشعوب المقاوِمة، وترفض الهيمنة الإسرائيلية والغربية. وبالتالي، فإن **فلسطين قد تكون المرحلة الطبيعية التالية** لمشروع التحرير، الذي بدأ بإسقاط الاستبداد، ولا ينتهي إلا بزوال الاحتلال.



(٧١)

موقف القوى الدولية: احتواء سوريا أم دعم إسرائيل؟

في أعقاب سقوط نظام بشار الأسد في ديسمبر ٢٠٢٤، برزت تساؤلات حول مستقبل العلاقات بين سوريا الجديدة وفصائل المقاومة في فلسطين ولبنان. تُشير المؤشرات إلى إمكانية تعزيز هذه العلاقات، مما قد يُشكل محورًا جديدًا في مواجهة التحديات الإقليمية، وعلى رأسها الاحتلال الإسرائيلي.

عودة العلاقات بين سوريا وحركة حماس

بعد انقطاع دام لأكثر من عقد، بدأت حركة حماس في إعادة بناء علاقاتها مع القيادة السورية الجديدة. ففي عام ٢٠٢٢، أبدت الحركة رغبتها في استئناف العلاقات، معتبرة أن سوريا "العمق الاستراتيجي للمقاومة".[١] وفي ديسمبر ٢٠٢٤، أصدرت حماس أول إعلان رسمي بعد سقوط الأسد، تعبّر فيه عن دعمها لشعب سوريا وتطلعه الجديد نحو الحرية والعدالة.[٢]

العلاقة مع حزب الله اللبناني

يُعتبر حزب الله شريكًا استراتيجيًا لسوريا، حيث تربطهما علاقات وثيقة تمتد لعقود. بعد سقوط النظام السابق، أعرب الحزب عن دعمه للقيادة السورية الجديدة، مؤكدًا على استمرار التعاون في مواجهة التحديات

---

[1] The New Arab, "Why is Hamas restoring Ties with the Syrian regime," Chrsitopher Solomon, July 12, 2022; Reuters, "Hamas to restore Syria ties after 10 years of dispute," June 21 2022.

[2] Reuters, "Hamas congratulates Syrians on fall of Assad," December 9, 2024.

المشتركة. لكن الصراع الحدودي الذي اندلع في مارس ٢٠٢٥ بين القوات السورية الجديدة وميليشيات حزب الله يُبرز واقع التوتر الجديد.[٣]

تشكيل محور مقاومة جديد

مع التغيرات في المشهد السياسي السوري، يُتوقع أن تتعزز العلاقات بين سوريا الجديدة وفصائل المقاومة في فلسطين ولبنان. هذا التعاون قد يُشكل جبهة موحدة في مواجهة التحديات الإقليمية، وعلى رأسها الاحتلال الإسرائيلي. كما يُمكن أن يُسهم في إعادة التوازن إلى المنطقة، خاصة في ظل التحولات الجيوسياسية الراهنة.

ردود الفعل الدولية

تُراقب القوى الدولية، وعلى رأسها الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، تطورات الوضع في سوريا بحذر. هناك مخاوف من أن تتحول سوريا إلى قاعدة للمقاومة ضد إسرائيل، مما يدفع هذه القوى إلى محاولة احتواء النفوذ السوري الجديد. في المقابل، تُعزز إسرائيل من علاقاتها مع بعض الدول العربية وتُحاول فرض رؤيتها على النظام السوري الجديد، مستغلةً حاجة دمشق للاعتراف الدولي والدعم الاقتصادي.

التحديات المستقبلية

على الرغم من التوجه نحو تعزيز العلاقات بين سوريا وفصائل المقاومة، إلا أن هناك تحديات عدة قد تعترض هذا المسار، منها الضغوط الدولية، والتوازنات الإقليمية، والحاجة إلى إعادة بناء الدولة السورية. إلا أن الإرادة السياسية والتاريخ المشترك قد يُسهمان في تجاوز هذه العقبات.



[3] Clashes between Syrian transitional government and Hezbollah (Wikipedia)

(٧٢)

كيف غيّرت الثورة عقيدة الجيل السوري؟

من جيل الخوف إلى جيل المبادرة

قبل اندلاع الثورة في عام ٢٠١١، نشأ جيل كامل من السوريين تحت حكم استبدادي يُجرّم التعبير عن الرأي، ويزرع الرعب من أجهزة الأمن في كل بيت. كانت الأجيال الشابة تُربّى على ثقافة الخوف، والقبول بالواقع، وعدم التفكير في مواجهة السلطة أو تغييرها.

لكن الثورة السورية غيّرت هذه المعادلة جذريًا. فالأطفال الذين رُبّوا على "السكوت هو النجاة" هم أنفسهم من كتبوا على الجدران في درعا، وأطلقوا شرارة التمرّد. ثم ظهرت أجيال جديدة من الشباب، انخرطت في التظاهر السلمي، والعمل المدني، ثم في الكفاح المسلح، لتتحول لاحقًا إلى نواة لقيادات عسكرية ومدنية بديلة.

يقول المفكر برهان غليون إن الثورة السرية أفرزت جيلاً لا يؤمن إلا بالحرية، جيلًا اكتسب نضجًا سياسيًا مبكرًا لم نعهده من قبل.[١]

---

[١] برهان غليون، "عطب الذات، وقائع ثورة لم تكتمل"، موقع برهان غليون.
Silvia Carenzi, "An Evolving 'Popular Incubator': Syria's New Leadership and Its Balancing Act," ISPI, June 4, 2025.

التحول من التبعية إلى الاستقلال

كانت الأنظمة العربية ـ ومنها سوريا ـ تحرص على إنتاج نخب موالية، ترث ثقافة الخضوع للقرار الدولي، وتُصدّر فكرة أن المواجهة مع إسرائيل أو أي قوة كبرى هي ضرب من الجنون.

لكن الثورة أفرزت جيلًا يرى في الاستقلال عن المحاور الدولية **أصلًا في الكفاح، لا استثناء.**[٢] فالكثير من قادة الثورة الحاليين اكتسبوا وعيًا بأهمية عدم الارتهان لأي دولة، وأصبحت لديهم قدرة على التفريق بين الدعم الخارجي المؤقت، والمشروع الوطني المستقل طويل الأمد.

وقد عبر أحد القادة الميدانيين في إدلب عن هذا بقوله" :الذي لا يملك قراره، لا يملك تحرير أرضه".

خبرة ميدانية غير مسبوقة

خاض هذا الجيل أكثر من عقد من الزمن في مواجهة واحدة من أعنف الحملات العسكرية في التاريخ الحديث، حيث جرب:

- مواجهة قوات تقليدية مدعومة بالطيران الروسي.
- التعامل مع ميليشيات طائفية متعددة الجنسيات.
- تحدي الحصار والجوع والأسلحة الكيميائية.
- قيادة مجتمعات محاصرة وتنظيم شؤونها.

هذه التجارب أكسبت القادة الشباب **فهمًا واقعيًا للتكتيك والاستراتيجية،**[٣] **وعيًا بأهمية التنظيم الشعبي والعمل الجماعي** .ولم يعد

[2] David Schenker, "After Assad: Future of Syria," Washington Institute, June 5, 2025.

[3] Silvia Carenzi, "An Evolving 'Popular Incubator': Syria's New Leadership and Its Balancing Act," ISPI, June 4, 2025.

السلاح أداة عبثية، بل جزء من مشروع وطني تحرري له أهداف سياسية وأخلاقية.

تبنّي خطاب وطني جامع

بعكس النظام الذي زرع الطائفية والفرقة، حرص الجيل الثوري الجديد على **خطاب وطني جامع**، حيث تجد في الصفوف الأولى للثورة مسلمين سنة وعلويين أحرار ومسيحيين ودروزًا وقفوا ضد الاستبداد.

وقد عبّر كثير من الثوار عن رفضهم لتحويل الثورة إلى صراع مذهبي، مؤكدين أن **المعركة هي بين شعب حر ونظام مستبد، لا بين طوائف** .هذه الروح الوحدوية تعزز من إمكانيات المشروع الوطني الجامع، وترفع منسوب القبول الشعبي في سوريا الجديدة.[٤]

عقيدة قتالية مقاومة ومتحررة

على عكس جيش النظام الذي تربى على مبدأ "الطاعة العمياء"، يملك الجيل الثوري الجديد **عقيدة قتالية قائمة على الإيمان بالحرية، ورفض الاحتلال، والاستعداد للتضحية**.

هذا الجيل لا يحمل فقط سلاحًا، بل يحمل مشروعًا: دولة عادلة، مستقلة، تستعيد دور سوريا التاريخي في قيادة الأمة، وتحرير فلسطين.[٥]

كما أن عقيدته **أقل خضوعًا للقرار الدولي، وأقل استعدادًا للقبول بالتسويات المجحفة**، وهو ما يشكل خطرًا وجوديًا على المشاريع الصهيونية التي تراهن على أنظمة عربية منهكة ومطيعة.

---

[4] Wikipedia: Syrian Opposition (2011-2024).

[5] Aaron Y. Zelin, "The Syria Breakdown, Episode Four: Revolutionary Rebuilding and Hayat Tahrir al-Sham (HTS)," The Washington Institute, Feb 6, 2025.

بين التهجير والغربة... وعي لا يموت

رغم التهجير الجماعي لملايين السوريين، لم تنكسر الروح. ففي الشتات، وداخل الجامعات والمخيمات والمنافي، وُلدت أفكار وكتابات وكيانات، جميعها تعبّر عن الجيل الجديد الذي تربى على الحرية، ورفض الطغيان، ووعي الذات.

يكتب شاب من إدلب في غازي عنتاب روايةً عن "الكرامة"، ويرسم طفل من دوما في برلين لوحةً عن "الحرية"، وتؤسس فتاة من درعا في السويد جمعية لدعم المعتقلين.

إنه جيل الثورة الذي تشكّل بالدم، لكنه يعيش بالأمل، ويحمل **قضيةً لا تموت لأنها ولدت من المعاناة والكرامة معًا.**



(٧٣)

سوريا الجديدة على أعتاب فجر التحرير

سوريا الجديدة وجيش الشعب – عقيدة للتحرير والسيادة

خاض الشعب السوري واحدة من أعقد وأشجع الثورات في التاريخ الحديث. لم تكن مجرد مواجهة مع طاغية محلي، بل كانت صدامًا مفتوحًا مع نظام دولي وإقليمي متشابك، اجتمع على هدف واحد: كسر إرادة أمة قررت أن تكون حرّة.

واجهت الثورة السورية، منذ يومها الأول، شراسة غير مسبوقة: طائرات روسية، وميليشيات طائفية مدعومة من إيران، وحصار وتجويع، وصمت دولي مشبوه. ومع ذلك، أثبت السوريون حقيقة أزلية: الأوطان لا تنهار حين تختار الحرية قدَرًا.

ومع سقوط نظام بشار الأسد في ديسمبر ٢٠٢٤، بدأ السوريون طيّ صفحة مُلطّخة بالدم، وفتح صفحة جديدة كتبت بحبر الكرامة والوعي والمسؤولية الوطنية. لكن هذا النصر التاريخي لا يمثل نهاية الطريق، بل هو بداية مرحلة جديدة، أشد تعقيدًا وأكثر مصيرية.

في صميم هذه المرحلة تبرز قضية مركزية: كيف تبني دولة محرّرة حديثًا جيشًا وطنيًا يحمي الشعب ويصون الأرض، ويمنع عودة الاستبداد—دون أن تنزلق نحو عسكرة الدولة أو إعادة إنتاج النموذج الأمني ذاته؟

من جيش الطاغية إلى جيش الشعب

كان من أولى قرارات الحكومة الانتقالية في عام ٢٠٢٥ تفكيك الأجهزة العسكرية والأمنية التي شكّلت العمود الفقري للاستبداد. فلا يمكن لسوريا أن تولد من جديد على أيدي المؤسسات ذاتها التي قتلت واعتقلت وأرهبت شعبها لعقود.

تم حل أجهزة الاستخبارات الكبرى، مثل شعبة المخابرات الجوية والأمن العسكري، كما تم تفكيك الفرقة الرابعة والحرس الجمهوري، وهما رمزان للبطش وجرائم الحرب. وفي خطوة نوعية، تولّت **الهيئة العليا للعدالة الانتقالية** بالتعاون مع **وزارة الدفاع المؤقتة** عمليات الفرز والتدقيق، لاختيار الكفاءات العسكرية النظيفة وإشراكها في تأسيس نواة جيش جديد.

مع نهاية يناير ٢٠٢٥، بدأ تشكيل **القوات المسلحة السورية الجديدة**—جيش لا يدين بالولاء لشخص أو حزب، بل للدستور والدولة المدنية الديمقراطية. من بين المبادئ الأساسية لهذا الجيش:

- **الولاء للدولة لا للفرد**، وخضوع الجيش للرقابة المدنية المنتخبة.
- **دمج فصائل الثورة المسلحة** ضمن وحدات نظامية موحّدة، بإشراف قيادة مركزية.
- **إصلاح التعليم العسكري** وإنشاء مناهج حديثة تعزّز احترام القانون وأخلاقيات القتال.
- **إلغاء الخدمة الإلزامية العشوائية** واستبدالها بخدمة وطنية منصفة تنظّمها قوانين واضحة.
- **مجلس أمن قومي منتخب** يمارس الرقابة على المؤسسة العسكرية ويضمن شفافيتها.

لم يكن الهدف عسكرة الدولة من جديد، بل استعادة حق الناس في الحماية—دون قمع أو إذلال.[1]

عقيدة عسكرية جديدة: الكرامة والدفاع

في مارس ٢٠٢٥، صادق المجلس الوطني الانتقالي على **ميثاق العقيدة العسكرية الوطنية**، الذي مثّل حجر الأساس في الرؤية الدفاعية الجديدة. أبرز ما جاء فيه:

- **حماية السيادة الوطنية ووحدة الأراضي السورية**.
- **الالتزام بالقانون الدولي الإنساني وحقوق الإنسان** في كافة العمليات العسكرية.
- **عدم الانخراط في محاور أو حروب لا تخدم المصلحة الوطنية**.
- **الاحتفاظ بحق الرد والدفاع المشروع عن النفس** دون الانجرار إلى مغامرات عسكرية.
- **بناء شراكات دفاعية متوازنة** مع الدول الصديقة في مجالات التدريب والتقنية.

إنها عقيدة تعكس سوريا التي تطلب السلام العادل، لكنها لا تقبل الهيمنة أو الاحتلال أو التفكك.[2]

تأمين نصر هشّ وسط ركام البلد

رغم سقوط النظام، فإن سوريا لا تزال تعاني من هشاشة أمنية كبيرة. ومن أبرز التحديات:

---

[1] Mohammed Hassan, "Building Syria's new army: Future plans and the challenges ahead," Middle East Institute, June 12, 2025.

[2] Laith Al-Jnaidi and Mohammad Sio, "Syria defense chief vows to buil army with 'national doctrine' under unified command," Anadulu Agency, June 5, 2025.

- **خلايا نائمة** تابعة للنظام تحاول زعزعة الاستقرار عبر الاغتيالات والتفجيرات.
- **ميليشيات إيرانية طائفية** تنشط في بعض المناطق الحدودية.
- **فلول تنظيم داعش والتنظيمات المتطرفة** تحاول استغلال الفراغ الأمني.
- **ضعف البنية الأمنية** في بعض المدن المحررة بسبب الدمار والنزوح.

لمواجهة هذه التحديات، تم تشكيل **وحدات استجابة سريعة** لمكافحة التمرد، بالتنسيق مع الشرطة المدنية التي خضعت لتدريب جديد. كما أطلقت حملة وطنية شاملة لنزع السلاح العشوائي، وتسجيل الأسلحة الخفيفة، وتعزيز دور المجالس المحلية في حفظ الأمن المجتمعي، وفق نموذج لامركزي يعتمد على الشراكة بين الجيش والمجتمع.[٣]

الأمن القومي في ثوب جديد

في ظل الثورة، أعادت سوريا تعريف مفهوم "الأمن القومي". لم يعد مجرد حدود محروسة أو أسلحة تقليدية، بل صار مفهومًا شاملًا يشمل:

- **الأمن الاقتصادي** :حماية الموارد الوطنية، وضمان الأمن الغذائي والطاقة.
- **الأمن السيبراني** :حماية البنية الرقمية من الاختراق الخارجي.
- **الأمن البيئي** :معالجة آثار الحرب البيئية، وبناء مدن نظيفة وآمنة.
- **الأمن المجتمعي** :محاربة الطائفية وخطاب الكراهية، وبناء ثقافة وطنية جامعة.

---

[3] Abby Sewell, "Syria's government and Kurds still at odds over merging forces after latest talks, US envoy says," AP, July, 9, 2025.

ولتنسيق هذا التوجه الشامل، أُنشئ **المجلس الأعلى للأمن القومي،** الذي يضم خبراء في المجالات العسكرية والاقتصادية والتقنية والاجتماعية، لوضع استراتيجيات متكاملة تحمي سوريا من الانهيار، لا من الاحتلال فقط.[٤]

الجيل الذي استعاد الوطن

لقد أسقطت الثورة طاغية، لكنها في الوقت ذاته أنجبت جيلًا جديدًا—جيلًا من الشباب السوريين الذين كبروا في ظل البراميل واللجوء، لكنهم تربوا على الوعي والكرامة والمقاومة.

هؤلاء هم من قاتلوا على الجبهات، وأداروا المجالس المحلية، ودرّسوا الأطفال في المخيمات، وتفاوضوا مع العالم باسم الثورة، ودفعوا أثمانًا باهظة لأجل مستقبل يليق بأبناء سوريا.

وهم اليوم من سيبني سوريا الجديدة: دولة مدنية، عادلة، ذات سيادة، لا تخضع لحاكم ولا لقوة أجنبية، بل تستمد شرعيتها من دماء الشهداء وصمود الأحياء.

إن بوصلتهم لا تقف عند دمشق وحدها، بل تشير أيضًا إلى القدس—ليس تهرّبًا من هموم الداخل، بل وفاءً لمعنى الكرامة في بعدها العربي والإنساني.

في زمن انهارت فيه الشعوب، وتصالحت فيه الأنظمة مع الاحتلال، وعمّ فيه الاستسلام، تقف سوريا الثائرة كمنارة أمل—شعب كسر القيد، واختار الحرية، ويعيد البناء على أسس العدالة، لا الثأر.

جيش سوريا الجديدة لن يكون سوطًا على رقاب الناس، بل درعًا لحريتهم. و"نريد أن نعيش" لم تعد صرخة عابرة، بل مشروع حياة كامل.

---

4 Wikipedia: National Security Council (Syria)

إن صِيغَ هذا المشروع جيدًا، وحُرِس بالوعي والإرادة، فقد يكون بداية نظام عادل، لا لسوريا فحسب، بل لعالم عربي يتلمّس طريق النهوض.



الخاتمة

من الدم المسفوك إلى الوطن المنشود

ليست هذه الصفحات مجرد سرد لتاريخٍ مضرج بالدم، ولا هي فقط توثيق لحقبة من الألم والبطولة، بل هي محاولة لإعادة رسم **ملامح الوطن** كما يريده أبناؤه: حرًّا، عادلًا، يتّسع للجميع.

لقد سقط الطاغية، لكن الاستبداد لا يسقط بمرسوم، بل **بتغيير عميق في البنية السياسية والفكرية والاجتماعية**. لا تكفي نهاية حقبة حتى يولد فجر جديد؛ بل لا بد من نزع جذور الطغيان، وتجفيف مستنقعات الطائفية، وتفكيك شبكات الفساد، وإعادة بناء الإنسان قبل العمران.

إن الثورة السورية، رغم آلامها وخسائرها، لم تكن عبثًا. فقد أيقظت الوعي، وأعادت صياغة الهوية الوطنية، وأعطت صوتًا لمن حُرم طويلاً من الكلام. وربما لم يتحقق كل ما أراده السوريون، لكنهم على الأقل أسقطوا "جدار الصمت"، ولم يعودوا كما كانوا.

اليوم، تبدأ **أصعب معركة:** معركة البناء بعد التحرير، بناء دولة لا سجّان فيها ولا سجون سرية، لا امتيازات طائفية، ولا تبعية خارجية، دولة يحكمها الدستور، ويعلو فيها صوت المواطن على صوت البندقية.

علينا أن نُدرك أن "سوريا بعد الأسد" ليست مشروعًا حكوميًا أو قرارًا أمميًا، بل **مسؤولية أجيال**، تُبنى بالإرادة والعلم والتضحية والعمل الجماعي. وأن من لم يكن له دور في صناعة النصر، يجب أن يكون له دور في **حماية النصر من الضياع**.

ختامًا، نكتب هذا الكتاب لأجل الذين لم يعودوا، ولأجل الذين ينتظرون، ولأجل الأجيال القادمة، كي يعرفوا أن **الحرية لا تُهدى... بل تُنتزع**، وأن الوطن ليس خريطة، بل **قيمة، ودم، وحلم... لا يموت.**

اللهم يا عادلًا لا يظلم، ويا قويًا لا يُغلب، ويا رحيمًا لا يغفل... نسألك أن ترحم شهداءنا، وتداوي جراحنا، وتعيد إلينا من فقدناهم ظلمًا خلف قضبان الطغاة. اللهم إنّا كتبنا هذا الكتاب شهادة للحق، ونصرة للمظلوم، ووفاءً لمن قدّموا دماءهم كي يحيا الوطن.

اللهم لا تجعل تضحياتنا هباء، ولا دماءنا ماء، ولا آهات المعتقلين طيّ النسيان: نسألك أن تكتب لنا عهدًا جديدًا، يُقام فيه ميزان العدل، وتُكسر فيه القيود، ويعلو فيه صوت "لا إله إلا الله" فوق كل طاغية.

ربّنا، لقد عشنا سنوات من القهر والظلم، فلا تحرمنا لذة النصر ونعمة الكرامة، واجعل لنا في سوريا حياة جديدة، نعبدك فيها بلا خوف، ونبني فيها وطنًا لا مكان فيه للظالمين.

يا ربّ، لا نملك إلا الدعاء... فارزقنا صبر الثابتين، ونصر الصادقين، وكرامة الأحرار، وإن عجزنا، فاجعل أبناءنا من الذين يُتمّون الطريق، ويُقيمون العدالة فوق أنقاض الظلم، وينقشون النور فوق جدران السجون.

آمين، يا رب العالمين.

الملاحق

(١)

جماعة كفتارو... المواقف من الثورة السورية

بقلم محمد خير موسى

مع اندلاع الثّورة السّوريّة في آذار عام ٢٠١١م وقعت المؤسّسة الدّينيّة عمومًا في إرباك شديد، وشعرت بأزمةٍ بالغةٍ في اتّخاذ الموقف فتأخّرت عموم مدارسها بعض الوقت في بلورة مواقفها المؤيّدة للثّورة أو المنحازة إلى النّظام على حدٍّ سواء، وذلك يرجع إلى أسباب عديدة متعلّقة في البنية العضويّة للمؤسّسة الدّينيّة وتركيبها التفكيريّ وليسَ مجال تفصيله هنا.

دخول زمن الثّورة بثلاثة رؤوس

دخلت جماعة كفتارو زمن الثّورة وهي جماعةٌ مفكّكةٌ في الصورة الذّهنيّة والواقع العمليّ، قد عصفت بها خلافات المريدين وإرادات أجهزة الأمن فمزّقتها إلى مزق شتّى لا تستقرّ على رأس واحد ولا تصدر عن قرار موحّد.

ويمكن القول: إنّ جماعة كفتارو استقبلت الثّورة السوريّة وهي ذات رؤوس ثلاثة، الرّأس الأول؛ الشّيخ رجب ديب ويمثّل التوجّه المسلكيّ الطّرقيّ المغرق في النّقشبنديّة، والرّأس الثاني: شريف صوّاف ويمثّل مجمع الشّيخ أحمد كفتارو كونه المشرف عليه، والرأس الثّالث؛ الأستاذ غسّان الجبّان ويمثّل التوجّه الأكثر ترتيبًا وتنظيمًا داخل الجماعة.

وكان لكلّ رأس من هذه الرؤوس الثلاثة أتباعه ومريدوه والمؤتمرون بأوامره، حيث أصبح كلّ رأس من هؤلاء الثلاثة يمثّل جماعةً داخل الجماعة.

وتعدّد الرؤوس هذا كان يمكن أن يشكّل فرصةً كبيرةً في إدارة متنوّعة لموقف جماعة كفتارو من أحداث الثّورة السّوريّة غير أنّ حالة الخصومة بين هذه

الرؤوس والمعاداة فيما بينها فوّتت على الجماعة مجدّدًا فرصةً كبيرة في أن تكون فاعلًا حقيقيًّا في الحدث الكبير الذي سيغيّر وجه سوريّا.

مواقف رؤوس ورموز الجماعة من الثّورة

كانت مواقف رؤوس الجماعة ومشايخها الكبار والمتصدّرين منهم في وسائل الإعلام ظاهرةً في رفض الثّورة ونهجها في التغيير، وموالاة النّظام وتأييده.

فالشّيخ رجب ديب قال في بعض دروسه العامة في بدايات الثّورة: "هؤلاء الذين يخرجون في المظاهرات؛ الله تعالى لا يرضى عنهم ولا عن أفعالهم وخروجهم هذا سيسبب لنا الإحراج، فبعد أن تفرك أجهزة الأمن آذانهم سيجعلوننا نركض من أجل إخراجهم وأقول لكم: نحن لن نركض لإخراج أحد منهم".

أمّا الأستاذ غسّان الجبّان فقد بقي حريصًا من بداية الثّورة على ألّا يتمّ تسجيل أيّ موقف معلن له سواء في تأييد النّظام أو في تأييد الثّورة، لكن ما كان يتناقله مريدوه من جلساته الخاصة مع رؤساء الحلقات وما يعرف في الجماعة أيضًا رؤساء الأرهاط . ورئيس الرّهط هو من عنده من المريدين ما دون عدد الحلقة . وقد كان يأمر في تلكم اللقاءات بعدم التسجيل الصّوتي والمرئي بأنّه كان يقول لهم: "نحن مع النّظام وإيّاكم أن تحرجونا ونبّهوا على الحلقات الصّغيرة ألّا يخرج أحد منهم في أيّة مظاهرة، لأنّ خروجهم هذا سيحسب على الجماعة كلّها ونحن لا نرضى بذلك وشيخنا الشيخ أحمد كفتارو لا يرضى بذلك وهو في قبره، وأيّ خروج في المظاهرات سيتسبّب في تخريب عمل الجماعة والإساءة للدّعوة".

أمّا شريف الصّوّاف فقد انحاز انحيازًا بالغ الفجاجة للنّظام من بداية الثّورة، وكانت تتمّ استضافته في قنوات إعلام النّظام السّوري بوصفه أبرز أصوات جماعة الشيخ أحمد كفتارو المدافعة عن النّظام والمهاجمة للثّورة.

ومن أبرز الأصوات التي كانت تستضاف في وسائل إعلام النّظام الدّكتور عبد السلام راجح وهو من أبرز شخصيّات مجمع الشيخ أحمد كفتارو وهو ابن

الشّيخ أحمد راجح أحد أكبر رموز الجماعة، وعضو مجلس الشعب السوري كذلك، وكان من أكثر المنحازين للنّظام في مواقفه الإعلاميّة إلى جانب شريف صواف.

حاول مشايخ جماعة كفتارو تسويغ موقفهم الدّاعم للنّظام بالسرديّة ذاتها التي تبنّتها عموم المؤسّسات الدّينيّة التي انحازت للنّظام وهي الحفاظ على مكتسبات الدّعوة ومنجزاتها، وعدم تخريب ما تمّ بناؤه عبر عقود في لحظة ثورة شبابيّة عاطفيّة، ووجوب التحلّي بالحكمة في التّعامل مع النظام للوصول إلى التّغيير المنشود.

وكان بعض هؤلاء المشايخ وأبرزهم الدّكتور عبد السلام راجح يعمد إلى إخراج بعض المعتقلين من مريدي الجماعة الذين شاركوا في المظاهرات في إطار التّدليل على صحة موقفه وأنّه إنّما اتخذ موقفه المنحاز للنّظام خدمةً للجماعة وحفاظًا على أبنائها، وهي ذريعة كان النّظام يساعد في ترسيخها من خلال قبول وساطات بعض المشايخ من مختلف المدارس الدّينيّة المنحازة له ليعزّز صورتهم في أعين تلاميذهم ومريديهم.

مواقف المريدين والمشايخ الشّباب في الجماعة من الثّورة

كانت الثّورة السوريّة نقطة بدايةٍ لنقاشات حقيقيّة وساخنة داخل عموم الجماعات ومنها جماعة الشّيخ أحمد كفتارو، فقد أخذ النقاش يتصاعد طردًا مع اتساع رقعة المظاهرات واستمرار شلال الدّم.

ومن البديهي أن يكون سياق هذه النقاشات بين المريدين في المناطق السّاخنة المشتعلة مختلفًا عنه في المناطق الهادئة.

ويمكننا الذّهاب إلى أنّ مريدي جماعة الشيخ أحمد كفتارو من شريحة الشباب انقسموا إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى: وهم المؤيّدون للنّظام المستجيبون لأوامر مشايخهم الرّافضون للثّورة ونهجها في التغيير.

الفئة الثّانية: فئة الحيارى الذين لم يستقرّوا على رأي فلا هم مؤيّدون للنّظام ولا هم مؤيّدون للثّورة فمنهم من كان يرى الفريقين على باطل ومنهم من كان لا يستطيع أصلًا اتّخاذ موقف ولو كان رماديًّا.

الفئة الثّالثة: وهم فئة المنخرطين في الثّورة بشقيّها الشّعبيّة والمسلّحة، فهؤلاء كان معظمهم من أبناء المناطق المشتعلة الذين انحازوا إلى أهليهم في مواجهة ما يرونه من الظّلم، وقد خرجوا من ثوب الطّاعة فاعتقل منهم المئات واستشهد كذلك المئات في مناطق مختلفة لا سيما في الأرياف، فقد استشهد العديد من شباب جماعة كفتارو في داريا ودوما وقدسيا والمعضميّة وريف درعا وغير ذلك من المحافظات.

ومن أبرز هؤلاء الشّيخ أسامة عبد الحقّ وهو من المشايخ الشباب في جماعة كفتارو وقد استشهد تحت التعذيب مع والده واعتقل سائر إخوته، وهذا نموذج من نماذج عديدة لشباب جماعة كفتارو الذين خرجوا من عباءة المريد وانحازوا إلى الثّورة السوريّة، على أنّه من نافلة القول التّأكيد على أنّ هؤلاء الشباب لا يمثّلون جماعة الشّيخ أحمد كفتارو وإنّما هم شريحةٌ لا يمكن تجاهلها من أبناء الجماعة عند الحديث عن موقف الجماعة من الثّورة السّوريّة.

دلالات تعيين الشّيخ عدنان الأفيوني مفتيًا لدمشق

لم يكن الأفيوني المولود عام ١٩٥٤م من الطبقة الأولى من مشايخ جماعة كفتارو والطريقة النّقشبنديّة، فهو من تلاميذ الشّيخ رجب ديب المقربين.

انحاز الأفيوني للنّظام بشكلٍ صارخٍ مع بدايات الثّورة السّوريّة، ليعيّنه بشّار الأسد مفتيًا ثالثًا لدمشق بعد الشّيخ بشير عيد الباري والشيخ عبد الفتّاح البزم في عام ٢٠١٣م لينتقل للخطابة في جامع التقوى في منطقة مشروع دمّر ويحلّ محلّه الشّيخ عادل مستو خطيبًا في جامع الصّحابة مع احتفاظ الأفيوني بدرسه الأسبوعيّ في مسجده الأم جامع الصّحابة.

كان تعيين الأفيوني مفتيًا لدمشق وريفها نابعًا من اعتباراتٍ عديدة ليس بينها الرّسوخ العلميّ وأهليّة الفتوى العلميّة أو حتّى الانتماء لجماعة كفتارو، بل من حاجة النّظام الماسّة إلى شخصيّة لها شعبيّتها في الرّيف الدمشقيّ ولها حضورها الدّينيّ لتكون عنوانًا لمفاوضات التسوية التي عرفت باسم "المصالحات" فكان الحضور الدّعويّ للأفيوني في منطقة من المناطق المتفجّرة وهي قدسيّا وما حولها من المؤهّلات المهمّة في هذا التّعيين.

كما تمّ تعيين الأفيوني مديرًا لمركز الشّام الإسلامي الدّولي لمواجهة الإرهاب والتّطرّف؛ الذي كان له دورٌ أساسيّ في صياغة الخطاب الدّعوي المتبني رواية النّظام فيما يتعلق بمواجهة الثّورة الشّعبيّة والمسلّحة على حدٍّ سواء.

وقد تمّ اغتياله بعبوة ناسفة على باب جامع الصّحابة في مدينة قدسيّا؛ إذ انفجرت سيّارته عقب خروجه من صلاة العشاء الخميس ٢٠٢٠/١٠/٢٢م لتودي بحياته.

لا يمكن اعتبار تعيين الشّيخ عدنان الأفيوني محاولةً لاحتواء الجماعة من جهة، أو مكافأة تم تقديمها للجماعة على مواقفها من جهة أخرى، فهذان الاعتباران ليسا واردَين في تعامل النّظام مع الجماعة بعد مرور أكثر من سنتين على اندلاع الثّورة.

الاعتبار الأوحد في تعيين الشّيخ عدنان الأفيوني في هذا المنصب هو مصلحة النّظام في وجود شخصيّة تستطيع لعب دور عرّاب المصالحات مع الجماعات الثّائرة بالسّلاح.

فالتّفسيرات التي تحاول تصوير هذا التعيين على أنّه مرتبط بالجماعة تبعد النّجعة في التّحليل، فالأمر مرتبط بشخصيّة الأفيوني وشعبيّته في المكان الذي كان يخطب فيه وهو قدسيّا المشتعلة وقدرته على تأدية الدّور المراد منه بغض النّظر عن انتمائه إلى جماعة كفتارو من عدمه.

موقف النّظام من دور جماعة كفتارو في الثّورة

من مصلحة النّظام حشد الأصوات الدّينيّة من مختلف المدارس والجماعات التّابعة للمؤسسة الدّينيّة، وهو حريص على كسب الأصوات المشيخيّة كلّها لصالحه.

لكن هذا لا يخفي أنّ تعويل النّظام على جماعة كفتارو بوصفها جماعة فاعلة اختلف كثيرًا عنه في حياة الشّيخ أحمد كفتارو؛ ففي الثمانينات والتسعينات كان الاعتماد المركزيّ في تسويق مواقف النّظام على جماعة كفتارو.

فقدت جماعة كفتارو فاعليّتها الحقيقيّة ومركزيّتها في المشهد الدّينيّ السّوريّ بعد أن تمّ تمزيقها بأيدي أبنائها وأيدي وزير الأوقاف محمد عبد الستّار السيّد وإدارة أجهزة الأمن

ومع بداية الثّورة السّوريّة رأى النّظام جماعة كفتارو ممزّقةً مهلهلة مما يفقدها الفاعليّة الحقيقيّة في المشهد العام، فغيّر وجهته على الفور ولم يولها اهتمامًا مركزيًّا، ولم يحتج إلى كثير عناءٍ ليجد البديل فقد تقدّمت جماعة الفتح الإسلامي لتملأ الفراغ وترث المشهد وتغدو الجماعة الفاعلة في المؤسسة الدّينيّة التي يرتكز عليها النّظام في تصدير مواقفه.

المصدر: تلفزيون سوريا

https://www.syria.tv/114745

قائمة المراجع

١- الكتب

عربية

- أبا زيد، أحمد. «الهيمنة على إدلب: تحوّل النصرة إلى سلطة». مركز عمران للدراسات، ٢٠١٨.
- أبا زيد، أحمد. «قسد والإدارة الذاتية: الطموحات والسياسات». مركز عمران للدراسات، ٢٠٢٠.
- الحاج، عبد الرحمن .*الإسلاميون السوريون: من المواجهة إلى الثورة* . بيروت: الشبكة العربية، ٢٠١٦.
- الحاج، عبد الرحمن .*سوريا – الثورة والتاريخ الآخر* .بيروت: الشبكة العربية، ٢٠١٤.
- زيادة، رضوان .*الثورة السورية: الواقع والمآلات* .بيروت: دار الفكر، ٢٠١٣.
- غليون، برهان .*بيان من أجل الديمقراطية* .الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١.
- حبش، محمد .*سورية.. درب الآلام نحو الحرّية* .بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ٢٠١٦.
- كيلو، ميشيل .*كتابات سياسية من السجن والمنفى* .بيروت: دار رياض الريّس، ٢٠١٣.
- بدرخان، عبد الوهاب .*سورية: الثورة المسروقة* .بيروت: دار الساقي، ٢٠١٥.
- عماد، عبد الغني .*رجال الدين والدولة في سوريا* .بيروت، ٢٠٢٢.

أجنبية

- Balanche, Fabrice. *Sectarianism in Syria's Civil War*. Washington, DC: The Washington Institute, 2018.
- Gelvin, James L. *Divided Loyalties: Nationalism and Mass Politics in Syria at the Close of Empire*. Berkeley: University of California Press, 1998.
- Gerges, Fawaz. *ISIS: A History*. Princeton: Princeton University Press, 2016.
- Khoury, Philip S. *Urban Notables and Arab Nationalism: The Politics of Damascus 1860–1920*. Cambridge: Cambridge University Press, 1983.
- Lister, Charles. *The Syrian Jihad: Al-Qaeda, the Islamic State and the Evolution of an Insurgency*. Oxford: Oxford University Press, 2015.
- Masters, Bruce. *The Arabs of the Ottoman Empire, 1516–1918: A Social and Cultural History*. Cambridge: Cambridge University Press, 2013.
- Provence, Michael. *The Great Syrian Revolt and the Rise of Arab Nationalism*. Austin: University of Texas Press, 2005.
- Seale, Patrick. *Asad of Syria: The Struggle for the Middle East*. Berkeley: University of California Press, 1988.
- Thompson, Elizabeth. *Colonial Citizens: Republican Rights, Paternal Privilege, and Gender in French Syria and Lebanon*. New York: Columbia University Press, 2000.
- Van Dam, Nikolaos. *The Struggle for Power in Syria: Politics and Society under Asad and the Baʿth Party*. 4th ed. London: I.B. Tauris, 2011.

- Wedeen, Lisa. *Ambiguities of Domination: Politics, Rhetoric, and Symbols in Contemporary Syria*. Chicago: University of Chicago Press, 1999.

٢. تقارير ومراكز أبحاث

- مركز حرمون للدراسات المعاصرة. «العدالة الانتقالية في سوريا: الرؤية والمسار». الدوحة، ٢٠٢١.
- مركز جسور للدراسات. «تحليل مسار أستانا وسوتشي وأثرهما على الانتقال السياسي في سوريا». إسطنبول، ٢٠٢١.
- المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. «السوريون في الشتات والثورة». الدوحة، ٢٠١٩.
- مركز عمران للدراسات الاستراتيجية. «الإدارة المحلية في سوريا: واقع وتحديات». تقرير خاص، ٢٠١٨.
- الشبكة السورية لحقوق الإنسان. *التقرير السنوي لانتهاكات حقوق الإنسان في سورية ٢٠١١–٢٠١٣*. لندن، ٢٠١٣.
- المعهد السوري للعدالة. «تفكيك الأجهزة الأمنية وإعادة هيكلتها». دمشق، ٢٠٢٢.
- Amnesty International. *Human Slaughterhouse: Mass Hangings and Extermination at Saydnaya Prison*. London, 2017.
- Carnegie Middle East Center. *Rebuilding Syria's Security Sector*. Beirut, 2023.
- Chatham House. *Syria's Foreign Policy After Assad: Between Independence and Pressure*. London, 2025.
- Friedrich-Ebert-Stiftung. *National Identity and Democratic Transition in Syria*. Berlin, 2024.

- Human Rights Watch. *A Wasted Decade: Human Rights in Syria during Bashar al-Asad's First Ten Years in Power*. New York, 2010.
- International Crisis Group. *The Astana Process: Russia, Turkey, and Iran in Syria*. Brussels, 2018.
- United Nations High Commissioner for Refugees (UNHCR). *Syria Refugee Crisis Explained*. Geneva, 2018.
- United Nations Office on Transitional Justice. *Post-Conflict Justice and Reconciliation in Syria*. New York, 2022.
- World Bank. *The Toll of War: The Economic and Social Consequences of the Conflict in Syria*. Washington, DC, 2017.

٣. مواقع إلكترونية ومجلات

- العربي الجديد. صبحي حديدي" .عن الطائفية الجديدة في سوريا ." 2019.
- المدن" .مقابلات الأقليات المسيحية في الجزيرة والفرات ."شباط ٢٠٢٥.
- عنب بلدي" .تقارير ميدانية حول حكومة الإنقاذ .2017–2023 ." https://www.enabbaladi.net
- Al Jazeera. "Syria's Minorities and the Revolution." August 22, 2020. https://aja.me/gvrtwu
- Al Jazeera. "Interview with Abu Mohammad al-Julani." February 2, 2021.
- Al-Araby al-Jadeed. "The Fall of Forever: Intellectuals on Syria's Future." July 15, 2021.
- Middle East Eye. Hamza Almustafa and Jonathan Fenton-Harvey. "Why the UAE Aims to Leverage Assad." April 10, 2020.

- Reuters. “Assad Flees Syria as Rebels Enter Damascus.” December 10, 2024.
- The Guardian. “Tadmor: Assad’s Desert Prison of Horror.” 2015.
- BBC Arabic. “How the Syrian Revolution Was Distorted in the Media.” 2014.

٤. الأرشيف

- Syrian Memory Project. “Testimonies from Eastern Ghouta after the De-escalation Deal.” Accessed March 2023. https://syrianmemory.org
- Syrian National Council. “Founding Charter and Organizational By-Laws.” Accessed July 30, 2025. https://www.syriancouncil.org/archive
- Amnesty International. “We Leave or We Die: Forced Displacement under Siege in Eastern Ghouta.” 2017. https://www.amnesty.org/en/documents/mde24/7307/2017/en/
- Human Rights Watch. “Syria’s Tadmor Prison: Dissent Still Hostage to a Legacy of Terror.” April 1, 1996. https://www.hrw.org/report/1996/04/01/syrias-tadmor-prison/dissent-still-hostage-legacy-terror
- Wikipedia. “Sectarianism and Ethnicity in the Syrian Civil War.” Last modified June 12, 2024.
- Wikipedia. “Caesar Syria Civilian Protection Act.” Accessed 2024.

الفهرس